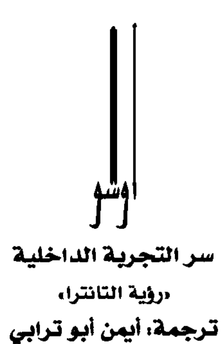
أوشو

سر التجربة الداخلية

«رؤية التانترا»

ترجمة: أيمن أبو ترابي



سر التجربة الداخلية

«رؤية التانترا»

ترجمة: أيمن أبو ترابي

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

التنفيذ

دار الطليعة الجديدة

سوريا ـ دمشق ـ ص.ب:٣٤٤٩٤

تلفاكس:٢٣١١٣٧٨

e-mail: marwanfa@scs-net.org

إخراج: رفيدا الخباز

صمم الغلاف: جمال سعيد

رؤية التانترا
سر التجربة الداخليّة

يعتبر ساراها مؤسس الرؤية التانترانية. وهـي تكتسب أهمّـية كبيرة، خـصوصاً في الـزمن الحاضـر مـن التـاريخ الإنـساني، لأن أنـساناً جديـداً يجاهـد كـي يولـد، ولأن وعياً جديداً يقـرع الأبـواب. وسـيكون المـستقبل للتـانترا، لأنـه لم يعد بإمكان المواقف المزدوجة بعد الآن أن تكبّل عقل الإنسان".

أوشو



المحتويات

أوشو

اسمٌ آخرٌ للقداسة، تعبير آخر للبركة. يمنح الأمل والثقة، الحب والحنان، الحياة والوعي للجنس البشري المحاصر بالموت والدمار والألم والمعاناة. إنه دعوة لتجربة إيقاع جديد في الحياة، رقصة جديدة، إثارة جديدة في حياة المرء.

وفقدانه هو فقدان لأعظم نعمة

أوشو

لم يولد

ولم يمت

لكنه زار هذا الكوكب من ١١ ديسمبر/كانون الأول، ١٩٣١ إلى ١٩ يناير/كانون الثاني، ١٩٩٠

هذه الأحاديث هي ردوده العفوية المباشرة أمام الجمهور، وهي ذات دلالة سرمدية، تهم كافة البشر.



الشخص الذي رمى سهمه

ترنيمة ساراها الملكية

أنحني لمانجوسري النبيل
أنحني لمن قهر المحدود

كما المياه الساكنة التي تضربها الريح
تتحول إلى أمواج ودوّامات،
هكذا الملك يرى ساراها
في أشكال عدة، على الرغم من أنه واحد.

أحمق من يلحظ المصباح الواحد اثنين
لأن المشاهِد والمشاهَد واحد وليسا اثنين،
يا للغرابة!
إن الفكر يؤثر في كليهما.

مع أن مصابيح البيت مضاءة
يظل الأعمى يعيش في الظلام
مع أن العفوية قريبة وتحيط بكل شيء
لكنها تبقى للمخدوع قصية دوماً.

رغم وجود العديد من الأنهار، إلا أنها في البحر واحد،
ورغم وجود العديد من الأكاذيب،
إلا أن حقيقةً واحدة ستقهرها جميعاً.
عندما تبزغ شمس واحدة، سيختفي الظلام،
مهما كان دامساً.

غوتاما، البوذا هو المعلّم الأعظم الذي سار أبداً على الأرض. إن السيد المسيح هو معلّم عظيم، وكذلك كريشنا، وماهافير*، والنبي محمد، وغيرهم الكثير.. لكن بوذا مافتئ يبقى المعلم الأعظم. ليس لأنه حقق استنارة أعظم شأناً من أي معلّم آخر.. وليس لأن الاستنارة مسألة أكثر أو أقل شأناً .. فقد توصّل إلى نفس ماهيّة الوعي التي توصّل إليها ماهافير، والمسيح، وزاراثوسترا، ولاوتسو.

لا يتعلق الأمر بأن أي شخص مستنير يمكن أن يكون أكثر استنارة من أي شخص آخر. لكنه يتعلق بقدر ما يكون معلّماً، فبوذا لا يضاهى.. لأنَّ آلاف الناس حققوا الاستنارة من خلاله. وهذا لم يحصل سابقاً مع أي معلّم آخر. لقد كان مساره هو المسار الأكثر إثماراً. أما عائلته فكانت العائلة الأكثر إبداعاً حتى الآن. كان بوذا أشبه بشجرة كبيرة ذات فروع عديدة .. وكل فرع منها كان مثمراً زاخراً بالكثير من الثمار.

أما مهافير فقد بقي ظاهرة محليّة. وسقط كريشنا بين أيدي مريديه وتاهَ. وحُطّمَ المسيح بالكامل من قبل الكهنة. وكان يمكن أن يحدث الكثير لبوذا، لكنه لم يحدث. فقد كان بوذا محظوظاً جداً. ليس لأن الكهنة لم يحاولوا ذلك، وليس لأن المريدين لم يحاولوا فعل كل ما كان بوسعهم فعله، لكن تعاليمه كانت متوارثة بطريقة فريدة.. بحيث كان من غير الممكن تشويهها. فهي ما تزال حية. وبعد مضي خمسة عشرين قرناً لا زالت تتفتح بعض أزهار شجرته.

يأتي الربيع وما يزال شذاها فوّاحاً، ما يزال ثمرها يانعاً.

كان ساراها ثمرةٌ من نفس الشجرة. فقد وُلدَ بعد بوذا بقرنين تقريباً. كان في الخط ذاته ولكن لفرعٍ آخر. أحدهما ينبثق من ماهاكاشايب وينتهي إلى بودهيدهارما ومنه وُلِدَ مذهب الزنْ.. وهو ما يزال ممتلئاً بالزهور. هذا فرع.

---

* ماهافير أو ماهافيرا: لقّبَ أيضاً بالزاهد العاري. عاش ما بين ٥٢٧-٥٩٩ قبل الميلاد حسب ما ذكر في النصوص اليانية. ولكن بعض المؤرخين يقولون أنه عاش ما بين ٤٧٧- ٥٤٩ ق م.

كان معاصراً لبوذا، وهو ابن للملك سيدارثا. تزوج من الأميرة باشودارا وأنجب منها طفلة، بعدها ترك عائلته وتخلّى عن كل ممتلكاته وعاش في عزلة تامة مدّة اثنا عشرة عاماً. كان لدى ماهافير في ذلك الوقت ما يزيد عن ٤٠٠٠٠٠ تابع. ترك جسده وهو في الثانية والسبعين من عمره. (المترجم)

أما الفرع الآخر فينبثق من بوذا إلى ابنه راؤول بهادرا، ومن راؤول بهادرا إلى

سري كيرتي، ومن سري كيرتي إلى ساراها، ومن ساراها إلى ناركارجيونا .. وذلك هو فرع التانترا، وهو ما زال يثمر في التيبت.

غيّـرَت التانترا معتقدات التيبت، وساراها هو مؤسس التانترا مثلما أن بودهيدهارما هو مؤسس الزنْ. لقد غزى مذهب بودهيدهارما الصين، وكوريا، واليابان. أما مذهب ساراها فقد غزى التيبت.

أغاني ساراها بالغة الجمال. وهي بالفعل أساس التانترا. ولكن عليك أن تفهم أولاً موقف التانترا تجاه الحياة، رؤية التانترا للوجود.

هذا هو العنصر الأكثر جوهرية في التانترا .. العنصر الجذري جداً والثوري والمتمرّد .. فالرؤية الأساسية للتانترا هي أن العالم غير مقسم إلى أدنى وأعلى، بل هو قطعة واحدة. فالأعلى والأدنى هما أياد متشابكة. الأعلى يتضمن الأدنى، والأدنى يتضمن الأعلى. الأعلى يتوارى في الأدنى.. لهذا فإن الأدنى لا ينبغي إنكاره، لا ينبغي إدانته، ولا ينبغي أن يحطَّم أو يُقتل. الأدنى يجب أن يتحول. ويجب أن يُسمَح له بالحركة إلى الأعلى ... فالأدنى يُصبحُ أعلى. وليس هناك فجوة غير قابلة للردم بين الشيطان والله، فالشيطان يحمل الله في أعماق قلبه. وحالما يبدأ ذلك القلب بالعمل، يصبح الشيطان إلهاً.

ذلك هو السبب في أن الجذر الفعلي لكلمة "devil" " شيطان " يَعْني نفس معنى كلمة "divine" "إلهي". فكلمة " devil " جاءت منْ " divine" " إلهي "، والشيطان هو الإله الذي لم يتطور بعد، هذا كل ما في الأمر. ليس الشيطان ضد الإله، ولا هو يحاول القضاء عليه.. والحقيقة، أن الشيطان يحاول العثور على الإله. وهو في الطريق نحو الإله؛ إنه ليس العدو، بل البذرة. والإله هو الشجرة التي تفتحت أزهارها بالكامل بينما الشيطان هو البذرة.. بل إن الشجرة تختفي في البذرة. والبذرة ليست ضد الشجرة، الحقيقة، أن الشجرة لا يمكنها أن توجد ما لم تكن البذرة موجودة. والشجرة ليست ضد البذرة. فهما في صداقة عميقة، إنهما ملتحمتان.

السم والرحيق طوران لنفس الطاقة، وكذلك الحياة والموت وكل شيء: الليل والنهار، والحب والكراهية، والجنس والوعي الفائق.

تقول التانترا: لا تُدنْ أي شيء أبداً.. فالإدانة تصرّف أحمق. فحين تدين شيئاً ما، فإنك تحرم نفسك من تطوير الأدنى عندما تتوفر له الإمكانية. لا تُدن الطين، لأن اللوتس يتوارى في الطين، والطين يُستَخدَم لإنتاج اللوتس. وبالطبع، فإن الطين ليس اللوتس حتى الآن، لكنه يمكن أن يكون كذلك. والشخص المبدع، أو الشخص التقي، يساعد الطين على تحرير لوتسه وبهذا يُمْكنُ للوتس أن يتحرر من الطين.

إن ساراها هو مؤسس الرؤية التانترية. . وهي تكتسب أهمّية كبيرة، خصوصاً في الزمن الحاضر من التاريخ الإنساني، لأن أنساناً جديداً يجاهد كي يولد، ولأن وعياً جديداً يقرع الأبواب. وسيكون المستقبل للتانترا، لأنه لم يعد بإمكان المواقف المزدوجة بعد الآن أن تكبّل عقل الإنسان.

لقد حاولوا ذلك لقرون وقد شلّوا الإنسان وجعلوه آثماً. لم يجعلوا منه إنساناً حرّاً بل سجيناً. ولم يجعلوه سعيداً أيضاً، بل جعلوه إنساناً بائساً جداً.

أدانوا كل شيء.. بدءاً من الطعام وصولاً إلى الجنس؛ من العلاقة وحتى الصداقة، لقد أدانوا كل شيء. فالحُبُ مُدان، والجسد مُدان، والعقل مُدان. لم يتركوا لك بوصة واحدة كي تقف فوقها، لقد سلبوا كل شيء. وتركوا الإنسان معلقاً، معلّقاً تماماً.

وحالة الإنسان هذه لا يمكن احتمالها أكثر من ذلك. والتانترا يمكن أن تمنحك منظوراً جديداً، لهذا اخترت الحديث عن ساراها. فساراها واحدٌ من أكثر الأشخاص المحبوبين لدي. إنه حبي القديم.

من الجائز أنك حتى لم تسمع باسم ساراها، لكن ساراها هو أحد المحسنين العظماء للبشرية. فَلَوْ كنتُ أعُدُ على أصابعي عشرة من المحسنين إلى البشرية، فسيكون ساراها أحد أولئك العشرة. ولو كنت أعد خمسة، فلن أكون أيضاً قادراً على إسقاط ساراها.

وقبل أن ندخل في أناشيد ساراها هذه، لا بد من إعطاء لمحة عن حياة ساراها. ولدَ ساراها في فيداربها أثناء حكم الملك ماهابالا، وفيداربها هذه هي جزءٌ من ماهاراشترا قريبة جداً من بونا. كان ساراها ابناً لشخصٍ من طائفة

البراهمن* مثقفاً جداً يعمل في بلاط الملك ماهابالا، كان الأب في البلاط وكان

الشاب ساراها أيضاً في البلاط. وكان له أربعة إخوة آخرون، جميعهم علماءَ كبار، وكان هو الأصغر بينهم والأكثر ذكاءً منهم جميعاً. كانت شهرته تنتشر شيئاً فشيئا في جميع أنحاء البلاد، وقد فُتِنَ الملك كثيراً بتفكيره الرائع.

كان الإخوة الأربعة أيضاً موهوبين وعظماء للغاية، ولكن لا أحد منهم يمكن أن يقارَن بساراها. وعندما أصبحوا ناضجين، تزوج الأربعة. وكان الملك راغباً بتزويج ابنته الوحيدة لساراها، لكن ساراها أراد التخلي عن كل شيء.. أراد أن يصبح ناسكاً. أُحرِجَ الملك، وحاول إقناعه.. فقد كان ساراها شابّاً وسيماً وذكياً جداً. وكانت شهرته تنتشر في جميع أنحاء البلاد، وبسببه اشتهر بلاط الملك مهابالا. قلق الملك كثيراً، ولم يكن يريد لهذا الشاب بأن يصبح ناسكاً.

أراد الملك حمايته، أراد منحه كل الراحة الممكنة.. وكان مستعداً لفعل أيّ شيء من أجله. لكن ساراها كان مُصراً ولم يكن هناك مناص من منحه الموافقة.. وهكذا أصبح ناسكاً، وصار واحداً من أتباع سري كيرتي.

كان سري كيرتي على الخط المباشر لبوذا.. الذي بدأه بوذا، ومن بعده ابنه راؤول بهادرا، ومن بعده جاء سري كيرتي. إذن كان هناك معلمان فقط بين ساراها وبوذا، فهو ليس بعيداً جداً من بوذا. ولا بد أن تبقى الشجرة في منتهى الاخضرار، لا بد أن تظل الذبذبة حيّة للغاية. كان بوذا قد رحل للتو. ولا بد للجو من أن يظل ممتلئاً بعطره.

صُدِمَ الملك، لأن ساراها كان براهميّاً. فإذا أراد أن يصبح سانياسن* sannyasin فعليه أن يصبح سانياسيناً هندوسياً، غير أنه اختار معلّماً بوذيّاً. كانت عائلة ساراها أيضاً قَلِقة جداً. والحقيقة، أن الجميع وقفوا ضده. . . وهذا لم يكن مناسباً له. ثم غدت الأمور أكثر سوءاً .. وسوف نأتي على الحديث عنها.

كان اسم ساراها الأصلي راؤول، سمّاه به والده. و سوف نعرف كيف أصبح اسمه ساراها فيما بعد .. فتلك قصة جميلة.

---

* طائفة البراهمن: هي الطبقة الاجتماعية العليا في طبقات المجتمع الهندوسي الأربع.

* Sannyasin السانياسن هو الناسك أو من كان ينتمي إلى جماعة أو مدرسة روحية.

عندما ذهب إلى سري كيرتي، كان أول شيء قاله له: "انسَ كل فيداتك** وكل تعليمك وكل ذلك الهراء". كان ذلك صعباً على ساراها، لكنه كان مستعداً للمجازفة بأي شيء. كان هناك شيءٌ فتنه في حضرة سري كيرتي. فقد كان سري كيرتي مغناطيساً عظيماً، وهكذا تخلى ساراها عن كلٍّ تعليمه السابق، وأصبح أمياً من جديد.

كانت هذه واحدةً من أكبر التنازلات: من السهل ترك الثروة، من السهل ترك مملكة عظيمة، لكن ترك المعرفة هو الشيء الأكثر صعوبة في الدنيا. في المقام الأول، كيف يمكن أن تتركها؟ فهي موجودة في داخلك. بمقدورك أن تهرب من مملكتك، أن تذهب إلى الهيمالايا، أن توزع ثروتك.. ولكن كيف تترك معرفتك؟ سيكون من المؤلم جداً أن تصبح جاهلاً من جديد. إنه لأمر في منتهى القسوة أن تصبح جاهلاً مرّة أخرى، أن تصبح من جديد بريئاً كالطفل ... غير أن ساراها كان مستعداً لذلك.

مضت السنوات، وشيئاً فشيئاً، محا كل ما تعلمه في الماضي، وغدا متأمِّلاً عظيماً. وبنفس الطريقة التي بدأ يصبح فيها مشهوراً جداً كتلميذ عظيم، بدأت شهرته الآن تنتشر في الآفاق كمتأمّل عظيم. وأخذ الناسُ يتوافدون من أماكن بعيدة، فقط من أجل أن يلقوا نظرة خاطفة على ذلك الشاب الصغير الذي غدا بريئاً جداً، كورقة شجر غضّة، أو كقطرات الندى فوق عشب الصباح.

ذات يوم، شاهد ساراها فجأةً رؤيا بينما كان يتأمل.. كانت الرؤيا حول امرأة تعمل في السوق وتصبح معلّمه الحقيقي. لقد وضعه سري كيرتي على الطريق، لكن التعليم الحقيقي هذه المرّة سيأتي من امرأة. وهذا يعني بوضوح، أن التانترا هي الوحيدة التي لم يكن لديها تعصباً ذكوريّاً. والحقيقة، أنك لكي تدخل إلى عالم التانترا تحتاج لأن تتعاون مع امرأةٍ حكيمة، فبدونها لن تكونَ قادراً على الدخول إلى عالم التانترا المعقد.

لقد شاهد رؤيا حول لقاء امرأة في السوق. إذن، فهي أولاً امرأة. وثانياً ..في السوق. إذن تترعرع التانترا في السوق، في زحمة الحياة. وهكذا نهض واقفاً؛ لم

** الفيدا: هي كتب الهندوس المقدسة.

يكن تصرّفه هذا استهجاناً، بل إنه في منتهى الايجابية، فسأله سري كيرتي: "

إلى أين أنت ذاهب ؟" أجاب: "لقد أريتني الطريق. خلصتني من تعليمي السابق ورميته بعيداً. أديتَ نصف العمل.. نظفتَ سجلّي. وأنا جاهز الآن لكي أعملَ النصف الآخر". وببركات سري كيرتي، الذي كان يضحك، مضى ساراها بعيداً.

توجّه إلى السوق. وكان مندهشاً: لقد وجد المرأة حقاً. المرأة التي شاهدها في الرؤيا. كانت تصنعُ سهماً، إنها صانعةُ سهام.

الشيء الثالث الذي يجب تذكّره عن التانترا هو أن الشخص الأكثر ثقافة، والأكثر تحضراً، هو الأقل إمكانيةً في تحوله إلى التانترا. والشخص الأقل تحضراً، والأكثر بدائية، هو الشخص الأكثر حيوية. فكلما أصبحت أكثر تحضراً، كلما أصبحت أقرب إلى مادة البلاستيك.. فحين تصبح مصطنعاً، ومثقفاً أكثر من اللازم، تفقد جذورك في الأرض.

إذا كنت تخشى العالم الموحل، فابدأ بالعيش بعيداً عنه، ابدأ بتكوين نفسك كما لو أنك لست من هذا العالم. فالتانترا تقول: لكي تعثر على الإنسان الحقيقي عليك أن تمضي إلى الجذور.

لهذا ترى التانترا بأن أولئك الذين ما زالوا غير متحضرين. وغير متعلمين وغير مثقفين، هم الأكثر نشاطاً، ولديهم حيويةُ أكثر. وتلك هي أيضاً نظرة علم النفس المعاصر. فالزنجي أكثر حيوية من الأمريكي.. وهذا ما يخيف الأمريكي. إن الأمريكي يخشى كثيراً من الزنجي. وسبب الخوف هو أن الأمريكي أصبح بلاستيكيّاً للغاية. أما الزنجي فما زال حيوياً، ما زال ملتصقاً بالأرض.

الحقيقة أن النزاع بين السود والبيض في أمريكا ليس نزاعاً بين الأسود والأبيض، بل هو نزاعُ بين البلاستيكي والحقيقي. والأمريكي، أي الرجل الأبيض خائفُ جداً، والسبب الأساسي هو أنه إذا أُتيح المجال للزنجي؛ فسيفقدُ الأمريكي امرأته، لأن الزنجي أكثر حيوية، فهو جنسيّاً أكثر حيويةً، وأكثر نشاطاً، طاقتهُ ما زالت بدائية. تلك هي أكبر مخاوف المتحضرين: خسارة نسائهم. فهم يعرفون أنه إذا وجِدَ أشخاصٌ أكثر حيوية منهم، فلن يكونوا قادرين على الاحتفاظ بنسائهم.

تقول التانترا: في عالم أولئك الذين ما زالوا بدائيين، توجد إمكانيةً للبدء بالنمو. لقد نما المتحضر في اتجاه خاطئ، بينما البدائيون لم ينضجوا بعد.. ومازال بإمكانهم أن يختاروا الاتجاه الصحيح. لذا فهم أكثر إمكانية للوصول إليه؛ وليس أمامهم أي شيء يعيقهم، وبإمكانهم أن يمضوا إليه مباشرة.

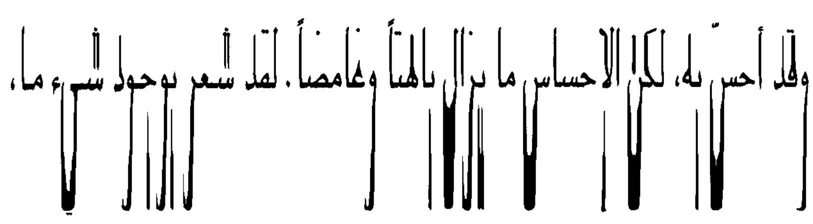
أما المرأة صانعة السهام فهي امرأة من طبقة دنيا، وبالنسبة لساراها.. المثقف البراهمي، البراهمي الشهير، الذي كان ينتمي إلى البلاط الملكي، فإن ذهابه إلى المرأة صانعة السهام هو مسألة رمزيّة. إذ يجب على المتعلم أن يذهب إلى الحيوي، وعلى البلاستيكي أن يذهب إلى الحقيقي.

شاهد ساراها تلك المرأة، وكانت امرأة شابة نشيطة جداً ومفعمة بالحياة، تُقَطِّعُ نصلة سهم دون أن تنظر إلى اليمين أو إلى اليسار، لكنها منهمكة كليّا في عملها.

على الفور شعر بشيء استثنائي في طلعتها، شيء ما لم يصادفه سابقاً. حتى سري كيرتي، معلّمه، بُهت أمام طلعة هذه المرأة. شيء نضِرٌ جداً وشيء من المنبع ذاته...

كان سري كيرتي فيلسوفاً عظيماً. أجل، لقد طلب من ساراها بأن يتخلّى عن كل تعليمه السابق، لكنه ظل رجلاً متعلماً. كما طلب منه أن يتخلى عن كل الفيدات والكتب المقدسة، ولكن ظلّت لديه كتبه المقدسة الخاصة وفيداه الخاصة. ومع أنه كان معادٍ للفلسفة، إلا أن معاداته للفلسفة كانت بنت الفلسفة. أما الآن؛ فلدينا امرأة لا هي فيلسوفة ولا هي معادية الفلسفة.. إنها ببساطة لا تعرف ما هي الفلسفة، وهي سعيدةٌ أيضاً لجهلها بعالم الفلسفة وبعالم الفكر. إنها امرأة فعل، تستغرق تماماً بما تفعله.

راقبَ ساراها المرأة بعناية: لقد أصبح السهم جاهزاً الآن، كانت تغمض عيناً وتفتح العين الأخرى، متّخذةً وضعية تسديد نحو هدف وهمي. اقترب ساراها أكثر. لم يكن هناك هدف الآن، كانت تتخذ وضعاً ليس أكثر. لقد أغمضت عيناً وأبقت الأخرى مفتوحة، مسدّدةً نحو هدف ما، مجهول وغير مرئي، أو بالأحرى لم يكن هناك هدف. وبدأ ساراها يشعر برسالة ما. فهذا الوضع كان رمزياً،



وقد أحس به، لكن الاحساس ما يزال باهتاً وغامضاً. لقد شعر بوجود شيء ما، لكنه لم يستطع أن يتبيَّنَ ماهيته.

وهكذا سأل المرأة إن كانت تحترف صنع السهام، فضحكت بصوت عال ضحكة همجية وقالت: "أنت براهمي غبي! تخليت عن الفيدات، لكنك الآن تعبدُ أقوالَ بوذا ودَهامّابادا. إذن ما الهدف من ذلك؟ لقد غيّرتَ كُتُبَكَ، غيّرتَ فلسفتكَ، لكنك بقيت طوال الوقت الرجل الغبي نفسه".

صُدِمَ ساراها. فلم يسبق أن كلّمه أحد بتلك الطريقة، فقط امرأة أمّية يمكن أن تتحدث بهذه الطريقة. لأن الطريقة التي ضحكت بها كانت مبتذلة جداً، بدائيّة للغاية.. ومع ذلك، كان هناك شيء ما حيٌ جداً. وشعر بأنه منجذب له.

كانت مغناطيساً هائلاً ولم يكن هو سوى قطعة من الحديد. وبعد ذلك قالت: "هل تظن نفسك بأنك بوذي؟ - لا بد أن ساراها كان في ثوب راهب بوذي، وهو الثوب الأصفر — ثم ضحكت مرةً أخرى وقالت: "يمكن معرفة معنىً البوذية فقط من خلال الأفعال، وليس من خلال الكلمات ولا الكتب. أليس هذا كافياً لك؟ ألم تُتخَم بعد من كل هذا؟ لا تهدر الوقت أكثر في ذلك البحث العقيم. تعال واتبعني! "

ثم حدث شيء ما، شيء يشبه الصلة الحميمة. لم يكن قد شعر بمثل ذلك من قبل. واتضح له في تلك اللحظة المغزى الروحي لما كانت تفعله. لم تكن تنظر إلى اليسار ولا إلى اليمين، لقد رآها تنظر إلى الوسط فقط.

وللمرة الأولى فهم ما يعنيه بوذا من أن يكون الإنسان في حالة الوسط؛ وهذا يعني تَجنُّب القطبين. في البداية كان فيلسوفاً، والآن أصبح ضد الفيلسوف.. أي.. من تطرف إلى تطرّف آخر. في البداية كان يؤلّه شيئاً، والآن يؤلّه النقيض تماماً.. غير أن التأليه باقٍ. تستطيع أن تتحرك من اليسار إلى اليمين، ومن اليمين إلى اليسار، لكن ذلك لن يفيدك بشيء. ستكون مثل بندول يتحرّك من اليسار إلى اليمين، ومن اليمين إلى اليسار.

فهل لاحظتَ؟.. أن البندول حينما يتحرّك إلى اليمين، فإنه يكتسب دَفعة كي يتحرّك إلى اليسار؛ وحينما يتحرّك إلى اليسار يكتسب دفعة ثانية للتحرك إلى اليمين. وتستمرّ الساعة، ويستمر العالم. ولكي يكون البندول في الوسط.. يعني

أن يتدلّى هناك، تماماً في الوسط، لا في اليمين ولا في اليسار. حينها تتوقف الساعة، ثم يتوقف العالم. عندئذ لا يعود للزمن وجود . . . عندئذٍ تحدث حالة انعدام الزمن.

سمع هذا من سري كيرتي عدة مرات، قرأ عنه، فكّر وأمعن النظر به كثيراً، تجادل فيه مع الآخرين ، أن تكون في الوسط لهو أمر صحيح. وللمرة الأولى رأى ذلك بشكل عملي: لم تكن المرأة تنظر إلى اليمين ولا إلى اليسار. . . كانت تنظر في الوسط فقط، لقد ركزت نظرها في الوسط.

الوسط هو النقطةُ التي يحدث منها التجاوز. فكّرَ في هذا الأمر، تأمّلَ فيه، راقبَهُ في الحياة. فالإنسان الذي يجري وراء المال، هو إنسان مجنون، إنه مجنون المال، فالمال هو معبوده الوحيدُ. . .

إمرأة كانت تسأل الأخرى، "لماذا هجرت صديقك؟ ماذا حدث؟ ظننتُ أنك مخطوبة وبأنك تعتزمين الزواج.. ما الذي حدث؟ "

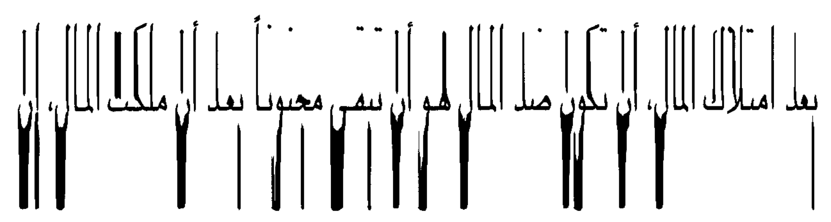
أجابت المرأة، "أدياننا مختلفة، ولهذا انفصلنا."

احتارت السائلة لأنها كانت تعرف بأنّ كليهما كانا كاثوليكيين، لذلك قالت: "ماذا تَعنين بأنّ أديانكما مختلفة؟ "

أجابت المرأة، "هو مُفلس وأنا أعبد المال".

هناك أناسٌ إلههم الوحيد هو المالُ. وذات يوم، سيفشل هذا الإله.. سيفشل حتماً. إذ لا يمكنُ للمالِ أن يكون إلهاً. لقد كان وهمك، كنتَ تتخيّل. يوماً ما ستصل إلى نقطة تستطيع أن ترى منها بأنه لا إله في المال، ولا يوجد شيء فيه، وبأنك كنت تهدر حياتك. عندئذٍ ستنقلبُ عليه، وتأخذُ موقفاً معاكساً: أي أنك تصبح ضد المال. ثم تتركه، ولن تَمَسّه. والآن.. أنت متوجّس باستمرار، أنت الآن ضدّ المال لكن هاجس المال باقٍ. انتقلت من اليسار إلى اليمين، لكن مركز وعيك ما زال هو المال.

يمكنك الانتقال من رغبة إلى أخرى. كنتَ إلى حدٍ كبير دنيويّاً جدّاً، وكان بمقدورك ذات يوم أن تصبح لادنيوياً.. لكنك تبقى كما أنت عليه دون تغيير، ويستمر المرض. يقول بوذا: أن تكون دنيوياً يعني أن تكون دنيوياً، وأن تكون لادنيوياً يعني أيضاً أن تكون دنيوياً. أن تعيش لأجل المال هو أن تعيش مجنوناً



التماس القوة حماقة، والهروب منها حماقة أيضاً. أما حين تكون في الوسط فهي الحكمة بحد ذاتها.

رأى ساراها ذلك بالفعل للمرة الأولى.. لم يكن قد شاهد ذلك حتى لدى سري كيرتي. كان هذا حقيقةً. وكانت المرأة مُحقّة عندما قالت: "يمكنك أن تتعلم فقط من خلال العمل". فقد كانت مستغرقة للغاية في عملها بحيث أنها لم تكن تنظر إلى ساراها الذي كان واقفاً يراقبها. كانت بكلّيتها مستغرقة، كانت بكاملها في العمل.. وتلك هي رسالة بوذا مرة أخرى: أن تكون بكلّيتك مستغرقاً في العمل يعني أن تكون متحرراً من العمل.

خُلقت الكارما لأنك لم تكن منغمساً كلّياً بالعمل. فلو كنت كذلك، لما خلّف ذلك أيَة تبعات. اعمل أي شيء بشكل كامل فتنتهي منه، ولن تحمل منه أي ذكرى نفسية. افعل أي شيء بشكل ناقص ولسوف يعلق بك باستمرار.. لأن العمل الناقص ذو تَبعات. والعقل يُريدُ دوماً الاستمرار والقيام به وإكماله.

والفكر لديه ميل عظيم لإكمال الأشياء. أكملْ أيّ شيء فينتهي الفكر. إذا استمرّيت بعمل الأشياء بصورة كاملة، ذات يوم ستجد فجأة أن الفكر لم يعد موجوداً.

إن الفكر هو الماضي المتراكم من كل الأعمال الناقصة.

أردتَ أن تُحبَّ امرأةً لكنك لم تُحب، ثم ماتت المرأة. أردتَ أن تذهب إلى والدك لتطلب الصفح عن كل ما فعلته معه، أردت الصفح عن كل ما كنت تفعله بطريقة مؤذية.. الآن وقد مات والدك، ستبقى التبعات إذن. سيبقى الشبح. . . والآن تجد نفسك عاجزاً.. فما العمل؟ إلى من ستذهب؟ وكيف تطلب الصفح؟ أردتَ أن تكونَ لطيفاً مع صديقك غير أنه لم يعد يمكنك ذلك لأنك أصبحت منغلقاً. والصديق لم يعد صديقاً، لأنه تأذّى منك. فتبدأ حينئذٍ بالشعور بالذنب، وبالندم. وتستمر الأشياء على هذا المنوال.

قم بأي عمل بصورة كاملة فتتحرر منه، ولا تنظر إلى الخلف فالرجل الحقيقي لا ينظر للخلف أبداً.. لأنه لا يوجد شيء لتنظر إليه. الرجل الحقيقي ليس لديه تبعات. إنه ببساطة يمضي للأمام.

عيناه صافيتان لا يعكّرهما الماضي، رؤيته جليّة. وبذلك الجلاء يعرف المرء ما هي الحقيقة.

أنت قلق جداً بسبب أعمالك الناقصة.. التي تُشبه مكَبّ الخردوات. حيث شيء ناقصٌ هنا، وشيء ناقصٌ هناك .. لا شيء مكتمل. هل راقبت ذلك؟ هل سبق وأن أكملتَ أيّ شيء؟ أم أنَّ كل شيء ناقص وحسب؟ ثم تستمر بتنحية أمرٍ من الأمور جانباً وقبل أن يكتمل تبدأ بأمر آخر. هكذا تُصبحُ مثقلاً أكثر فأكثر.. هذه هي الكارما*، فالكارما تعني العمل الناقص.

كن كاملاً ... وستكونُ عندئذ حراً.

كانت المرأة مستغرقة في عملها بشكل كامل. لهذا بدت مشرقة للغاية، بدت جميلة جداً. كانت امرأة عادية، غير أن جمالها لم يكن من هذه الأرض. فجمالها جاء بسبب استغراقها الكامل ولأنها لم تكن متطرفة. بل لأنها كانت في الوسط، لأنها كانت متوازنة.

فمن التوازن تولد النعمة.

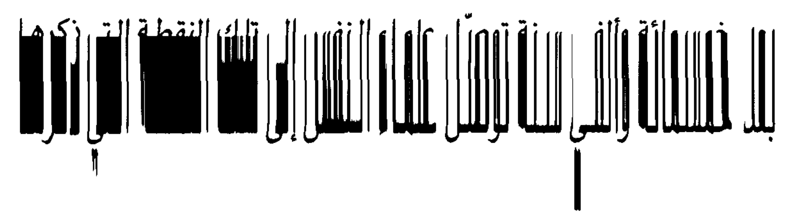
إنها المرة الأولى التي صادف فيها ساراها امرأة لم تكن جميلة جسدياً وحسب، بل كانت جميلة روحياً أيضاً، وبالطبع، كان مستسلماً. وكان مستغرقاً تماماً، مستغرقاً في كل ما كانت تفعله، وفَهِمَ للمرة الأولى بأن هذا هو التأمُل. ليس التأمّل أن تجلسَ لفترة معيّنة وتردد مانترا*، وليس بأن تذهب إلى الكنيسة أو إلى المعبد أو إلى المسجد، ولكن بأن تكونَ بكلّيتك منغمساً في الحياة.. ليس التأمل بأن تستمر بفعل الأشياء التافهة، بل أن تكون بمثل هذا الاستغراق الذي يوحي بالتعمّق في كل عمل.

لقد فَهِمَ للمرة الأولى ما معنى التأمل. كان يَتأمّل سابقاً، وكان يناضل بصعوبة، ولكنها المرة الأولى التي يكون فيها التأمل هكذا، حيّا. استطاع أن يشعر به. أن يلمسه. كان شيئاً ملموساً تقريباً. وبعدئذٍ تَذكّرَ أن إغماض عين، وفتح الأخرى، هو رمز، رمزٌ بوذي.

---

* الكارما: قانون الفعل وردة الفعل، حصيلة الأعمال الجيدة والسيئة المرتكبة في كل حياة والتي تتحدد على أساسها طبيعة الحياة القادمة.

* المانترا: كلمة أو صيغة مقدسة قصيرة يرددها الشخص في التأمل.



بوذا من قبل، فهم يتفقون معه الآن...حيث يقول بوذا إن نصف الدماغ يُفكّرُ والنصف الآخر يحدس. فالدماغ ينقسم إلى قسمين، إلى نصفي كرة. الجانب الأيسر هو ملكة الفكر، والمنطق، والاستنتاج، والتحليل، والفلسفة، واللاهوت. . . وبالتالي، الكلمات ثم الكلمات والمجادلة والقياس والاستنتاج. فالجانب الأيسر إذن هو جانب أرسطوطاليسي.

أما الجهة اليمنى للدماغ فهي حدسيّة، إنها ملكة الإلهام الشاعري، والبصيرة، والوعي البديهي والإدراك البديهي. وليست للمجادلة.. لأنك ببساطة.. تدرك ولا تستنتج.. وهذا هو معنى الإدراك البديهي: فالإدراك موجودٌ ببساطة.

وهكذا تُعرَفُ الحقيقة بواسطة الجانب الأيمن للدماغ، وتُستَنتَجُ بواسطة الجانب الأيسر. والاستنتاج هو مجرّد استنتاج، وليس اختباراً.

أدرَكَ ساراها فجأة أن المرأة عندما أغمضت إحدى عينيها: كان ذلك رمزاً لإغماض عين الفكر، عين المنطق. وعندما فَتحت الأخرى كان ذلك رمزاً للحب، للحدس، للوعي. ثم تَذكّرَ وقفتها.

وعند التسديد نحو المجهول غير المرئي، نكون في رحلة لمعرفة المجهول.. لمعرفة ما لا يمكن معرفته. وهذه المعرفة هي المعرفةُ الحقيقيةُ: معرفة ما لا يمكن معرفته، وإدراك ما لا يمكن إدراكه، وإحراز ما لا يمكن إحرازه. وهذا الحماس الفريد، هو ما يجعل المرء باحثاً وَرِعاً.

نعم، إنه مستحيل. ولكنني لا أعني بـ "مستحيل" بأنّه لن يحدث، بل أعني أنّه لن يحدث ما لم تتغيّر أنت بالكامل. لا يمكن أن يحدث طالما أنك باقٍ كما أنت، ولكن هناك سبلاً مختلفة أمام الكائن. بحيث يمكنك أن تكون إنساناً جديداً تماماً... وعندئذ يحدث المستحيل، ولكنه يحدث لإنسان من نوع مختلف. لهذا يقول السيد المسيح: ما لم تولد من جديد فلن تعرفه، لكن إنساناً جديداً سيعرفه.

تعال إلي. أنت لا تعرف ما سيحصل لك. علي أن أقتلك، يجب أن أكون شديد القسوة والخطورة عليك... فلابد أن تزول. بعدها سيولد الإنسان الجديد، قادمٌ بوعي جديد.. سيتحطم فيك كل ما يحمل بطبيعته الزوال فقط،

أما الراسخ فسيبقى. لأن فيك شيء لا يمكن تدميره، شيء لا يمكن تحطيمه، ولا أحد في الدنيا يستطيع تحطيمه. وعندما تحقق ذلك العنصر الراسخ في كيانك، ذلك الوعي الخالد، تكون إنساناً جديداً، وعياً جديداً.
من خلال ذلك يغدو المستحيل ممكناً، ويتحقق ما هو صعب المنال.

لذا فقد تَذكّرَ الوقفة والتسديد نحو المجهول، نحو اللامرئي، نحو ما لا سبيل لمعرفته، نحو الواحد .. ذلك هو التسديد. كيف تكون واحداً مع الوجود؟ بأن تكون اللاثنائيّة هي هدف التسديد، حيث يتلاشى الهدف والموضوع، حيث نتلاشى أنا وأنت ..

هناك كتاب عظيم ومشهور جداً لمارتن بوبر عنوانه أنا وأنت I and Thou. يَقول مارتن بوبر: إن تجربة الصلاة هي تجربةُ أنا-أنت I-Thou.. وهو على حق. فتجربة الصلاة هي تجربةُ أنا- أنت: الله هو "أنت " Thou، وأنت تَبْقى " أنا I "، إذن لديك حوار، لديك مشاركة مع الـ أنت Thou. لكن البوذية ليس فيها صَلاةُ، البوذية تمضي للأعلى. البوذية تقول: حتى لو كانت هناك علاقة أنا – أنت، فإنك تبقى منقسماً، تبقى متباعداً. يمكنك أن تَصرُخَ من كلا الجانبين، غير أنه لن تكون هناك مشاركة. المشاركة تحصل فقط عندما لا تعود الـ أنا – أنت منقسمة، عندما يختفي الهدف والموضوع (الذات والموضوع)، حيث لا يوجد لا أنا ولا أنت، لا باحث ولا بحث. . . عندما تتواجد الوحدةً والائتلاف.

ولكي ندرك مغزى هذا، وننظر في أفعال هذه المرأة ونتعرف على الحقيقة، نجد أنها أسمته ساراها، في حين أن اسمه كان راؤول؛ وساراها كلمة جميلة تعني "من رمى السهم".

إن كلمة "سارا" تعني سهم، و"ها" تعني رمى. وبالإجمال اسم ساراها يعني "الشخص الذي رمى السهم".

حينما أدرك مغزى أفعال تلك المرأة وإيماءاتها الرمزية، وعندما استطاع أن يقرأ ويحل شيفرة ما كانت تحاول تقديمه، وما كانت تحاول إظهاره، أصبحت في منتهى السعادة.

رَقصت ونادته "ساراها"، ثم قالت، "الآن وبدءاً من اليوم ستُدعى ساراها: لقد رميت السهم وحققت الاختراق بفهمك لمغزى أفعالي". فقال لها، "أنتِ لستِ

صـانعة سـهام عاديـة وأنـا آسـفُ لأنـنى اعتقـدت بأنـك صـانعة سـهام عاديـة،

أعذريني، أنا آسـفُ جداً. أنت مُعلّمة عظيمة وأنا من خلالك ولدت من جديد. لغاية يوم أمس لم أكن براهمياً حقيقياً، ولكن منذ اليوم أنا براهمي حقيقي. أنت معلّمتي وأنت أمّي وأنت من منحني ولادة جديدة. لم أعد الشخص ذاته. لذا فأنت على حق.. لقد أسقطت اسمي القديم ومنحتني اسماً جديداً".

تسألونني أحياناً، "لماذا تعطي أسماءً جديدة؟". إنني أفعل ذلك لإسقاط الشخصيّة القديمة، لنسيان الماضي، حتى لا يكون هناك أي ارتباط به. خالياً من شوائبه. يجب أن تصبح مقطوع الصلة بالماضي. وهكذا.. راؤول أصبح ساراها.

إن مفتاح ذلك اللغز هو أن المرأة لم تكن إلاّ بوذا متوارياً. إن الاسم المُعطى لبوذا في الكتب المقدّسة هو سوخناتا.. أي البوذا الذي جاء لمساعدة الرجل المنتظَر العظيم ساراها. وإن بوذا المتحقق في اسم سوخناتا قد اتخذَ شكل إمرأة. ولكن لماذا؟ لماذا اتخذ شكل امرأة؟ لأن التانترا تؤمن بأن الرجل فقط هو من يولد من امرأة، لذا فإن الولادة الجديدة لتابع ستكون من امرأة أيضاً. والحقيقة أن كل المعلمين هم أمهات أكثر مما هم آباء. يمتلكون مزيّة الأنوثة. فبوذا أنثوي وكذلك مهافِر وكريشنا. لهذا يمكنك أن ترى نعمة الأنوثة، ونعمة التكوّر الأنثوي، يمكنك أن ترى الجمال الأنثوي، يمكنك أن تنظر في عيونهم دون أن تجد العدوانية الذكورية. لذا فإنه لأمر في منتهى الرمزية أن يتّخذ بوذا شكل امرأة. والحقيقة أن بوذا يتّخذ دائماً شكل امرأة.

قد يعيشون في جسد ذكري، لكنهم أنثويون.. لأن كل من وُلدَ، قد وُلدَ من الطاقة الأنثوية. أما الطاقة الذكرية فيمكن أن تتسببَ في إشعال فتيلها، لكنها لا تمنح ولادة.

ينبغي أن يُبقيكَ المعلّم في رحمه شهوراً، أو سنوات، وأحياناً عدة حيوات. لا أحد يعرف أبدا متى تكون جاهزاً لكي تولد. ينبغي أن يكون المعلّم أمّاً. وأن يحتوي على الطاقة الأنثوية بشكل هائل، بهذا يكون بمقدوره أن يُمطرَ الحُب عليك.. عندئذٍ فقط يستطيع الهدم. وما لم تكن متأكدا من حبه، فلن تسمح له بهدمك. كيف ستثق إذن؟ إن حبه فقط هو ما سيجعلك قادراً على الثقة. ومن

خلال الثقة، شيئاً فشيئا، سيَقطعك إرباً إربا. وذات يوم ستختفي فجأة. رويداً رويداً رويداً، ثم تتلاشى.. بعدها يولد الكائن الجديد.

تقبّلته صانعة السهام. والحقيقة أنها كانت تنتظره. المعلّم ينتظر المريد. والتقاليد القديمة تقول: قبل أن يختار المريد المعلم، يكون المعلّم قد اختاره. ذلك ما حصل بالضبط في قصة سوخناثا هذه، حيث كان سوخناثا يتوارى في شكل امرأة تنتظر ساراها لكي يأتي ويكون التحوّل من خلاله.

ويبدو الأمر أكثر منطقيّةً حين يكون على المعلّم أن يختار أولاً .. لأنه أكثر اطّلاعاً، لأنه يعرف. فهو يستطيع أن يَلِجَ إلى صميم إمكانات كيانكَ، إلى القدرة الكامنة فيك ذاتها. يستطيع أن يرى مستقبلك. يستطيع أن يرى ما يمكن أن يحدث. حينما تختار مُعلّماً، تظن بأنّك قد اخترت.. لكنك مخطئ. كيف يمكنك أن تختار معلّماً؟ فأنت أعمى للغاية، كيف تستطيع أن تميّز المعلم؟ أنت جاهل جداً، كيف تستطيع أن تشعر بمعلّم؟ إذا بدأت تشعر به، فذلك يعني أنه دخل إلى قلبك وأخذ يلعب بقدراتك.. ولهذا تبدأ بالإحساس به.

أما ما يحدث دائماً فهو أن المريد قبل أن يختار معلماً، يكون المعلم قد اختاره.

تقبّلته صانعة السهام. فقد كانت تنتحبُ من أجل أن يأتي ساراها. بعد ذلك انتقلا إلى أرض محرقة الجثث وبدأا بالعيش معاً. ولكن لماذا إلى أرض محرقة الجثث؟ لأن بوذا يقول: ما لم تفهم الموت، لن تكون قادراً على فهم الحياة. وما لم تمت، فلن تولد من جديد.

لقد عاش العديد من أتباع التانترا في أرض محرقة الجثث زمن ساراها. كان هو المؤسس لهذه السُنّة، وقد عاش فيها. حيث كان يُحضَرُ الموتى، وتُجلب الجثث وتُحرَق، هناك عاش.. هناك كان منزله الذي عاش فيه مع صانعة السهام هذه، عاشوا معاً. كان بينهما حبّاً عظيماً.. ليس حُبَّ امرأة لرجل، بل حب المعلّم لمريده، وهو بالتأكيد أسمى من أن يبلغه حبُ رجل لامرأة، لا بل هو أكثر حميميّة، بالتأكيد أكثر حميميّة... لأن مسألة حب رجل لامرأة هي مجرّد حب أجساد. وعلى أبعد تقدير يرتقي هذا الحب أحياناً إلى مستوى العقل، وإلاّ فإنه يبقى في مستوى الجسد.

هائل، حب عظيم، نادراً ما يحدث على الأرض.

علّمَتْهُ المرأة التانترا. لأن من يستطيع أن يُعلّم التانترا هو امرأة فقط. وقد سألني أحد الأشخاص، لماذا اخترت كافيشا لتكون زعيمة مجموعة التانترا...

لأن المرأة فقط هي من يستطيع قيادة مجموعة التانترا. سيكون ذلك صعباً على الرجل. نعم، يمكن أحياناً أن يكون القائد رجلاً، ولكن عليه حينئذٍ أن يكون أنثوياً للغاية. المرأة أنثويّة بالفطرة، فهي تملك دَوماً تلك الميزات، تلك المحبة، ميزات الحنان، لأنها بشكل طبيعي تملك ذلك الاهتمام، ذلك الحب، ذلك الإحساس بالرقّة.

غدا ساراها تانترياً تحت قيادة صانعة السهام هذه. ولم يعد بعد الآن يتأمل. لقد ترك ذات يوم جميع الفيدات والكتب المقدسة والمعرفة وترك حتى التأمل. بدأت الإشاعة تنتشر في جميع أنحاء البلاد: لم يعد ساراها يتأمل. إنه يغنّي، وهو بالطبع يرقص أيضاً، لكنه لم يعد تأمُلَ. لقد أصبح الغناء هو تأمله. والرقص هو تأمله. وأصبح الابتهاج أسلوب حياته بالكامل.

إن جمال التانترا يكمن في العيش والاحتفال في أرض محرقة الجثث! العيش بسعادة حيث لا يحدث سوى الموت!.. التانترا تجمع النقائض معاً، تجمع المتضادات، تجمع المتعارضات. فلو ذهبت إلى أرض المحرقة ستشعر بالكآبة، سيكون من الصعب عليك أن تكون سعيداً، من الصعب جداً أن تغني وترقص حيث تُحرق الجثث، حيث الناس يبكون ويندبون. وفي كل يومٍ موتٌ ثم موتٌ...موتٌ في الليل وموت في النهار. فكيف ستبتهج؟.

لكنك إذا لم تستطع أن تبتهج هناك، عندها فإن كل ما تعتبره بهجتك هو مجرّد ادعاء. إذا أمكنك الابتهاج هناك، عندها ستحصل على البهجة بالفعل. لأنها الآن غير مشروطة. عندئذٍ لا فرق إذا حدثَ الموت أو الحياة، إذا كان شخص يولد أو يموت.

أخذ ساراها يرقص ويغنّي. لم يعد جديّاً.. لأن التانترا ليست كذلك. التاننترا دعابية الطبع. صحيحٌ إنها صادقة، لكنها ليست جدية. إنها ابتهاجية جداً. لقد

دخل اللعب كيانه.. التانترا لعب، لأن التانترا هي أعلى شكل متطور للحب: فالحب لعب.

هناك أناس لا يرغبون حتى بأن يكون الحب لعباً. يقول الماهاتما غاندي: افعل الحب فقط عندما تريد التكاثر. حتى لو تحول الحب إلى فعل.. إلى تناسل. والكلمة بحد ذاتها تبدو قبيحة. مارس الحب مع امرأتك فقط عندما تريد التكاثر... فهل هي مصنع؟! "تكاثر"؟.. الكلمة فعلاً قبيحة. الحب لهو! مارس الحب مع امرأتك عندما تشعر بأنك سعيد، عندما تشعر بأنك مبتهج، متى تكون في قمة العالم. شارك في تلك الطاقة. أحبّي رَجُلَك عندما تمتلكين تلك المَلَكَة من الغناء والرقص والبهجة.. ولكن ليس من أجل التناسل! فكلمة "تناسل" بذيئة! اجعلي الحب يحصل من البهجة، من البهجة الغزيرة. امنحيها عندما تمتلكينها!

دخل اللعب كيان ساراها. لأن المُحب يتحلّى بروح اللعب دائماً. وفي اللحظة التي تموت فيها روح اللعب، عندها تصبحان زوجاً أو زوجة، فلا تعودان مُحبّين، وعندئذٍ تتكاثران. في اللحظة التي تصبحان فيها زوجاً أو زوجة، يكون قد مات فيكما شيء جميل. ولا تعودُ هناك حياة، فيتوقف تدفق عصارة الحياة؛ وتصبح الحياة مجرّد دجل ونفاق.

دخل اللعبُ حياته، وعبر اللعب يوُلدَ الدين الحق. كانت نشوته معدية بحيث شرع الناس بالقدوم لرؤيته وهو يرقص ويغنّي. وعندما يرغب الناس بالحضور والمشاهدة، فهم يريدون الرقص والغناء معه. وتحولت أرض محرقة الجثث إلى احتفال مهيب. صحيحٌ أن الأجساد كانت لا تزال تحترق، إلا أن الحشود أخذت بالتجمّع أكثر فأكثر حول ساراها والمرأة صانعة السهام، خالقين بهجة عظيمة على أرض محرقة الجثث تلك.

كما انتقلت عدوى النشوة حتى إلى الذين لم يسمعوا أبداً أي شيء عن النشوة، فأرادوا المجيء من أجل الغناء والرقص والسقوط في النشوة والدخول في السمادهي*. كان اهتزازه القوي جداً، وحضوره الطاغي قد أصبحَ فعّالاً جداً

---

* السمادهي هي مرحلة الاستغراق في المطلق.

بسوية اتصال عالية. كان ثملاً جداً لدرجة أن سكره الداخلي بدأ يفيض على الآخرين الذين تحلّقوا حوله. كان ثملاً جداً لدرجة أن الآخرين بدأوا يصبحون ثملين أكثر فأكثر.

ولكن كان من الحتمي آنذاك أن يبدأ البراهمة والكهنة والعلماء وما يُسَمّى بالناس المتديّنين، بذَمّه وتشويه سمعته.. وهو ما أقصده بالأمر الحتمي. فعندما يوجد رجل مثل ساراها، فإن العلماء والكهنة سيقفون ضده، ومن يُسَمَّونَ بالناس الأخلاقيين، والمتزمتين، والواثقين بأنفسهم، فبدأوا دون تردد بنشر الإشاعات المغرضة عنه.

أخذوا يقولون للناس: "بأنه ساقطٌ فاسد. لم يعد براهمياً. لقد ترك العزوبة. حتى أنه لم يعد راهباً بوذياً. لقد انغمس في ممارسات مخزية مع امرأة من طبقة وضيعة وهو يركض حولها في كل الاتجاهات مثل كلب مجنون". نشوته بالنسبة لهم كانت مثل نشوة كلب مجنون .. والواقع أن ذلك يتوقف على كيفية تفسيرك له. كان ساراها يرقص في كل أرجاء أرض محرقة الجثث. كان يبدو مجنوناً، لكنه لم يكن كلباً مجنوناً.. بل كان إلها مجنوناً! وهذا يتوقف أيضاً على كيفية نظرتك له.

أُخبِرَ الملك أيضاً بهذه الأشياء. كان قلقاً ومنشغل البال لمعرفة ما حدث بالضبط. وبدأ الناس بالتوافد أكثر فأكثر على الملك. كانوا يعرفون ساراها، ويعرفون أن الملك كان على الدوام يُكنُّ احتراماً عميقاً له، وبأنه أراد تعيينه كمستشار له في البلاط. لكن ساراها اعتزل العالَم. كان الملك يكنُّ احتراما كبيراً لعلمه، لهذا بدأوا بالتوافد إلى الملك.

كان الملك منزعجاً لذلك، فقد أحبَّ الشاب واحترمه أيضاً، وكان مهتّماً به. فأرسل بضعة أشخاص لإقناع ساراها وليقولوا له: " عُد إلى حياتك القديمة. أنت براهمي، والدك كان عالماً كبيراً، أنت نفسك كنت عالماً كبيراً.. فماذا تفعل؟ لقد ضللتَ. عد إلى البيت. إنني مازلت هنا! تعال إلى القصر وكن جزءاً من عائلتي فعملك هذا ليس جيداً".

حين ذهبوا إليه أنشد ساراها مئة وستين بيتاً من الشعر لأولئك اللذين جاؤوا لتحويله عن عقيدته. مئة وستين بيتاً من الشعر... فبدأ هؤلاء بالرقص ولم يعودوا!

قلق الملك قلقاً شديداً. وكانت الملكة، زوجة الملك، مهتمّة أيضاً بالشاب. فقد أرادت أن يتزوج ابنتها، لذلك ذهبت هي أيضاً إلى هناك. وأنشد ساراها للملكة ثمانين بيت شعر... فلم تعُد هي الأخرى.

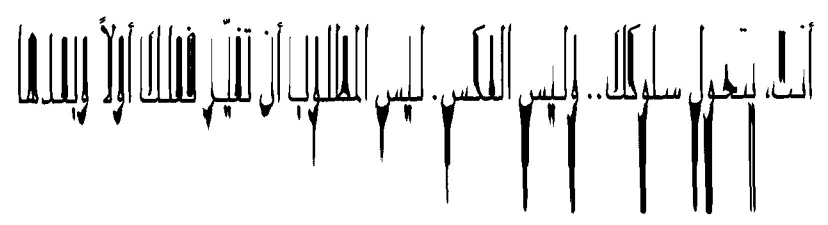
والآن، صار الملك مشوّشاً جداً: "ماذا يحدث هناك؟" لهذا ذهب بنفسه إلى هناك، وأنشد له ساراها أربعون بيتاً فتحوَّلَ الملك، وبدأ بالرقص في أرض محرقة الجثث مثل كلب مجنون.

إذن، توجد ثلاثة نصوص دينية باسم ساراها: الأول، مقطع أغنية الناس لساراها أولاً.. ثم مئة وثمانون مقطعاً شعرياً ثانياً. والنص الثاني أغنية الملكة، وهو مئة وستون مقطعا شعرياً أولاً، ثم ثمانون مقطعا شعريّاً ثانياً، أما النص الثالث فهو أغنية ساراها الملكية التي سنتأمل في أربعون مقطعاً شعرياً منها.

مئة وستون مقطعاً شعرياً للناس لأن فهمهم محدود، وثمانون مقطعاً للملكة.. لأن فهمها كان أعلى قليلاً، وأربعون للملك لأنه كان حقاً رجلاً ذا عقل راجح، وصاحب فهم وإدراك.

ولأن الملك تحوّل، فإن الدولة بأسرها تحولت شيئاً فشيئاً، وقد قيل في النصوص المقدسة القديمة بأنه قد آن الأوان كي تصبح البلاد فارغة. وكلمة فارغة كلمة بوذية. وهي تعني أن الناس أصبحوا بلا أجساد، تخلصوا من زلّات الأنا وبدأوا يستمتعون باللحظة. واختفى التدافع والضوضاء والتنافس الضاري من البلاد. وأصبحت بلاداً تنعم بالسكينة. غدت صامتة... كما لو أنه لا يوجد أحد. بدت كما لو أن الناس ما عادوا موجودين فيها، فقد حلّت عليها قَداسة عظيمة. وكان سببها تلك الأشعار الأربعون.

سندخل الآن في هذا الحج العظيم: أغنية ساراها الملكية. وهي تسمى أيضا " نشيد الفعل البشري".. وفي هذه التسمية تناقض كبير، لأن هذه الأغنية لا علاقة لها بالفعل، ومع ذلك سميت" نشيد الفعل البشري". وهو يتضمّن شيئاً يتعلّق بالكيان الإنساني، فعندما يتحول الكيان، يتحول الفعل. عندما تتحول



يتغير كيانكَ.. لا. فالتانترا تقول: غيّر كيانك أولاً وبعدها يتغير عملك تلقائياً. حقق أولاً نوعاً مختلفاً من الوعي، وسيلي ذلك نوعٌ مختلفٌ من الفعل ومن الشخصية والسلوك.

تؤمن التانترا بالكيان، وليس بالفعل ولا بالشخصية. لهذا السبب أيضاً سمّيت " أنشودة الفعل البشري".. لأنه حالَما يتحوّل الكيان، تكون أفعالك قد تحوّلت. تلك هي الطريقة الوحيدة لكي تغيّر أفعالك. إذ من هو القادر على تغيير أفعاله مباشرة؟ يمكنك فقط أن تدّعي بذلك.

إذا كان بداخلك غضب وتريد أن تغير فعلك، فماذا ستفعل؟

سوف تقمع الغضب وتُظهرُ وجهاً مزيفاً، عليك إذن أن تلبس قناعاً. إذا كان في داخلك رغبة جنسية، فماذا أنت فاعل لتصريفها؟ بمقدورك أن تقطع عهداً بالعزوبة.. بالبراهماتشاريا*.. وتستطيع أن تتظاهر بها، ولكن في الأعماق يستمر البركان. فأنت تجلس على بركان يمكن أن يثور في أية لحظة. وسوف ترتجف دائماً، وتظل خائفاً وقلقاً باستمرار.

ألم تلاحظ من يُسَمّون بالناس المتدينين؟ إنهم خائفون دائماً.. خائفون من جهنّم.. وهم دائماً يحاولون، بطريقة أو بأخرى، دخول الجنّة. لكنهم لا يعلمون ما هي الجنّة، لم يتذوّقوا طعمها قط.

فلو أنك غيرت وعيك، ستأتي الجنّة إليك، لا أن تذهب إليها. فلم يذهب أحد إلى الجنّة قط، ولم يذهب أحدٌ إلى جهنّم أيضاً. دع هذا يكون واضحاً مرة واحدة وإلى الأبد: الجنّة تأتي إليك، وجهنّم تأتي إليك. فهذا يتوقّف عليك، أي شيء سمّيتها فهي تأتي إليك.

إذا تغير كيانك، ستكون الجنّة في متناولك.. ستهبط الجنّة إليك. وإذا لم يتغير كيانك، ستدخل في صراع، وتواجه شيئاً غير موجود. ستصبح مُخادعاً ومخادعاً أكثر، فتغدو شخصين، وتصبح مريضاً بالفصام (الشيزوفرينيا)، ومنقسماً... تُظهرُ شيئاً، فيما تكون أنت شيئاً آخر. تقول شيئاً وتفعل شيئاً

* البراهماتشاريا هي السلوك القويم والتحكم بالدوافع الجنسية.

آخر. فتلعب مع نفسك باستمرار لعبة "الغمّيضة" . وسيكون الألم والقلق طبيعيّاً في مثل هذه الحالة.. وهذه هي جهنّم.

والآن إلى الأنشودة:

أَنحني لمانجوسْري النبيل
أَنحني لمن قهر المحدود

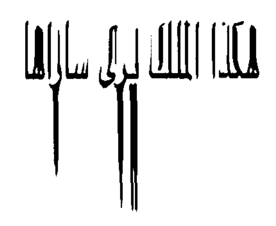
إن كلمة " مانجوسري " هذه بحاجة إلى توضيح. كان مانجوسري أحد أتباع بوذا، غير أنه كان تابعاً فريداً جداً. لقد كان لبوذا العديد من التابعين الفريدين في نواحٍ مختلفة. فماهاكاشياب كان فريداً لأنه استطاع أن يفهم بأن الرسالة لا تُنقلُ في كلمات.. إلخ. وكان مانجوسري فريداً لأنه امتلك أعظم ميزة لكونه معلّماً.

فعندما يواجه شخص ما مشكلة صعبة للغاية، أو يتورّط شخص في مشكلة، يُرسله بوذا إلى مانجوسري. ويكفي أن يُلفظ اسم مانجوسري حتى يبدأ الناس بالارتجاف. كان بالفعل رجلاً قاسياً وعنيفاً جداً. وحينما يُرسَلُ شخص إلى مانجوسري، فإن الأتباع يَقولون: "لقد ذهب إلى سيف مانجوسري." السيف الذي أصبح مشهوراً على مر العصور.. لأن مانجوسري اعتاد على قطع الرأس بضربة واحدة، فهو لم يكن بطيئاً. كان ببساطة يقطع الرأس بضربة واحدة. وكانت رأفته عظيمةٌ جداً بقدر ما كان قاسياً جداً.

وهكذا، شيئاً فشيئا أصبح اسم مانجوسري يمثّل لقباً لكلِّ المعلمين، ولأن جميعهم عطوفين؛ عليهم أيضاً أن يكونوا قُساة. فهم عطوفون لأنهم سيخلقون إنساناً جديداً فيك، وقساة لأنهم سيحطمون ويهدمون ذاك القديم.

هكذا عندما ينحني ساراها أولاً وقبل أن يبدأ أغنيته، يقول: أنحني لمانجوسري النبيل.. سيد كُلِّ السادة.. أنحني له، للذي قهر المحدود. وبعدها ينحني لبوذا الذي تجاوز المحدود، وأصبح المطلق.

كما المياه الساكنة التي تضربها الريح
تتحول إلى أمواج ودوّامات،



في أشكال عدة، على الرغم من أنه واحد.

تَخيَّلْ بحيرة، بحيرة صامتة وهادئة دون أمواج. ثمّ تأتي ريح شديدة وتشرعُ باللعب فوق سطحها، فتضطرب البحيرة، وترتفع ألف موجةٍ وموجة. مهلاً.. فقبل ذلك كانت صورة البدر منعكسة على البحيرة، أما الآن فلم يعد هناك بدر.

لا زال القمر منعكساً، لكنه تشظّى إلى ألف جزء وجزء. أصبح القمر في جميع أنحاء البحيرة.

لقد غدت البحيرة بكاملها فضية بسبب الانعكاس، لكنك لا تستطيع أن تمسك بالانعكاس الحقيقي للقمر مثلما يبدو في السماء. لأنه تشوّهَ تماماً.

يقول ساراها: هذه هي حالة العقل الدنيوي المخدوع. وهذا هو الفرق الوحيد بين بوذا وغيره من الناس. فبوذا هو أحد الذين لا تعصف بهم الريح. وهذه الريح تدعى تريشنا..أي الرغبة. فهلاّ نظرت ولاحظت؟ بأنه طالما كانت هناك رغبة، فإن هناك ألف موجة وموجة في قلبك، ويظل وعيك مضطرباً ومشوّهاً. وعندما تتوقف الرغبة، تصبح في راحة وفي سلام مع ذاتك.

لذلك فإن الرغبة هي الريح التي تشوّه العقل. وعندما يتشوّه العقل، لا يمكنه أن يعكس الحقيقة.

كما المياه الساكنة التي تضربها الريح
تتحول إلى أمواج ودوّامات،
هكذا الملك يرى ساراها
في أشكال عدة، على الرغم من أنه واحد.

هنا يقصد ساراها أمرين اثنين، الأول: إن عقلك قد تشوه كثيراً بالشائعات، وقد عصفت بسطحه ريح هائلة. والثاني: هو أنك لن تستطيع أن تراني لأن عقلك سيعكسني ألف شظيّة وشظية.. رغم أنني واحدٌ.

كان هذا حقيقة فعلاً. فقد أمكنه أن ينفذ ببصيرته إلى عمق الملك. وكان الملك حائراً. فمن جهة كان يحترم الشاب، ومن جهة أخرى كان يثق به دوماً

ويعرف بأنه لا يمكن أن يخطئ. لكن كثيراً من الناس، ممن يُسمَّون بالناس المحترمين الصادقين، الأغنياء، والمتعلمين، جاؤوا للملك وأكدوا جميعهم: " بأن ساراها أخطأ، وأنه قارَبَ الجنون.. وأصبح معتوهاً، ومنحرفاً، يعيش مع صانعة سهامٍ وضيعة. ويقطن في أرض المحرقة.. وهذا ليس مكاناً للعيش! لقد نسي كل شعائره القديمة ولم يعد يقرأ الكتب المقدّسة، ولم يعد يتغنّى باسم الله.

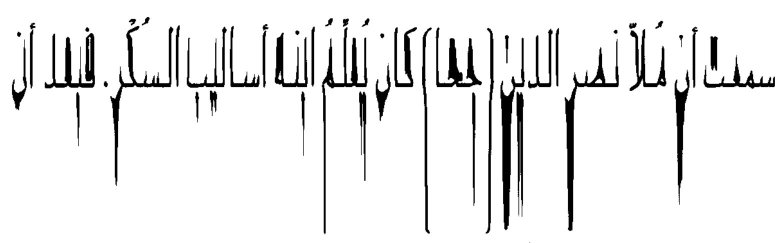
حتى أنه لم يعد يُسمعُ عنه بأنه يتأمل، كما انغمس في ممارسات غريبة، بشعة ومشينة".

تبدو التانترا مُخجِلة للناس المكبوتين جنسياً بشكل كبير. إنهم لا يستطيعون الفهم.. فبسبب كبتهم لا يستطيعون فهم ما يجري. لذلك فإن كل هذه الأشياء كانت مثل ريح عظيمة في عقل الملك. كان جزء منه يُحِبُ ويَحترِم، وجزء آخر يغرق في شك عميق.

نظر ساراها مباشرة ثم قال: هكذا يَحسَبني الملك بأنني في عدة أشكال، مع أنني واحد. فأنا كالبدر تماماً، لكن البحيرة مضطربة. لهذا أرجوك، إذا كنت تريد فهمي، فليست هناك وسيلة مباشرة لفهمي سوى أن توقف هذه الريح التي تعصف بعقلك. إذن دع وعيك يهدأ... ثم انظر. دع كل هذه التموجات والدوامات تتوقف، وليكن وعيك مثل بحيرة ساكنة، وبعدها انظر لنفسك. لا أستطيع إقناعك بما يحدث ما لم تكن قادراً على رؤيته. إنه يحدث، إنه هنا، إنني أقف أمامك هنا. إنّي شخص واحد، غير أنني أستطيع أن أنظر في داخلك.. فأنت تراني كما لو أنني ألف شخص.

أحمق من يلحظ المصباح الواحد اثنين
حيث أن المشاهِد والمشاهَد واحد وليس اثنين،
يا للغرابة!
إن الفكر يؤثر في كليهما.

وبعد ذلك يبدأ ساراها بالتشبيه كنايةً. فيقول أولاً: "مثل البحيرة أنت مضطربٌ" ثم يقول: أحمق من يلحظ المصباح الواحد اثنين.. أي أنه لا يستطيع رؤية مصباح واحد بل يرى مصباحين.



يسقيه بضعة جرعات يقول مُلاّ، الآن، دعنا نمضِ.

تـذكّر دائمـاً هـذه القاعـدة لكـي تتوقـف عـن الـشرب: "عنـدما تبـدأ برؤيـة الشخص الواحد كأنه اثنين، آنذاك عُد إلى البيت.. وكفى شرباً" .

لقد كان الشخص يبدو كشخصين... غير أن الابـن قـال: "أيـن؟ أيـن هـو ذلـك الشخص؟"

فقال ـ الأب ـ: "انظر هناك، على الطاولة يجلس شخصان؟" فقـال الابـن، " لا يوجد أحد!" لقد أفرط هو أيضاً بالشُرب كثيراً.

تذكّر، عنـدما تكون غير واعٍ، لا تعود الأشـياء تبـدو كما هـي عليـه، عنـدما لا تكون واعياً تبدأ بتخيل أشياء لا وجود لها. حاول أن تخـرج هـذه الليلـة وتنظـر إلى القمـر، ثـم اضـغط علـى عينيـك بإصـبعك وسترى بـأن القمـر قـد أصـبح قمـرين. وعندما ترى قمرين، فمن الصعب عليـك أن تصدّق بأنـه قمـر واحـد .. فأنـت تـراه قمرين.

إنك تظنُ ليس إلا. ورُبَّ شخص وُلِدَ بعيـب خلقـي: عينـه مـضغوطة بحيـث تجعلـه يرى الـشيء وكأنـه اثـنين.. دائمـاً سـوف يـرى شيـئين. فمـا تـراه أنـت شيئاً واحـداً، يراه هو اثنين.

إن رؤيتنـا الداخليـة مُغشّى عليها بعدة أشياء، وبالتـالي، نـستمر برؤيـة أشـياء هـي ليست كما تبدو لنا، إذ كيف يمكـن أن نـصدّق عندما نراهـا بأنهـا ليـست كمـا تبدو لنا؟ فنحن نثق بأعيننا، وأعيينا قد تكون منحرفة.

أحمق من يلحظ المصباح الواحد اثنين

لأن المشاهِد والمشاهَد واحد وليسا اثنين،

يقول ساراها للملك: إذا كنت تعتقد بأنني أنا وأنت شخصان، إذن فأنـت غيرُ واعٍ، أحمـق مخمـور، وبالتـالي لا تعـرف كيـف تـرى. فلـو أنـك تـرى حقـاً، فـسنكون حينذاك أنا وأنت واحد، حيث أن المشاهد والمشاهَد ليسا اثـنين. آنـذاك سـوف لـن ترى ساراها يـرقص هنـا .. بل سـترى نَفـسك مـن يـرقص هنـا. وعنـدما أدخل في

النشوة، ستدخل أنت في النشوة، فتلك هي الطريقة الوحيدة لتعرف ما حدث لساراها، ولا توجد طريقة أخرى.

فماذا حدث لي؟

إذا أردت أن تعرف، فما عليك سوى أن تصبح شريكاً في كياني. لا تكن مراقباً ولا تتنحى جانباً وتكون متفرجاً فقط. عليك أن تشارك في تجربتي، أن تضحّي بقليل من ذاتك لأجلي. عليك أن تتداخل مع حدودي.

وهذا هو معنى التزام الطريق الروحي. تبدأ بالاقتراب مني أكثر، بالتنازُل عن حدودك لي. آنذاك فقط، وذات يوم، من خلال المشاركة، حينما ترتمي بوئام معي، ستكون الأشياء مرئية ومفهومة. ولن تكون قادراً على إقناع أي شخص آخر ممن كان مجرّدُ متفرج.. لأن رؤيتك ستكون مختلفة. لقد شاركتَ، أما هو فمازال يراقب فقط.. فأنتما تعيشان في عالمين مختلفين.

مع أن مصابيح البيت مضاءة..

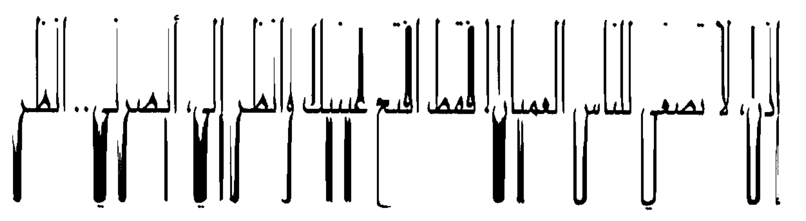
استمعوا إلى كلام ساراها الجميل:

مع أن مصابيح البيت مضاءة
يظلُ الأعمى يعيش في الظلام
مع أن العفوية قريبةٌ وتحيط بكل شيء،
لكنها تبقى للمخدوع قصيّة دوماً.

يقول ساراها: انظر! لقد أصبحت مستنيراً. ولو أن مصابيح البيت مُضاءة... فإن جوهري العميق لم يعد مظلماً. انظر! هناك نور عظيم بداخلي. لقد استفاقت روحي. لم أعد راؤول نفسه الذي خَبِرته. إنني ساراها: فسهمي بلغ الهدف.

مع أن مصابيح البيت مضاءة
يظلُ الأعمى يعيش في الظلام

ولكن ماذا باستطاعتي أن أفعل؟ يقول ساراها. إذا كان شخص ما فاقداً للبصر، فإنه حتى لو أضيئت له مصابيح البيت فسيبقى يعيش في ظلام. ليس لأن المصابيحَ غير موجودة، بل لأن عيناه لا تستطيع الرؤيا.



من يقف أمامك، من الذي تواجهه.

مع أن مصابيح البيت مضاءة
يظلُّ الأعمى يعيش في الظلام،
مع أن العفوية قريبةٌ وتحيط بكل شيء.

إنني قريب جداً منك... العفوية قريبة جداً منك، يمكنك أن تلمسها وتأكلها وتشربها. تستطيع أن ترقص معي وأن تنتشي معي. إنّي قريب منك جداً.. وقد لا تجد عفوية قريبة منك مرة أخرى.

لكنها تبقى للمخدوع قصيّة دوماً.

يتحدثون عن السمادهي، ويقرأون حكَمَ باتنجالي، يتحدثون عن الأشياء العظيمة، وحينما تحدث تلك الأشياء العظيمة فإنهم يعارضونها.

غريبٌ جداً أمرٌ هذا الإنسان. إنه حيوان غريب جداً. يمكنك أن تُعجَب ببوذا، ولكن لو جاء بوذا وواجهك، فلن تكون قادراً على الإعجاب به بالمرّة.. بل ربما تصيرُ ضدهُ، وقد تصبح عدوّاً له. فلماذا؟

عندما تقرأ كتاباً عن بوذا، فإن كل شيء يكون على ما يرام، فالكتاب في يدك وبوذا بعيد عنك، ولكن حينما يكون بوذا الحي مقابلك، فلن يكون هو في يدك بل أنت من يكونُ واقعاً في يده. والنتيجة هي الخوف والمقاومة. حيث يرغب المرء حينئذ بالهرب.

وأفضل طريقة للهروب هي أن تقنع نفسك بأنه مخطئ، بأن فيه شيئاً خطأ. تلك هي الطريقة الوحيدة.. إذا أقنعت نفسك بأنه مخطئ، فيمكنك آنذاك أن تجد آلاف وآلاف الأشياء في بوذا الذي يمكن أن يبدو فيها مخطئاً لأنك أحوَل ولأنك أعمى، ولأن عقلك مضطرب. فباستطاعتك تصوّر أي شيء.

هذا الرجل انتمى الآن للبوذية، وهم يتحدثون عن المرأة الوضيعة. لم ينظروا في حقيقة تلك المرأة. ومازالوا يظنّون بأنها مجرّد صانعة سهام وضيعة جداً

ومنبوذة. فكيف يمكن لبراهمي أن يلمس امرأةً منبوذة؟ كيف يمكن لبراهمي أن يعيش هناك؟

كما سمعوا بأن المرأة تطهي له الطعام. فيا لها من خطيئة كبرى وسقطةٌ عظمى.. البراهمي يأكل الطعام المطبوخ بيدي سودرا* منبوذة، بيدي امرأة من طبقة وضيعة؟ ثم لماذا ينبغي لبراهمي أن يعيش في أرض المحرقة؟ البراهميون لا يعيشون هناك أبداً. إنهم يعيشون في المعابد، يعيشون في القصور. ولكن لماذا يعيش في أرض محرقة الجثث؟..وهو مكانٌ قذر تحيط به الجماجم والجثث. أي لشذوذ هذا!

لكنهم لم يفكّروا في حقيقة أنك ما لم تفهم الموت فلن تكون أبداً قادراً على فهم الحياة. لو تمعّنت بالموت بعمق لوجدت أن الحياة لا تموت أبداً، لو نفذت بعمق إلى حقيقة الموت لوجدت أن الحياة مستمرة حتى ما بعد الموت، فالموت لا يغيّر من الأمر شيئاً، الموت هو موت معنوي... إنك لا تعرف شيئاً عن الحياة.. فالحياة خالدة أبدية. وبالتالي فإن الجسد وحده هو الذي يموت. الموتى فقط هم الذين يموتون، والحي يستمر بالحياة. ولهذا يجب على المرء أن يدخل في تجربة عميقة. وهم لم يفكروا في ذلك.

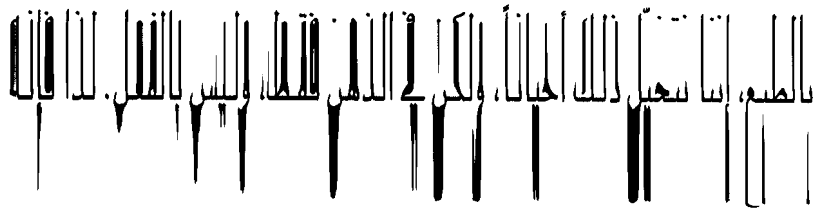
الآن وقد سمعوا بأنه يمعن في ممارسات غريبة. فلا بد أنهم انهمكوا في الثرثرة والمبالغة، ولا بد أن الأمور قد خرجت من أيديهم، فالجميع ماضون بمضاعفة القيل والقال. وهناك أيضاً ممارسات التانترا التي يمكن الثرثرة عنها.

في التانترا يجلس الرجل أمام المرأة، المرأة العارية، وعليه أن يمعن النظر فيها أكثر فأكثر، حتى تختفي الرغبة تماماً في مشاهدة امرأة عارية. عندئذٍ يتحرر الرجل من الشكل. وهذه تقنية سرّية عظيمة. وإن لم تفعل ذلك فسوف تستمر برؤيتها في عقلك دائماً، وترغب بنزع ملابس كل امرأة تصادفها في الشارع.

الآن إذا رأيتم ساراها فجأة وهو يجلس أمام امرأة عارية. فكيف ستفسرون ذلك؟ سوف تفسرونه كما يحلو لكم وتقولون: " حسنٌ جداً، إنه يفعل ما أردنا دائماً أن نفعله. إذن. فنحن أفضل منه، على الأقل لأننا لم نفعل ذلك بعد.

---

* Sudra : إمرأة من طبقة وضيعة عند الهندوس



ساقط".. وأنتم لن تُضيّعوا الفرصة لذمّه.

ولكن ما الذي يفعله التانتري حقيقة؟ إن التانترا علمٌ سرّي. فالتانتري يراقب المرأة لعدة أشهر متتالية، يتأمل في شكل جسدها، في جمالها، يتأمّل في نهديها. يتأمّل بكل شيء في جسدها، ينظر إلى كل ما يريد النظر إليه. لأن عليه أن يتحرر من الشكل، والطريقة الوحيدة لذلك هو أن يتعمّق في معرفته بحيث لا تعود له جاذبية بعد الآن.

ولكن ما يحصل الآن، هو على النقيض تماماً لما يقوله الثرثارون. فهو يمضي إلى أبعد مما يتصورونه. فلن يرغب بعد الآن في نزع ملابس المرأة ولا حتى بالفكر. ولا حتى في الحلم. ولن يعود ذلك الهاجس موجوداً. لكن يبقى للجمهور وللغوغاء أفكارهم الخاصة، وسيستمرّون في الحديث عن هذه الأشياء بجهل ودون معرفة.

مع أن العفوية قريبةٌ وتحيط بكل شيء،
لكنها تبقى للمخدوع قصية دوماً.

رغم وجود العديد من الأنهار، إلا أنها في البحر واحد،
ورغم وجود العديد من الأكاذيب،
إلا أن حقيقةً واحدة ستقهرها جميعاً.
عندما تبزغ شمس واحدة، سيختفي الظلام،
مهما كان دامساً.

يقول ساراها: فقط انظر إلي. لقد سطعت الشمس. ومع أنني أدرك عمق ظلامك، فهو على وشك الزوال. انظر إلي... إن الحقيقة مولودة فيَّ! لهذا قد يكون لديك آلاف الأكاذيب عني، لكن حقيقة واحدة ستقهرها جميعاً.

رغم وجود العديد من الأنهار، إلا أنها في البحر واحد،

فقط كن قريبا مني. دع نهرك يصب في مُحيطي. وستتذوق طعمي.

ورغم وجود العديد من الأكاذيب،

إلا أن حقيقةً واحدة ستقهرها جميعاً.

الحقيقة واحدة. والأكاذيب وحدها هي المتعددة، الأكاذيب فقط يمكن أن تكون متعددة..أما الحقيقة فلا يمكن أن تكون متعددة. الصحة واحدة والأمراض متعددة. وصحة واحدة تهزم كل الأمراض. كما أن حقيقة واحدة تهزم كل الأكاذيب.

عندما تبزغ شمس واحدة، سيختفي الظلام،
مهما كان دامساً.

دعا ساراها في هذه الأناشيد الأربعة الملك للدخول إلى كيانه الداخلي، فتح له قلبه. وقال: لست هنا لإقناعك منطقياً. أنا هنا لأقنعك وجودياً! لن أعطي أي برهان، ولن أقول أي شيء للدفاع عن نفسي. القلب مفتوح تماماً.. فادخل إليه. ادخل. فترى ما قد حدث... قريبةٌ جداً هي العفوية، قريبٌ جداً هو الله، قريبةٌ جداً هي الحقيقة. لقد أشرقت الشمس. فافتح عينيك!
تذكّر أن الروحاني لا يملك برهاناً عقلياً. لا يمكنه أن يمتلك أي برهان عقلي عن جوهر الأشياء ذاتها، فهو نفسه الإثبات الوحيد.. لهذا بمقدوره أن يفتح قلبه لك.

ينبغي التأمل بعمق في هذه الأشعار، في أغاني ساراها هذه. فكل أنشودة يمكن أن تصبح زهرة متفتحة داخل قلبك. آمل لهذه الأشعار الأربعون أن تصبح أربعون زهرة متفتحة في كيانك، مثلما أصبحتْ في كيان الملك. لقد تحرر الملك.. ويمكنك أن تتحرر أنت أيضاً. لقد أصاب ساراها الهدف. ويمكنك أنت أيضاً أن تصبح ساراها.. الشخص الذي رمى سهمه.

الإوَزَّةُ في الخارج

- هل هناك فرق بين مقاربة شيفا للتانترا ومقاربة ساراها؟
- أتّفقُ دائماً مع كل ما تقوله.. إذن لماذا لا تتغيّر حياتي؟
- ألم أكن محظوظاً عندما اعتقدت بوجود هدف؟
- أليست التانترا طريق الانغماس؟
- شيء ما أساسي مفقود..
- ما الذي حدث معي إذن؟
- كيف تُعَرّف الكلام الجيّد؟

السؤال الأول: هل يوجد اختلاف بين مقاربة شيفا للتانترا ومقاربة ساراها؟

ليس اختلافا حقيقياً، وليس جوهريا. ولكن بقدر ما يتعلق الأمر بالشكل، نعم. فالأديان تختلف بالشكل فقط. تختلف فقط في منهج البحث. تختلف فيما بينها عندما يتعلق الأمر في مدخلها إلى الإلهي، ولكن ليس خلافاً وجودياً. وهناك فرقان أساسيان وحيدان من حيث الشكل: في طريقة التكريس، الصلاة، الحب، وفي طريقة التأمل والوعي.. وهذان الاختلافان مستمرّان.

تعتمد رؤية شيفا على التكريس، والصلاة، والحب، بينما تعتمد رؤية ساراها على التأمّل والوعي. الاختلاف بينهما يبقى شكلياً، فالمحب والمتأمّل يصلان إلى نفس الهدف. مع أن سهامهم صادرة من زوايا مختلفة، لكنها تصل إلى نفس الهدف؛ سهامهم صادرة من أقواس مختلفة، إلا أنها تصل إلى النهاية ذاتها. فالقوس في النهاية ليس مهمّاً. لا يهم نوع القوس الذي اخترته إذا تحقق الهدف.

وهما قوسان اثنان بسبب أن الإنسان أساساً منقسم إلى قسمين: التفكير والشعور. وبإمكانك أن تقارب الحقيقة إمّا من خلال التفكير أو من خلال الشعور.

إن المقاربة البوذية.. أي مقاربة بوذا وساراها تتم من خلال العقل. إنها تحدث بشكل أساسي من خلال الفكر الذي يحرّك ساراها. وبالطبع، ينبغي تنحية الفكر إلى الخلف، فالفكر بالذات هو الذي يجب تنحيته. يجب أن يتلاشى الفكر شيئاً فشيئاً في التأمل، وهذا الفكر بالذات هو الذي يجب أن يتلاشى في التأمل، و هو الذي ينبغي أن يتحوّل. يجب خلق حالة اللاّتفكير. ولكن تذكّر: إنها حالة اللاّتفكير، وبالإمكان خلقها فقط عبر إقصاء الأفكار ببطء شيئاً فشيئاً. لذا فالعملية بأكملها تتم في الجزء المفكِّر.

أما مقاربة شيفا فتتم بالشعور، بالقلب، الشعور يجب أن يتحوّل، الحب يجب أن يتحوّل لكي يصبح صلاة. على طريقة شيفا، يظلّ المتعبد والإله دون تحوّل، يبقى كل من البهاكتا والبهاجوان دون تحوّل. ففي الذروة النهائية يتلاشى كل منهما بالآخر. أصغِ إليّ بانتباه: عندما تصل تانترا شيفا إلى ذروة نشوتها تذوب الـ أنا في الـ أنت، و الـ أنت تذوب في الـ أنا.. فيصبحان سويّةً، يصبحان وحدةً واحدة.

عندما تصل تانترا ساراها إلى ذروتها النهائية، يحصل الإدراك: فلا أنت

موجود ولا أنت حقيقي، لا أنت موجود ولا أنا ــ كلانا متلاشيان. لا يوجد سوى صفرين مجتمعين.. لا يوجد أنا وأنت، ولا أنت وأنا، فنحن صفران، حيّزان فارغان يذوب أحدهما في الآخر، لأن المسعى الكلّي على طريق ساراها هو كيف تجعل الفكر يتلاشى، حيث أنا وأنت أجزاء من الفكر.

كيف تستطيع أن تسمّي نفسك أنا عندما يتلاشى الفكر تماماً؟ ومن هو الذي ستسمّيه إلهك؟ إن الله هو جزء من الفكر، إنه من خَلْق الفكر، من إنشاء الفكر، من تشييد العقل. لذلك فإن كل تشييدات العقل تتلاشى، وتنشأ الشونيا shoonya، الفراغ.

على طريقة شيفا لا تعودُ تحبُ الشكل، لا تعودُ تحبُ الشخص.. بل تشرع في محبة الوجود بكامله. الوجود بأكمله يصبح أنا– كَ، فتكون بهذا قد خاطبت الوجود بأكمله.

حينئذ تكون نزعة التملّك قد سقطت، وسقطت معها الغيرة وسقط الحقد.. وسقط كل ما هو سلبي في الشعور، فيصبح الشعور أصفى وأنقى. وتأتي لحظة الحُب الصافي، وفي تلك اللحظة من الحب الصافي، تذوب فيه ويذوب فيك. وتتلاشى أنت أيضاً، لكن تلاشيكما ليس كصفرين، بل كتلاشي المُحِبّ في المحبوب والمحبوب في المُحب.

حتى هذه اللحظة شَيفا وساراها مختلفتان، لكن ذلك الاختلاف شكليٌ أيضاً. فماذا يهم بعد ذلك أن تتلاشى مثل مُحب ومحبوب أو مثل صفرين؟ إن النقطة الأساسية، النقطة الجوهرية هي أن تَتلاشى، أن لا تترك شيئاً، أن لا تترك أثراً. وذلك التلاشي هو الاستنارة.

عليك أن تفهم أيضاً: بأنه إذا نادتك المحبة، فسيناديك شيفا، وكتاب الأسرار سيغدو إنجيلك التانتري المقدّس. وإذا ناداك التأمل، سيناديك حينئذ ساراها، فذلك يعتمد عليك. وكلاهما صحيح، كلاهما مسافران في نفس الرحلة، مع من تَوَدُ أن تسافر! فذلك خيارك.

إذا استطعت أن تكون وحيداً وسعيداً، فعليك بساراها، وإذا لم تستطع أن تكون سعيداً عندما تكون وحيداً، ولا تأتي سعادتك إلاّ عندما تكون على صلة بأحد، حينذاك عليك بشيفا.

وهذا هو الفرق بين التانترا الهندوسية والتانترا البوذية.

السؤال الثاني يا "أوشو"

إنني أتفق دائماً مع كل ما تقوله. فلماذا لا تتغير حياتي إذن؟

ربما بسبب الاتفاق. إن كنت تتفق معي، أم لا، فإن حياتك لن تتغير. لأنها ليست مسألة اتفاق أو عدم اتفاق.. إنها مسألة فهم. فالفهم أمر يتعدّى الاتفاق أو عدمه.

عادةً، عندما تتفق معي فإنك تعتقد بأنك فهمتني. وإذا فهمتني، عندها لن تكون الموافقة أو الاختلاف موضع نقاش. إذ كيف يمكن أن توافق على الحقيقة أو لا توافق ؟ لقد أشرقت الشمس.. فهل توافِق أو لا توافِق؟ سوف تقول بأن السؤال لا علاقة له بالموضوع.

يحدث الاتفاق أو عدم الاتفاق حول النظريات وليس حول الحقيقة. لذلك عندما تتفق معي فأنت في الحقيقة لا تتفق معي.. ينتابك إحساس بأنني أوافق على نظريتك التي تحملها مسبقاً بداخلك. حينما تشعر بأن بهاغاوان يتفق معك، تشعر بأنك تتفق معه. وعندما لا أتفق معك، عندئذٍ توجد مشكلة، إذاً فأنت لا تتفق معي. أو، أنك لن تصغي لما أقول. ببساطة، ستغلق على نفسك عندما أقول شيئاً لا يتفق معك.

فالمسألة هنا ليست مسألة اتفاق أو اختلاف. دعك من هذا! لستُ هنا للبحث في أية عقيدة، ولا أنظر في أية فلسفة، ولا أقترح أية نظرية، ولست أبحث عن أتباع. بل أبحث عن مريدين.. وذلك أمر مختلف كلياً وبالمطلق. فالمريد ليس الذي يوافق: المريد هو الذي يصغي، والذي يتعلم. فكلمة مريد 'disciple' ذاتها آتية من التعلم والانضباط.

المريد هو الشخص المنفتح للتعلّم. أما التابع فشخص منغلق. ويظن بأنه موافق، وليس هناك حاجة لأن يكون منفتحاً.. يستطيع أن ينغلق، كما يمكنه تحمّل الانغلاق. أما المريد فلا يمكنه تحمّل الانغلاق، لأن أمامه الكثير لكي يتعلمه. فكيف يمكنك أن توافق أو لا توافق؟ ثُمَّ أن المريد ليس لديه الأنا ego ، وبالتالي من هو الذي سيوافق أو لن يوافق. المريد منفتح وحسب، وليس في الداخل أحدٌ لكي يوافق أو لا يوافق. لهذا فإن موافقتك تخلق مشكلة بالفعل.

ما من أحد أبدا يتحوّل من خلال الموافقة. لأن الموافقة سطحية جداً، عقلانية جداً. فلكي يتحول المرء فإنه يحتاج للفهم.

الفهم دائماً هو الذي يحوّل المرء، هو الذي يغيّره. وعندما تفهم، فأنت لا تفعلُ أي شيء.. سيبدأ الفهم بعمل الأشياء. ليس بأن تفهم أولاً وبعد ذلك تطبّق.. لا. فالفهم العميق، حقيقة الفهم العميق، تغوص عميقاً في قلبك، وتغور، بعدها يكون التحوّل.

والتحوّل يأتي نتيجة الفهم.

فإذا كنت توافق عندئذ تنشأ المشكلة: والآن ما العمل؟ إنني وافقت، ويجب القيام بشيء ما. غير أن الموافقة غبية جداً، غبية كالاختلاف.

عندئذٍ يكون الفكر ماكراً جداً! فأنت لا تعرف أبداً ماذا تعني الموافقة... وإليك بضعة مشاهد..

المشهد الأول:

توفيت أم الولد عندما كان طفلاً، وعمل والده بجد لتنشئته بشكل صحيح. وفي النهاية سافر الولد للدراسة في الجامعة. كانت رسالته الأولى إلى والده محبطة ومخيبة للآمال. لكن العجوز لم يعرف السبب بالضبط. وبالطبع لم يكن في محتواها شيءٌ يخيّب الأمل. ربما ضايقه شيء ما في نبرتها. فالرسالة تقول: " أبي الحبيب، كل شيء حسن. هنا في الجامعة أحب كل شيء. إنني أحد أعضاء فريق كرة القدم. كما أنتمي لأفضل رابطة في الجامعة. ونلت علامة ممتازة في امتحان الجبر..."

بعد قليل من التفكير، تمكّن الأب من وضع إصبعه على الإشكال، فكتب على ظهر الرسالة: انظر يا بني، لا أريد أن أبدو عجوزاً ساذجاً، لكن هناك أمرٌ قد يجعلني سعيداً جداً. ليس لأنني أظنك جاحداً بأية حال من الأحوال. فلقد التزمتُ بالعمل بجد على تنشئتك وإرسالك إلى الجامعة بينما لم أحظى لنفسي بفرصة للذهاب إلى الجامعة أبداً. وما أقصده: قد يعني لي كثيراً أن تقول " فعلنا هذا وفعلنا ذاك" عوضاً عن قول " فعلت هذا وفعلت ذاك" فقد يساعدني ذلك بأن أشعر.. كما لو أنني كنت جزأ من ذلك كله."

وفي الحال فهم الابن، وأصبحت الرسائل تأتي إلى الأب في صيغة: " حسناً أبي، لقد فُزنا السبت الماضي بهذه اللعبة الهائلة. لدينا موعد مع فتاة ممتازة.

سوف نحصل على درجة ممتازة في التاريخ." فاستولت على الأب سعادة غامرة بهذه المشاركة في التجربة. وكانت الأيام مشرقة بالنسبة له.

ذات يوم وصلت برقية: " أبي العزيز، دخلنا مع ابنة دينيس في مشكلة، كانت لها أخت توأم. وقد ماتت التي كانت لي فماذا أنت فاعل بالتي لك؟ "

إنَّ العقلَ ماكرٌ جداً. انظر.. عندما تتفق معي، فهل تتفق معي حقاً؟ أو هل تجد أنني متفق معك؟ عندها يكون العقل قانونياً جداً، يكون محامياً: إذ يمكنه أن يجد طرقاً للاتفاق ثم يبقى على حاله دون تغيير. وليس هذا فقط، بل عندما توافق فإنك تبدأ بالشعور كما لو أن من واجب المعلّم أن يحوّلك.. فماذا يمكنك أن تفعل الآن أكثر من ذلك؟ .. فأنت موافق، وقد فعلت ما عليك. ماذا يمكن أن تفعل أكثر؟ .. لقد وافقتَ وأصبحت ناسكاً، لقد استسلمتَ. فماذا يمكنك أن تفعل أكثر من ذلك؟

إذا لم يحدث شيء الآن، فإنك تبدأ بالغضب مني. وعندما أقول لك شيئاً، فهو ليس نفس الشيء الذي تسمعه بالضبط، لأنك تسمع على طريقتك الخاصّة، ووفقا لتفسيراتك. أنت تسمع من خلال ماضيك وذكرياتك ومعرفتك، من خلال ظروفك. إنك تسمع من خلال العقل! والعقل يمنح لوناً لكل شيء تسمعه. فهو يقفز عليه فوراً ويغيّره، يجعله متوافقاً معه، يُهمل أشياءً ويبالغُ بأخرى، يملأ الفجوات. ثم يبقى فيه جزءٌ فقط مما قلته، والجزء لا يمكن أن يتحوّل أبداً، فالذي يتحول فقط هو الكل.

لكن الكلّ يمكن أن يظل كُلاً فقط عندما لا تَبذُلُ أي جهد للموافقة أو الاختلاف. وعندما لا تبذل أي جهد للموافقة أو الاختلاف، تستطيع أن تُنحّيَ العقل جانباً. إذا بذلت جهدك لكي توافق، فكيف يمكنك تنحية العقل؟ إن العقل هو الذي يوافق أو يختلف.

أما الفهم فهو شيء أكبر من العقل. لأنه يحدث في كامل كيانك.

هناك الكثير في رأسك مثلما في إصبع قدمك. الفهمُ شيء كلّي. والعقل هو جزء صغير جداً، لكنه مستبد جداً. وهو يعمل على التظاهر بأنه كلّي.

المشهد الثاني:

كان هناك رجل أعمال متوسط العمر اصطحب زوجته إلى باريس. وبعد التسكّع معها من متجر إلى آخر، التمس يوم عطلة كي يستريح. وعندما ذهبت زوجته للتسوق وحدها، دخل هو إلى حانة وجلس مع باريسية مغرية. وسارت الأمور بينهما على ما يرام حتى برزت مسألة المال. أرادت هي خمسين دولاراً أمريكياً، لكنه عرض عشرة دولارات فقط.

لم يتمكنا من الاتفاق على السعر، ولهذا لم يتمكنا من الاجتماع معاً.

في ذلك المساء رافق زوجته إلى أحد أفخر المطاعم، وهناك وجد فتاته الباريسية الفائقة الجمال وهي جالسة عند الطاولة قرب الباب.

نعم يا سيدي ؟ قالت الفتاة وهي تنظر إلى زوجة الرجل، أثناء مرّورهم بها. "انظر ما جنيتَه من دولاراتك العشرة الرديئة".

أن فهمكَ هو فهمكَ. وتفسيرك هو تفسيرك. فأنت تنظر من زاويتك

كل ما تسمعه وتفسّره هو تفسيرك، وتذكّر دائماً أن تحذر منه! إنه ليس ما قلته أنا: بل ما اعتقَدتَ بأنك سمعته.. وهو ليس نفس الشيء. أنت تتفق مع صداك الخاص، وليس معي. أنت تتفق مع فكرتك الخاصة، فكيف تتغيّر؟ إن الفكرة فكرتك، والاتفاق اتفاقك، ولهذا ليست هناك إمكانية للتغيّر.

من فضلك توقّف عن الاتفاق أو الاختلاف. فقط استمع إليَّ. إنَّ طريقتك بالموافقة هي ضرب من الخداع لحماية نفسك من الصدمة. فهي تعمل مثل المصَدّ. أقول شيئاً فتوافق فوراً وتتفادى الصدمة.

إذا لم تكن متفقاً معي، أو كنت موافقاً، فأنت في كلتا الحالتين تقطع الطريق على نفسك. لأن ما سأقوله قد يهزّك من أعماق جذورك، من أعماق أحشائك. فلو قلتَ " نعم، إنني موافق" فإنك بهذه الموافقة تقطع الطريق أيضاً. فلا داعي الآن لأن تُصدم.. لأنك موافق. وإذا كنت غير موافق أو معارض... فهو الشيء ذاته. في اللحظة التي أقول فيها شيئاً ويأتي شخص ليقول "إنني غير موافق"، يكون قد قطع الطريق على الطاقة. وبالتالي لن تدخل الطاقة إلى جذوره ولن تهزّه.

لقد خلقنا الكثير من مصدّات الحماية حول أنفسنا. ولن تسمح لك هذه الحمايات بأن تتغير. لكي تتغيّر ستحتاج لأن تُصدم بشكل شديد ورهيب.

وسيكون التغيّر مؤلماً. فالموافقة مريحةٌ جداً، وكذلك الاعتراض. أما أنا فلا أجد فرقاً كبيراً بينهما لأن كليهما وجهان لعملة واحدة.

الشخص الحقيقي الذي يرغب في أن يكون بجانبي وقريباً مني، والذي يرغب في أن يكون حقّاً على تواصل معي، لن يوافق ولن يختلف. بل سيستمع لي ببساطة، يستمع بصفاء مطلق، دون تفسير. فهو سيضع ذاته جانباً، ويفسح ليَ المجال.

المشهد الثالث:

كانت المعلّمة قد انتهت للتو من إعطاء تلامذة صفّها الأول حقائق أساسية عن الحياة. فرفعت الصغيرة ماري يدها من مقعد الصف الأمامي وسألت: "هل يمكن لولد بعمر ستة سنوات أن ينجب طفلاً؟"

أجابت المعلّمة مبتسمة، "لا، سيكون ذلك مستحيلاً. هل من أسئلة أخرى أيها الصف؟"

توقفت ماري لبرهة ثم رفعت يدها مجدداً. "هل يمكن لبنت في السادسة من عمرها أن تنجب طفلاً؟ "

" لا"، قالت المعلمة. ثم انحنى نحوها الولد الصغير الذي خلفها وهمس عالياً في أذنها قائلاً: "ماريا! لقد قلت لك، ليس هناك ما يجعلك تقلقين بشأنه!"

إن كل موافقاتك، كل اختلافاتك، هي فقط لإيجادُ سبلٍ لتبقى كما أنت، وليس لأن تتغيّر. وحياة الناس بكاملها مُكرَّسَة لهدف واحد: كيف لا نتغير. فهم يستمرّون بالقول "لا أريد أن أكون تعيساً،" ثم يستمرّون بعمل الأشياء التي تجعلهم تعساء. يستمرّون بالقول " أريد أن أتغيّر"، لكني أنظر في أعماقهم وأرى أنهم لا يريدون أن يتغيروا.

في الحقيقة، هذه الرغبة المُعلَنة بأنهم يريدون أن يتغيّروا هي خدعة مرة أخرى لكي لا يتغيّروا. وبالتالي بمقدورهم أن يقولوا للعالم "إنني أحاول أن أتغير وأقول بصوت مرتفع وأصيح عالياً أريد أن أتغيّر، ومع ذلك إذا لم يحدث شيء، يظل يقول، ماذا باستطاعتي أن أفعل؟"

إنك لا تستطيع أن تتغيّر.. والشيء الأخير الذي أودُ أن أقوله حول هذا السؤال.. هو أنك لا تستطيع أن تتغيّر. بإمكانك فقط أن تسمح للتغيير بأن يحدث. ومهما حاولت أن تتغيّر، فلن تتغيّر. من الذي يحاول؟ القديم؟ انظر إلى

منطقة الداخلي، أنت تحاول أن تغيّر نفسك، وذلك تقريباً يشبه رفعك لنفسك

من أربطة حذائك. فماذا يمكن أن يحدث نتيجة ذلك؟ لاشيء. لا تستطيع أن تغيّر نفسك، لأن، من هو هذا الشخص الذي يحاول أن يتغيّر؟ إنه ماضيك. إنه أنت.

يمكنك أن تسمح للتغيير بأن يحدث. ولكن ماذا يمكن أن تفعل لتسمح له بذلك؟ الجواب: أرجوك لا توافق ولا تختلف معي. أصغ فقط. كن هنا فقط. ودع مُهمّة حضوري تكون عاملاً محفّزاً. ليس عليك إلاّ أن تلتقط العدوى مني، أن تلتقط المرض الذي أحمله، الحصبة التي أحملها. ولا تحاول أن تغيّر نفسك، بل اسمح لي فقط.. وهذا السماح هو التسليم بكل شيء.

ليس السانياسن هو الذي اتفق معي. فلو حصل ذلك، حينها لن يكون سانياسن، بل سيكونُ تابعاً. تماماً مثلما أن المسيحيين هم أتباع المسيح.. لقد وافقوا المسيح، لكن ذلك لم يغيّرهم. تماماً مثلما أن البوذيين هم أتباعٌ لبوذا.. لقد وافقوا بوذا، لكن ذلك لم يغيّرهم أيضاً. ألا تستطيع أن ترى بأن العالم بأكمله يتّبع شخصاً ما أو آخر؟

وبالتالي، أن تتبع يعني أنها وسيلة لتتجنّب التغيير. فأرجوك لا تتبعني.

عليك ببساطة أن تصغي وترى ما يحدث هنا. فقط انظر إلي، وافسح مجالاً لي.. بهذا يمكن لطاقتي أن تبدأ بالتأثير على طاقتك. إنها ليست شيئاً عقلياً بل هي مسألة كلّية... بهذا يمكنك أن تبدأ بالتذبذب بنفس طول الموجة.. ولو للحظات قليلة.

وهذه اللحظات ستُحدثُ تغيّراً، وستجلب ومضات من المجهول. هذه اللحظات ستجعلك مدركاً بأنَ هناك خلوداً يتخطى الزمن وستمنحك شعوراً لما سيكون في التأمّل. هذه اللحظات ستسمح لك بتذوّق الله قليلاً، بتذوق التاو، والتانترا، والزنْ. ستجلب لك هذه اللحظات إمكانية التغيير، لأنها ستأتي من مستقبلك وليس من ماضيك.

إن الاتفاق هو ماضيك الذي يتفق معي. أما الانفتاح، السماح، فهو مستقبلك المنفتح.. المنفتح معي. لأن إمكانية التحول لديك تكمن في مستقبلك وليس في ماضيك. فالماضي ماتَ ومضى وانتهى. ادفنهُ! إنه لا يعني شيئاً. لا تستمرّ بحمله، لأنه متاع غير ضروري. وبسببه لن تستطيع التحليق عالياً.

ما الذي تعنيه عبارة "إنني أتفق معك"؟ إنها تعني أن ماضيك هو المتفق، ماضيك هو الذي يشعر بالارتياح، فيومئ موافقاً ويقول" نعم، ذلك ما كنت أعتقده دائماً" . وتلك هي الطريقة لتفادي المستقبل. كن واعياً إذن... أن تكون معي فقط .. فذلك هو الساتسانغ، ذلك هو الاتصال السامي. أن تكون معي فقط.. سيدخل كيانك قليل من الأشعة رغماً عنك ويبدأ اللعب. عندها ستدرك بأنه مهما كانت الحياة التي عشتها، فهي لم تكن حياةً مطلقاً، كنت تعيش في الوهم، كنت تحلم. تلك هي بعض من لمحات الحقيقة التي ستحطم كل ماضيك. وبعدها يكون التحوّل.

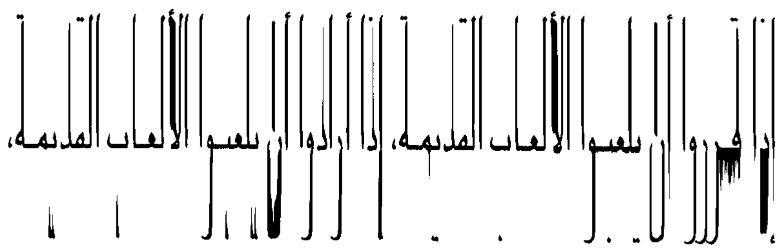
لذا يأتي التحول طبيعياً من توافقه الخاص.. وهو يعقب الفهم.

السؤال الثالث: "أحيانا عندما أراقب الناس الذين يلعبون نفس الألعاب القديمة مراراً وتكراراً، تشعر عيناي بالتعب والوهن ويشعر قلبي بالضجر والسخرية.
أُخَمِّنُ هذا لأنني أرى المزيد والمزيد من العابي وخدعي وأسمع صوتك الغاضب يتردد في اذني قائلاً "حسناً.. عليك فقط أن تتقبل وتحب نفسك، ولن تكون هناك مشكلة".
فقط؟؟؟؟!
اعتقد بأنك لو كررت هذه الكلمة مرة أخرى فإنني سأصرخ.
ألم أكن سعيداً عندما اعتقدت بأنه يوجد هدف؟"

السائل هو "ما ديفا أناندو". وهو سؤال ذو دلالة بالغة، إذ يمكن أن يطرحه كل شخص تقريباً. أصغِ له. لأنه ببساطة يعرض موقفاً يتوجب على كل مُلتمسٍ أن يواجهه.

أولاً، يقول أناندو: "أحيانا عندما أراقب الناس الذين يلعبون نفس الألعاب القديمة مراراً وتكراراً، تشعر عيناي بالتعب والوهن ويشعر قلبي بالضجر والسخرية".

وأنا أقول من فضلك لا تحاول أن تراقب الآخرين.. فهذا ليس من شأنك.



وكانوا سعداء بذلك، فمن تكون أنت حتى تتدخّل بشأنهم؟ من تكون أنت حتى تحكم على الآخرين؟

يجب التخلّي عن التوق المستمر للحكم على الآخرين، فهو لا يفيد الآخرين. وهو يؤذيك أيضاً، يؤذيك أنت فقط. لماذا تتضايق؟ إن ما يفعله الآخرون لا علاقة له بك. إنها متعة الآخرين إذا أرادوا المحافظة على القديم والتحرّك في نفس الأخدود، في نفس الروتين. أجل! إنها حياتهم ولهم الحق في أن يعيشوها كما يرغبون.

نحن بصورة ما، لا نسمح بأن يكون للآخرين طريقهم الخاص. نستمر بالحكم عليهم بطريقة أو بأخرى. فنقول عنهم أحياناً بأنهم أشرار، وأحيانا نقول بأنهم سيذهبون إلى الجحيم حتماً، وبأنهم هذا وذاك.. بأنهم مجرمون. فإذا تغيَّر كل ذلك، سيكون التقييم الجديد الآن في أحسن الأحوال حين يلعبون ألعاباً قديمة هو، "لقد تعبت".

لماذا تضجر من ألعابهم؟ دعهم يضجرون من ألعابهم إذا شاؤوا، أما إذا لم يشاؤوا، فذلك خيارهم أيضاً. من فضلك إذن، لا تراقب الآخرين.

عليك أن تتركز طاقتك بالكامل على ذاتك. ربما تكون إدانتك للآخرين بسبب ألعابهم القديمة مجرّد خدعة.. لأنك لا تريد أن تدين نفسك، وهو ما يحدث دائماً. إن تسليط الضوء على الآخرين هو خدعة نفسية. فاللص يعتقد بأن الآخرين لصوص مثله.. وهذا بالنسبة له طبيعي جداً، لأنها طريقة يحمي بها أناه. فإذا شعر بأن العالم كله سيئ، سيشعر بالمقابل بأنه جيّد.

إن أي مجرم يعتقد بأن العالم بأكمله مكوّن من مجرمين.. وهذا يشعره بالراحة وبأنه جيد. من السهل أن يعتقد المجرم بأن العالم يتكوّن من مجرمين، وبعد ذلك يمكنه أن يرتكب جريمة ولا داعي لأن يشعر بالذنب، أو بوخز الضمير.

هكذا نستمر في تسليط الضوء على الآخرين كلما أردنا أن لا ننظر إلى أنفسنا. أرجوك توقف عن ذلك! فإذا كنتَ حقّاً مُتعَباً من ألعابهم القديمة، فأنت تلعب اللعبة القديمة ذاتها.. اللعبة الهرمة التي كنت تلعبها لعدّة أجيال مضت: تُسقطُ عيوبك على الآخرين وبعدها تشعر بأنك جيِّد. وبالطبع تضطرّ لأن تبالغ وتُعَظِّمَ الأمور. فإذا كنت

لصاً، ينبغي أن تُضخّم صورة الآخرين، في أنهم لصوصاً أخطر منك. وبعدها تشعر بالارتياح، لأنك تقارن فتعتبر نفسك أفضل بكثير من الآخرين.

لهذا يستمر الناس بقراءة الصحُف. ذلك لأن الصحف تريحك كثيراً. ففي الصباح الباكر وحتى قبل أن تتناول الشاي. تستعدُ لقراءة الصحيفة. ولا شيء يجلب الأخبار كالصحيفة. لأنه لا يوجد شيء جديد. إنه نفس الشيء القديم المتعفن. ومع ذلك تشعر بأنك على ما يرام: ففي مكان ما، ارتكب أحد الأشخاص جريمة، وفي مكان ما كانت هناك فضيحة "ووترجيت Watergate"، وفي مكان ما أيضاً حدث شيء ما، وفي مكان ما سرق أحد الأشخاص، أو هربت زوجة شخص ما مع شخص آخر.. وهلم جرا. وحين تقرأ كل ذلك، تسترخي وتقول: " إذن، أنا لست سيئاً جداً.. فالعالم بأكمله ماضٍ نحو التحوّل إلى كلاب.

ثم تقول أنا أفضل شخص، فلم أهرب لغاية الآن مع زوجة جاري. ولم أقتل أحداً لغاية الآن.. رغم أني أفكر بذلك، لكن التفكير ليس بجريمة حيث أن الناس يفعلون مثل هذه الأشياء في الواقع ". فتشعر بالرضا. وعندما تشعر بالرضا، ستبقى كما أنت.

إذن من فضلك لا تراقب الآخرين. فهذا لن يفيدك. استخدم طاقتك لمراقبتك نفسك.

هناك تحوّل كبير يحدث خلال المراقبة. فإذا راقبت نفسك، ستبدأ الأشياء بالتغيّر. إذا بدأت بمراقبة غضبك، فستجد ذات يوم فجأةً بأن الغضب لم تعد فيه الطاقة التي اعتاد على استخدامها، ولم يعد قابلاً للاشتعال. لأن شيئاً ما بداخله قد مات.

إذا بدأت بمراقبة نفسك سترى شيئاً فشيئاً بأن السلبي يموت والإيجابي يغدوا حيّاً أكثر فأكثر؛ ويختفي ذلك البؤس وتدخل السعادة حياتك، وتبتسم أكثر، حتى دون سبب أحياناً، وينبعث فيك حس الفكاهة.. إذا بدأت بالمراقبة. ستختفي تلك الكآبة القديمة التي ارتسمت على محيّاك طويلاً. وسيولد فيك طبع لطيف. وتبدأ بالنظر إلى الحياة بجدّية أقل ومرح أكثر. إذا كنت تراقب نفسك، تصبح الجدية غريبة عنك أكثر فأكثر، وتغدو بريئاً أكثر فأكثر، واثقاً بالآخرين، وأقل شكّاً.

أنا لا أقول بأن ثقتك سينظر إليها بعين الاحترام دائماً. لا، ليس ذلك ما

أقصده. فقد تُخدَع أكثر، لأنك عندما تثق أكثر فمن الممكن أن تُخدَعَ أكثر. ولكن حتى عندما تُخدَع، لن تتحطم ثقتك بسبب الانخداع.. بل في الحقيقة، قد يعزز هذا ثقتك. وقد تأخذ بالتفكير بأنه حتى لو خُدعتَ.. كأن يخدعك شخص ما ويسلبك قليلاً من المال. فستكون قادراً على أن ترى بأنك أنقذت شيئاً أثمن بكثير، وهو الثقة، وبأن المال الذي فقدته هو شيء عديم القيمة تقريباً. كان بإمكانك أن تحافظ على المال، ولكن الثقة كانت ستزول.. وبذلك ستكون الخسارة الكبرى، إذ لم يكن هناك أحد عاش سعيداً بسبب المال وحده. غير أنه بسبب الثقة، عاش الناس على الأرض كالآلهة.. وبسبب الثقة، تمتع الناس بالحياة كاملة إلى حدٍّ جعلتهم يشعرون بالامتنان لله. فالثقة بركة، والمال في أكثر الأحوال، يمكن أن يمنحك قليلاً من الراحة، لكنه لا يمنحك البهجة. وقد لا تمنحك الثقة راحة كبيرة، لكنها ستمنحك بهجة عظيمة.

والآن، إذا اخترت الراحة بدل البهجة، ببساطة، فسيكون خيارك حماقة.. لأن تلك الحياة المريحة ليست سوى موتٍ مريح. يمكنك أن تعيش بشكل مريح ويمكنك أن تموت بشكل مريح، لكن الطعم الحقيقي للحياة لن تتذوّقه إلاّ عندما تبتهج بالحياة على الشكل الأمثل، إلى الحد الأقصى، عندما يضيء مشعلك البداية والنهاية معاً، ولو للحظة واحدة فقط... ولكن بشدّة، بالمطلق وبالكامل! وهذا لا يحدث إلاّ من خلال المراقبة فقط.

فالمراقبة هي إحدى أعظم قدرات التحوّل.

ابدأ بمراقبة نفسك ولا تبدد طاقتك بمراقبة الآخرين.. فهي خسارة مطلقة! ولن يشكرك على هذا أي شخص أبداً. لأنها عمل منكَر. وأيّاً كان من تراقبه، سيشعر بالإهانة.. لأنه ما من شخص يرغب بأن يكون مُراقَباً، وكل شخص يرغب بأن تكون له حياة خاصة.

وسواء كان الإنسان جيّدا أمْ سيئاً، حكيماً أم أحمقَ، فهو يريد أن تكون له حياته الخاصة. فمن تكون أنت حتى تتدخَّل بحياة الآخرين؟ لا تكن إذن أداة تَلَصُصٌ، ولا تنظر من ثقوب أقفال أبواب الناس، فتلك حياتهم. وإذا أرادوا أن يلعبوا اللعبة القديمة فدعهم يلعبون!

الأمر المهم إذن. هو أن تتوقف عن مراقبة الآخرين، وتحوّل كل طاقتك نحو ذاتك.

والأمر المهم الثاني هو قولك: " أنا أُخَمِّنُ هذا لأنني أرى بوضوح المزيد من ألعابي وخدعي وأسمع صوتك الغاضب يتردد في أذني قائلاً "حسناً .. عليك فقط أن تتقبل وتحب نفسك، ولن تكون هناك مشكلة".

ينبغي أن أكرر: ليس هناك مشكلة. فأنا لغاية الآن لم أصادف أبداً مشكلة حقيقية. والواقع أنني استمعت إلى آلاف البشر وإلى الآلاف من مشاكلهم. ولم أصادف أية مشكلة حقيقية حتى الآن. ولا أعتقد بأنها ستحدث قط لأن المشكلة الحقيقية غير موجودة. "المشكلة" هي شيء مُختلَق. توجد مواقف ولا توجد مشكلات. فالمشكلات هي تفسيراتك للمواقف. والموقف ذاته قد لا يكون مشكلة بالنسبة لشخص وقد يكون مشكلة لشخص آخر.

وعليه فإن هذا يعتمد عليك سواء خلَقتَ مشكلة أو لم تخلقها فالمشكلات غير موجودة. المشكلات لا تكمن في الوجود: بل في سيكولوجية المرء.

في المرة القادمة، عندما ترتكب غلطة ما وتتورط في مشكلة، فما عليك إلا أن تراقب فقط. قف جانباً وانظر إلى المشكلة. هل هي موجودة حقاً؟ أم أنك أنت الذي خلقتها؟ انظر إليها بعمق وسترى بأنها لا تزيد، بل تنقص، وتصبح أصغر فأصغر. والأكثر أهمية هو أن تسخّر طاقتك للمراقبة، فيغدو الأصغر أكثر صغَراً. ثم تأتي فجأة لحظة لا تعود فيها موجودة... وترتسم الضحكة على محيّاك.

عندما تكون لديك مشكلة. انظر إليها مباشرة. فالمشاكل زائفة وغير موجودة. أحط بالمشكلة، انظر إليها من كل زاوية.. راقبها كيف تبدو. إنها شبح! وأنت من أرادها، لهذا هي موجودة. أنت الذي طلبتها، لهذا هي موجودة. أنت الذي دعوتها، ولهذا السبب هي موجودة.

لكن الناس لا يحبون أن تقول لهم بأن مشكلتهم ليست مشكلة.. لأنهم سيشعرون بخيبة أمل كبرى. إذا استمعت لمشاكلهم فسيكون شعورهم على خير ما يرام. وإذا قلتَ لهم، "نعَم، إنها مشكلة كبيرة"، فسيكونون سعداء جداً. لهذا السبب أصبح التحليل النفسي واحداً من أكثر أشياء هذا القرن أهمية.. إن

آخر. لأنه لا يستطيع ذلك. غير أن الناس مازالوا يأتون إليه ويدفعون المال. وهم يستمتعون بذلك.. وهو(المحلل النفسي) يوافق على مشكلاتهم، وكلما أتيت إلى المحلل النفسي بمشكلة سخيفة، أصغى لك بجدية وإخلاص كبيرين كما لو أنها مشكلة موجودة. ويعتبر الأمر مفروغاً منه في أنك تعاني بالفعل، ويبدأ بالعمل على أساس ذلك ويحلله. ثم يستغرق في علاجك سنوات.

ولكن حتى بعد سنوات من التحليل النفسي لن تُحَلَّ المشكلة.. لأن المشكلة في المقام الأول لم تكن موجودة أصلاً، فكيف يمكن لأي شخص أن يحلّها؟ فضلاً عن أنه بعد عدّة سنين ستصبح منهكاً من التحليل النفسي، وتنتهي من مشكلتك القديمة لتبحث عن مشكلة جديدة. وهكذا في يوم ما ستقول فجأةً، "حسناً، لم تعد مشكلتي موجودة، لقد زالت،" ثم تشكر محللك النفسي. غير أن الزمن ببساطة، يكون هو الذي ساعدك وهو الذي شفاك. وليس التحليل النفسي. غير أن هناك أشخاصاً لا يحبّون أن يصبروا ويروا.

عندما تأتي بشخص مجنون إلى معبد بوذي، فإنهم يضعونه في ركن ما، أو في كوخ صغير بعيداً عن المعبد، يُقدمون له الطعام ويقولون "عش هادئاً هنا ". لا أحد يتحدث معه، لا أحد يضايقه أو يتضايق منه، يقدمون له كل حاجاته ويحرصون على راحته. وما يفعله التحليل النفسي في ثلاثة سنوات، يفعلونه هم في ثلاثة أسابيع. وخلال ثلاثة أسابيع يخرج الشخص ويقول" حسناً، المشكلة انتهت."

فإذا تُركت لثلاثة أسابيع مع مشكلتك.. فكيف لك أن تتجنّب التمعّن فيها؟ لم يتغير وضعك ولم يُقَدَّم لك أي تحليل نفسي ولم تُشوَّش. بينما المحلل النفسي يشوّشك! وقد تموت المشكلة لوحدها خلال ثلاثة أسابيع، لكنها لن تموت الآن بسبب دعم المحلل النفسي الذي سيُحييها لثلاث سنوات، أو أكثر. فهذا يعتمد على درجة غناكَ، وإذا كنت غنياً بما فيه الكفاية، فمن الممكن أن تستمر المشكلة مدى الحياة.

والواقع أن الناس الفقراء لا يعانون من مشاكل كثيرة. أما الأغنياء فهم الذين يعانون لأن بإمكانهم دفع الثمن. بمقدورهم الاستمتاع بلعبة أن لديهم مشاكل كبيرة. غير أن الفقير لا يمكنه ذلك ولا يستطيع الاستمتاع بتلك اللعبة.

عندما يكون لديك مشكلة، تمعّن فيها جيّداً. لا تحللها، لا حاجة لأي تحليل، لأن التحليل هو وسيلة للتشوّش. عندما تبدأ بالتحليل، فإنك لا تعود تنظر إلى المشكلة وستبدأ بالتساؤل، لماذا؟ من أين؟ وكيف أتت؟ .. وستفكّر بطفولتك، بعلاقة والدك ووالدتك بك.

وهكذا تكون قد ضللت الطريق. لأنك لم تعد تنظر الآن إلى المشكلة بحد ذاتها. والتحليل النفسي الفرويدي في الحقيقةً هو خدعةٌ عقلية ملعوبةٌ بخبرة كبيرة.

لا تدخل في الأسباب! فلا حاجة لذلك لأنه لا يوجد سبب. لا تدخل في الماضي فلا ضرورة لذلك لأنه سيبعدك عن المشكلة الحالية. انظر إليها كشيء موجود هنا والآن. فقط ادخل إليها، ولا تفكر بالدواعي والأسباب. ارصُد المشكلة كما هي فقط. وسوف تُفاجأ بأنك عندما تنظر إليها بإمعان، ستبدأ بتفتيتها. استمر بتفحّصها وستجدها قد انتهت.

المشاكل إذن ليست موجودة. فنحن من يخلقها.. لأننا لا نستطيع العيش بدونها وهذا هو السبب الوحيد في خلقنا لها. أن تكون لديك مشكلة يعني أن يكون لديك عمل. والمرء يشعر بالرضا عندما يجد شيئاً يفعله. عندما لا توجَدُ مشاكل فإنك تجد نفسك وحيداً، فارغاً.. فماذا ستفعل لاحقاً وقد انتهت كل المشاكل؟

فكِّر بإمعان: ذات يوم سيأتي الله ويقول، "لم تعد هناك مشاكل.. لقد انتهت! كل المشاكل زالت." فماذا سيفعل الناس؟ فكِّر بذلك اليوم. سوف يحتار الناس ويبدأون بإنزال سخطهم الشديد على الله. قائلين، "هذه ليست نعمة! ماذا يُفترض أن نفعل؟ أليس هناك من مشاكل؟" عند ذلك تتوقف الطاقة فجأة عن الحركة في كل مكان، وتشعر بالركود. وهكذا فإن المشكلة بالنسبة لك وسيلة لكي تتحرك، وتثابر وتتابع، وتتمنى، وترغب، وتحلم. فهي تمنحك إمكانيات كبيرة لكي تظلّ منشغلاً.

وحين لا تكون منشغلاً، أو حين تكون قادراً على عدم الانشغال، فهذا ما أسمّيه التأمل: فالعقل غير المنشغل والمستمتع بلحظة عدم الانشغال هو العقل المتأمل.

ابدأ بالتمتع ببعض لحظات اللّا انشغال حتى لو كانت لديك مشكلة..

وتشعر بأنها موجودة. وأنا أقول بأنها ليست كذلك، رغم شعورك بوجودها.. ومع ذلك ضعِ المشكلة جانباً وقل لها "مهلاً! إن الحياة موجودة، الحياة بكاملها موجودة.

قل لها سوف أجد لك الحل ولكن دعيني الآن أحصل على مساحة صغيرة غير مشغولة بأية مشكلة".

حاول أن تبدأ بالحصول على القليل من لحظات الفراغ، وحالما تستمتع بها، سترى حقيقة أن تلك المشاكل قد خُلقَتْ من خلالك لأنك لم تكن قادراً على الاستمتاع بلحظات الفراغ. وهذا فإن المشاكل تملأ الفجوة.

هل راقبت نفسك وأنت تجلس في غرفة؟ فإذا لم يكن لديك شيء تفعله، تبدأ بالشعور بالضجر، بعدم الراحة، بالقلق، فتشغّل الراديو، أو التلفزيون، أو تشرع بقراءة نفس الصحيفة التي قرأتها ثلاث مرات منذ الصباح. أما إذا لم يكن لديك أية وسيلة، فإنك ستخلد للنوم لكي تتمكن من خلق الأحلام ولتعود منشغلاً من جديد. أو ستبدأ بالتدخين. هل راقبت ذلك؟ عندما لا يكون لديك أي شيء لتفعله، يصبح من الصعب جداً أن تبقى هكذا، دون أن يكون هناك شيء يشغلك.

سأقول لك من جديد: ليست هنا مشكلة يأناندو. أمعن النظر في حقيقة الأمر. إذا أردت امتلاك مشكلة، فهو شأنك.. ولكن تنعّم بكل بركاتي فما الحقيقة سوى أنه لا توجد مشكلة.

الحياة ليست مشكلة على الإطلاق .. إنها لغز لكي تعيشه وتتمتع به. فأنت من خلق المشاكل لأنك تخشى التمتّع بالحياة، تخشى أن تعيش الحياة. والمشاكل تخلق لديك مناعةً.. ضدّ الحياة، ضدّ المتعة وضدّ الحبّ. يمكنك أن تقول لنفسك، "كيف أتمتع بالحياة؟ فلدي الكثير من المشاكل. كيف أتمتّع بها؟ لدي الكثير والكثير من المشاكل، فكيف أحبّ رجلاً أو امرأة؟ لدي الكثير من المشاكل، فكيف أرقص وأغنّي؟.

.هذا مستحيل!" فأنت تستطيع أن تجد الأسباب كي لا تغنّي، كي لا ترقص. فمشاكلك تعطيك فرصة عظيمة لكي تتجنّب الحياة.

تفحّصِ المشاكل إذن وستجدها زائفة.

وحتى لو كانت لديك مشكلة وتشعر بأنّها حقيقية، أقول حسناً. لماذا أقول حسناً؟ لأنه في اللحظة التي تبدأ فيها بالشعور بأن ذلك حَسَنٌ، فإنها ستختفي.

في اللحظة التي تقول فيها للمشكلة، حسناً. تكون قد توقفتَ عن شحنها بالطاقة. لقد تقبلتها! وفي اللحظة التي تتقبل فيها المشكلة، لا تعود مشكلة. المشكلة يمكن أن تكون مشكلة عندما تستمر في رفضها، وحينما تقول لا ينبغي أن يحصل هكذا... آنذاك ستتعزّز المشكلة.

لهذا السبب أقول، يأتي الناس إليَّ مع مشاكلهم الكبيرة فأقول لهم "هذا حَسَنٌ، جيّدٌ جداً، تقبلّوها". ثم أقول "يجب أن تتقبل وتُحبَّ نفسك". إنني أتفهم أناندوا حين يقول "إنه لأمرٌ يُفقدُ المرءَ صوابه، وصوتكَ يردد باستمرار، "ذلك حسنٌ... وليست هناك مشكلة." "قط"؟؟؟!

ثم يقول أناندو، "أظن بأنك لو قلت هذه الكلمة مرة أخرى فسوف أصرخ".

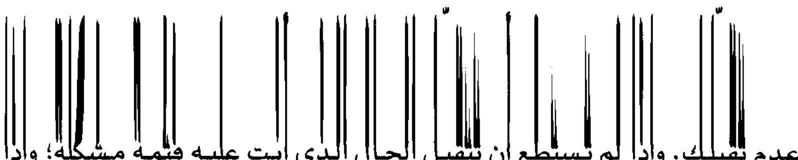
أقول إنك تصرخ خلال حياتك كلها.. وسواءً أكنت تصرخ أم لا، فليس هذا هو المهم.. إنك تصرخ طوال حياتك كلها وحتى الآن لم تفعل شيئا غير الصراخ. أحياناً بصوت مرتفع، وأحيانا بصمت، لكنك تصرخ. هكذا أرى الناس.. إنهم يصرخون، قلبهم يصرخ، كيانهم يصرخ. لكن ذلك لن يفيد؛ بإمكانك أن تصرخ لكن ذلك لن يفيد.

بدلاً من الصراخ حاول أن تفهم. حاول أن تتصوّر ما أقوله لك، وما أحدّثك به ليس نظرية.. إنه حقيقة؛ وأنا أقول هذا لأنني عرفت الحقيقة بهذه الطريقة. إذا كان من الممكن أن يحدث هذا لي، حيث أشعر بأنه لا توجد مشكلة، فلماذا لا يحدث هذا معك؟ تحدّاها! أنا مثلك، مجرد رجل عادي ولا أدّعي أية قدرات إعجازية غير عادية.

أنا إنسان عادي جداً، مثلك تماماً. والفرق الوحيد بيني وبينك هو أنك لا تقول لنفسك حسناً، في حين أقول لنفسي حسناً بالمطلق.. ذلك هو الفرق الوحيد. أنت تحاولُ بشكل مستمر أن تُحسّنَ نفسك أما أنا فلا أُحاولُ تَحسين نفسي. لأنني أقول: النقص سُنَّةُ الحياة. أنت تحاول أن تصبح مثالياً أما أنا فقد تقبَّلتُ نواقصي. ذلك هو الفرق الوحيد.

لهذا السبب ليس لدي مشاكل. وعندما تتقبل نقصك، فمن أين يمكن أن تأتي المشكلة؟ حينما تقول لأي شيء يحدث: "حسناً"، فمن أين يمكن أن تأتي

المشكلة ؟ عندما تتقبّل نواقصك إذن من أين ستأتي المشكلة؟ المشكلة تنشأ من



عدم تقبلك. وإذا لم تستطع أن تتقبل الحال الذي أنت عليه فثمة مشكلة؛ وإذا لم تتقبّل أبداً ما أنت عليه، فستكون المشكلة موجودة دوماً .هل يمكنك أن تتصوّر نفسك يوماً ما متقبِّلاً، متقبلاً بالمطلق الحالة التي أنت فيها ؟ إذا استطعت أن تتصوَّر ذلك، فلماذا لا تفعل ذلك حقاً؟ هل تنتظر؟ لأجل من؟ ولأي غرض؟

لقد تقبّلتُ ما أنا عليه، وعلى الفور اختفت كل المشاكل. على الفور اختفت كل الإزعاجات. ليس لأنني أصبحت كاملاً، بل لأنني بدأت أستمتع بنواقصي. لا يمكن لأحد أن يكون كاملاً أبداً.. لأنه كي تكون كاملاً يعني أن تصبح ميتاً بالتأكيد. الكمال غير ممكن لأن الحياة أبديّة. الكمال غير ممكن لأن الحياة مستمرة ومستمرة.. وليس لها نهاية.

وبالتالي فإن الوسيلة الوحيدة للخروج مما يسمى بالمشاكل هي أن تتقبل حياتك بصورة صحيحة مثلما هي في هذه اللحظة. عشها وتمتّع وابتهج بها. لأن اللحظة التالية ستكون أكثر متعة لكونها تخرج من هذه اللحظة، واللحظة التي تليها أيضاً ستكون أكثر متعة، وشيئاً فشيئاً، ستصبح أكثر وأكثر فرحاً. ليس لأنك ستغدو فرحاً من خلال تحسّن وضعك، بل من خلال عيش اللحظة.

لكنك ستظل غير كامل. ستبقى محدوداً بنواقصك دائماً، وسيكون لديك دائماً أوضاع تتيح لك إذا أردت أن تخلق المشاكل، ويمكنك خلقها في الحال. أما إذا لم تُرد خلق المشاكل، فلا داع لخلقها. يمكنك أن تصرخ ولكن ذلك لن يفيدك. ذلك ما كنت تفعله دائماً.. ولم يُفدك.

حتى العلاج التقليدي لم يثبت أنه ذو فائدة كبيرة. فهو يُتيحُ للناس بأن يصرخوا.. نعم، إنه يُشعر المرء بقليل من التحسّن، فهو إذن علاجٌ لنوبة غضب. وهو يتيح لك بأن تتقيّأ؛ فيشعرك بقليل من التحسّن لأنك تشعر من خلال ذلك بقليل من التفريغ، بقليل من الانفراج، ولكن في غضون بضعة أيام يختفي ذلك الشعور بالنشاط، وتعود بعدها كما كنت، منهاراً مرةً أخرى. ومن جديد تذهب إلى العلاج التقليدي.. فتشعر بالتحسّن لبضعة أيام... لتعود مرّة أخرى كما كنت.

إذا لم تفهم بأن على المرء أن يتوقف عن خلق المشاكل، فستستمرّ في خلقها، يمكنك أن تنضم إلى مجموعة العلاج الجماعي، تستطيع أن تستخدم العلاج

التقليدي، أن تستخدم آلاف أنماط العلاج الأخرى، وبعد كل علاج تشعر بانفراج كبير، فقد أسقطت شيئاً كان على رأسك.. لكنك لم تُسقط الآلية التي تخلق تلك المشاكل. لقد أسقطت هَمّاً ما كنت تحمله، لكنك لم تُسقط المصنع ذاته الذي يستمر في خلقه. ولسوف تخلقه مرة أخرى. ولن تكون علاجاتك ذات نفع كبير. لأنها ستعطيك مُهلة، استراحة.

أما إذا فهمت الأمر حقّاً. بأن عليك أن تتوقف عن خلق المشكلات.. وإلاّ فيسكون بمقدورك أن تمضي من مجموعة علاج إلى أخرى، من مُحللٍ نفسي إلى آخر، من عالم نفس إلى آخر، من علاجٍ إلى آخر... وكل شخصٍ سيعطيك مُهلَةً صغيرة، استراحةً صغيرة، ثم تعود من جديد لتفعلَ الشيء ذاته.

إن ما أسعى إليه هنا هو قطع المشكلة من جذورها. أرجوك لا تخلق المشكلات.. فهي ليست موجودة.

والشيء الأخير الذي يقوله أناندو، "ألم أكن أسعَدَ حينما اعتقدت بأنه كان هناك هدف؟"

نعم، كنت الأسعد وكنت الأكثر بؤساً أيضاً.. لأن سعادتك كانت مبنية على الأمل، فهي لم تكن سعادةً حقيقية. لهذا أقول بأنك كنتَ الأسعد وكنتَ الأكثر بؤساً أيضاً. تعسٌ أنت في الوقت الحاضر، وسعيدٌ في المستقبل.. ولكن كيف تكون في المستقبَل؟ إن الهدف موجودٌ في المستقبل. تعيسٌ أنت هنا، وسعيد أنت هناك.

"هناك" غير موجودة .. الكل هنا ودائماً هنا. كل مكان هو هنا! أما "هناك" فموجودة فقط في القاموس. وكذلك الأمر مع "بعد ذلك". المسألة دائماً في الآن. "آنذاك" ليست موجودة. نعم، كنت الأسعد في أحلامك بتفكيرك بهدف، بتفكيرك في مستقبل جميل. ولكن لماذا يفكر الشخص بمستقبل جميل؟.. لأنه تعيس في الحاضر.

أنا لا أفكر بمستقبل جميل ولا أستطيع تصوّر كيف يمكن أن يكون المستقبل أجمل! كيف يمكن أن يكون أكثر جمالاً مما هو الآن في هذه اللحظة؟ كيف سيكون الوجود أكثر سعادة وأكثر بهجة مما هو الآن في هذه اللحظة، ألقِ نظرة.. كيف يمكن أن يكون الغد أكثر سعادة، أكثر بهجة؟ إنها خدعة، خدعة العقل مرة

أخرى، فلكي نتجنب الحاضر نستمر بالتفكير بالمستقبل وهكذا لا نحتاج لأن

نرى الحاضر. فالحاضر كله موجود هناك.

لهذا تبدو مُحقاً.. فقد كنت الأسعد. الأسعد في أحلامك. والآن حَطَّمتُ كل أحلامَكَ وآمالك.. وأُحاولُ الآن بكل وسيلة أن أخلق لديك حالة من اليأس، لذا لم يعد لديك أمل هناك. لأنني أُحاول أن أنقلك للحاضر.

أنت تتجول في المستقبل، وأنا أسحبك نحو اللحظة الحالية. وهذا عمل مضني بالنسبة لك. فبإقصاء الأهداف يصبح المرء غاضباً جداً. لهذا تغضب مني أحيانا كثيرة. فقد أخذتُ أمَلَكَ، وأحلامكَ، أو أنني أحاول ذلك في حين أنك تتشبّث بها، فأنت مُدمنٌ جداً على أملكَ حتى لو بدأت تتمنى من خلالي.

إنك تبدأ بالتمني مِن خلالي وتقول: "بهاغاوان سيفعل هذا."

بينما أنا لن أفعل أي شيء.. في حين أنك تبدأ بالتمني قائلاً: "أنا الآن مع بهاغاوان لذا فلا حاجة للخوف. عاجلا أم آجلاً سأصبح مستنيراً".

انس كل ذلك! فالاستنارة ليست أمنية! وليست رغبة، وهي ليست في المستقبل. إذا بدأت حقاً تعيش اللحظة، فأنت مستنيرٌ. وأنا أحاول كلَّ يوم أن أجعلك مستنيراً. في حين أنك تقول "غداً". إذن، كما تشاء...ولكنَّ غداً لن يأتي. فإما الآن أو لن تستنير أبداً.

اعمل على أن تصبح مستنيراً الآن! بمقدورك أن تصبح كذلك لأنك ببساطة... منخدع، لأنك ببساطة تفكر بأنك لست كذلك.

لهذا لا تسأل كيف. ففي اللحظة التي تسأل فيها كيف، ستبدأ بالتمنّي. إذاً عليك أن لا تسأل كيف ولا تقُل "أجل، سوف أصبح كذا". أنا لا أقول ذلك. بل أقول أنت تكون.

سوميندرا!...الإوزّة في الخارج. الإوزة لم تكن أبدا في الداخل. على المرء أن يكون يَقظاً تماماً ولو للحظة. المطلوب فقط لحظة واحدة من التيقّظ، صدمة، وتكون حراً.

أحاول كل يوم أن أجعلك مستنيراً، لأنني أعرف بأنك مستنيرٌ. ولكن إذا شئت أن تستمر بلعبة السامسارا، فبإمكانك أن تمضي بذلك.

كنت الأسعد، بالتأكيد كنت الأسعد.. وتعيس أيضاً. فقد سلبتُك سعادتك ولم يعد بمقدورك التمنّي بعد الآن. هيهات.

طلب الموظف ريكو، ذات مرة من نينسين بأن يشرح له عن المشكلة القديمة للإوزة التي بداخل الزجاجة.

قال ريكو "لو وضَعَ شخصٌ فرخَ إوز داخل زجاجة، وقام بإطعامه حتى يكبر، فكيف يمكنه إخراجه دون أن يقتله أو دون أن يكسر الزجاجة"؟

فصفّق نينسين بيديه بشدة وصاحَ: "ريكو!"

"نعم يا سيدي". أجابه الموظف متحفّزاً.

قال نينسين "انظر، الإوزّة في الخارج"

اسمح لي بالمزيد قليلاً، سوف أستولي على تعاستك أيضاً. ولكن يجب أن تتبخر السعادة أولاً، لأن التعاسة موجودة كظلٍ لتمنّي السعادة. لذا فإن تمنّي السعادة يجب أن يذهب أولاً وبعدها يذهب ظلها.

يمكنك أن تصرخ إذا أردت الصراخ، لكنني سأكرر ألف مرة ومرة: أناندو، ليست هناك مشكلة. فقط عليك أن تتقبّل وأن تُحبَّ نفسك.. أجل، فقط.

السؤال الرابع: أليست التانترا هي طريق الانغماس؟

لا، ليست كذلك. إنها الطريق الوحيد للخروج من الانغماس، الطريق الوحيد للخروج من الجنسانية. وما كان لأي طريق آخر أن ساعدَ الإنسان أبداً. فكل الطرق الأخرى تجعل الإنسان جنسيّاً أكثر فأكثر.

لم يختفِ الجنس. وقد جعلته الأديان أكثر سُمّيّةً. وبقي موجوداً.. على شكل سُم. صحيحٌ أن الخطيئة نشأت مع الإنسان، لكن الجنس لم ولا يمكن أن يزول لأنه حقيقة بيولوجية. إنه وجوديٌ، ولا يمكن أن يزول ببساطة عن طريق كبحه. يمكن أن يزول فقط حينما تصبح حيادياً جداً بحيث تستطيع تحرير الطاقة المغلّفة بالجنس.. لا تتحرر الطاقة بالكبح، بل بالفهم. وحالما تتحرر الطاقة من الوحل يتوجّبُ على اللوتس أن ينطلق خارج الوحل، يجب أن يصعد إلى الأعلى، فالكبح يطمر الجنس عميقاً في الوحل ويعمل على كبته.

ما فعلْتَه أنت لغاية الآن، وما فعَلَتْهُ البشرية كلها، هو كبت الجنس في وحل اللاوعي، امضِ في كبته، اجلسْ فوقه، لا تسمح له بأن يتحرك، اقتله بالصيام، بضبط النفس، بالذهاب إلى كهف في الهملايا، بالذهاب إلى معبد حيث المرأة غير مسموح بها. هناك معابد لم يسبق أن دخلتها امرأة منذ مئات السنين، وهناك أديرة تعيش فيها الراهبات فقط ولم يدخلها رجلٌ قَطّ. تلك هي وسائل



الانغماس.

كلا، التانترا ليست طريق الانغماس. إنها الطريق الوحيد إلى الحرية. التانترا تقول: كيفما كان – الطريق– فلا بد أن يُفهَم، ومن خلال الفهّم يحدث التغيير وفقاً لسياقه الخاص.

لذا أصغِ لي أو لساراها، لا تظن بأن ساراها يؤيد انغماسك. ستكون بأسوأ حال إذا اعتقدت ذلك.

استَمِعْ الآن إلى هذه القصّة:

ذهبَ رجلٌ مُسن يُدعى مارتن إلى الطبيب ليجري له كشفاً.

"أريدك أن تخبرني ما هو الخلل يا دكتور. أشعر ببعض الألم هنا وهناك، ولا أستطيع فهمه. لقد عشتُ حياةً نظيفةً جداً.. لا تدخين ولا مشروب ولا زيارات. آوي إلى الفراش، وحيداً، عند التاسعة كل مساء. فلماذا أشعر بهذه الحال؟"

سأله الطبيب " كم هو عمرك"

قال مارتن " سأكون في الرابعة والسبعين في عيد ميلادي القادم."

أجاب الطبيب " رغم كل ما قلته، فأنت تتقدم في السن، يجب أن تتوقع أشياءً كهذه. لكنك أضعت الكثير من الوقت لغاية الآن على هذه المشكلة. عليك أن تأخذ الأمر ببساطة، ولا تقلق. أقترح عليك أن تذهب إلى الينابيع الحارّة."

وهكذا ذهب مارتن إلى الينابيع الحارّة. وهناك قابل شخصاً آخر بدا مُسناً جداً وعاجزاً مما دفع مارتن إلى المقارنة: "يا أخ" قال مارتن " من المؤكّد أنه لا بد أنك اعتنيت بنفسك جيّداً، لتعيش لهذه الشيخوخة الناضجة. لقد عشتُ أنا حياة هادئة نظيفة، ولكن ليس مثلك، إني أراهن على ذلك. ما هي وصفتك للحصول على شيخوخة ناضجة كالتي وصلتَ إليها؟"

أجاب ذلك العجوز الذاوي: "على العكس يا سيدي . فعندما كنت في السابعة عشرة قال لي أبي ، "اذهب يا بني واستمتع بحياتك، كُل واشرب وامرح ملء قلبك. عش الحياة بطولها وعرضها . وبدلاً من الزواج بامرأة واحدة، كن عازباً وامتلك عَشرة. أنفق مالك لأجل اللهو، لأجل نفسك، بدل أن تنفقها على زوجةٍ وأولاد" . أجَلْ. الخمر والنساء والغناء. عش الحياة بملئها . تلك كانت سياستي طوال حياتي يا أخي!"

"يبدو أنني مثلك قد حصلت على كل شيء" قال مارتن " كم هو عمرك"؟ أجاب الآخر " أربعة وعشرون عاماً ".

الانغماس إذن هو انتحار.. والانتحار مثل الكبت. هاتان النهايتان هما اللتان قال بوذا عنهما أنه يجب تفاديهما. النهاية الأولى هي الكبت، والنهاية الأخرى هي الانغماس. كن فقط في المنتصف، دون كبت ولا انغماس. كن في الوسط فقط، يقظاً، منتبها وواعياً.

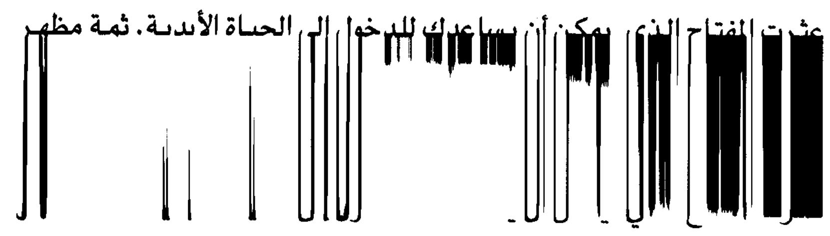
إنها حياتك! لا ينبغي أن تكون مقموعة، ولا أن تكون مهدورة.. بل ينبغي أن تكون مفهومة.

إنها حياتك.. احرَصْ عليها! أحببها! صادقها! إذا استطعت أن تصادق حياتك فسوف تفشي لك بالكثير من الأسرار، وستأخذك إلى باب الله ذاته.

لكن التانترا ليست انغماساً على الإطلاق. والناس المكبوتون يعتقدون دائماً بأن التانترا هي انغماس، لذا فإن تفكيرهم مُستَلَبٌ دائماً، فعلى سبيل المثال: كيف يمكن لشخص يذهب إلى معبد ويعيش هناك، دون أن يشاهد امرأة أبداً، أن يُصَدِّقَ بأن ساراها ليس منغمساً عندما يعيش مع امرأة؟ وهو لا يعيش فقط معها بل يمارس أيضاً أشياء غريبة مثل الجلوس أمام المرأة عارياً وتكون المرأة عارية فيما يستمر بالنظر إليها، أو حتى بينما هو يمارس الحب معها يستمر بالنظر إليها.

الآن، لا يمكنك أن ترى نظرته، تستطيع فقط أن تتصور بأنه يمارس الحب مع امرأة. فإذا كنت قمعيّاً، فإن رغبتك الجنسية المقموعة ستفور. ولابد أن تُجَن! ثم تسلِّط نيران كل ما قمعتَه في نفسك على ساراها.. وساراها لا يفعل أي شيء من هذا، إنه يتحرك ببُعدٍ مختلفٍ كلّياً. وفي الحقيقة أنه ليس مهتمّاً بالجسد، بل يريد أن يرى ما هو الجنس، وما هو هذا الإغراء الكامن في النشوة. يريد أن يفهم ما هي النشوة بالضبط، يريد أن يتأمل في ذروة تلك اللحظة، وبذلك يمكنه أن يجد الدليل والمفتاح... فلربما يوجد مفتاح لفتح باب الألوهة. وفي الحقيقة إنه موجود.

لقد خبأ الله المفتاح في رغبتك الجنسية. فمن ناحية، من خلال غريزتك الجنسية، تحافظ على البقاء، وهو استخدام جزئي فقط لطاقتك الجنسية، ومن ناحية أخرى، إذا تصرّفت بوعي كامل بطاقتك الجنسية، ستجد بأنك



عثرت المفتاح الذي يمكن أن يساعدك للدخول إلى الحياة الأبدية. ثمة مظهر صغير واحد من الجنس وهو أن أطفالك سوف يخرجون إلى الحياة. أما المظهر الآخر، المظهر الأرقى، هو أنك تستطيع العيش في الأبدية.

إن الطاقة الجنسية هي طاقة الحياة.

ونحن عادةً لا نتحرك أبعد من الشرفة، ولا ندخل أبداً إلى القصر، أما ساراها فيحاول الدخول إلى القصر. الآن، لا شك أن الناس الذين جاؤوا إلى الملك، كانوا هم أيضاً أناساً مقموعين مثل كل البشر.

فمهمة السياسي والكاهن أن يُعَلِّم القمع. لأنه عبر القمع يُساقُ الناس إلى الجنون. وهكذا يمكنك أن تحكُم الناس المجانين بسهولة أكثر من أن تحكم الناس العقلاء، وحينما يتخبّل البشر بفعل طاقتهم الجنسية، فإنهم يتوجهون نحو اتجاهات أخرى.. البعض منهم سيتوجّه نحو المال، أو السلطة، أو الوجاهة. عليهم إذن أن يَستعرضوا طاقتهم الجنسية في مكان أو آخر، إذ أنها تغلي هناك.. عليهم أن يُطلقوها بطريقة أو بأخرى. وهكذا يصبح جنون المال أو إدمان السلطة، من المتنفَّسات التي تحررهم.

إن هذا المجتمع بكامله مهووس بالجنس. فإذا اختفى هوس الجنس من العالم، فلن يكون البشر مجانين بالمال. فمن الذي سيتضايق من المال؟ لن تكون السلطة مصدر قلق وإزعاج للناس.

لا أحد يرغب بأن يصبح رئيساً أو رئيس وزارة.. من أجل ماذا؟ الحياة جميلة جداً بوجه عام، رائعة جداً في عموميتها، فلماذا ينبغي على المرء أن يرغب بأن يصبح شخصاً ما؟ الحياة لذيذة دون أن تكون شبيهاً بأحد.. إذ لا شيء تخسره. ولكنك إذا دمّرت رغبة الناس الجنسية وجعلتهم مقموعين، فإنهم يخسرون الكثير، يخسرون ذلك الذي يتوقون إليه باستمرار: مكان ما حيث تكون المتعة.. وهنا الخسارة.

إن الجنس هو أحد النشاطات الممنوحة من الطبيعة والله منذ المرة الأولى التي ولدت فيها وصولاً إلى اللحظة الحالية. فأنت عادةً لا تكون في الحاضر.. إلاّ وقت ممارستك للحب، وبعدها أيضاً لمدّة بضعة ثواني فقط.

تقول التانترا على المرء أن يفهم الجنس، أن يَحُل رموز شيفرته. فإذا كان الجنس في الأساس مسألة حيوية للغاية حيث أن الحياة تنبثق منه، فلا بد إذن

من وجود شيء ما أكثر حيوية منه. وذلك الشيء الأكثر حيوية هو المفتاح إلى الألوهية، إلى الله.

السؤال الخامس: ما هو الخطأ فيَّ؟ أنا أفهم ما تقول، وأقرأ كتبك وأستمتع بها بشكل هائل، ولكن بقي شيء ما أساسي جداً، مفقوداً.

تأمل هذه الكلمات الجميلة لـ "وردزورث"*

العالمُ عالقٌ بنا بشدّة، ماضياً وحاضراً،
نَكسَب ونُنفق، نهدر طاقاتنا.
قلّما نتأملُ في الطبيعة التي هي لنا،
تخلّينا عن قلوبنا، بثمن بخس،
فهذا البحر الذي يكشف صدره للقمر،
وهذه الرياح، التي تعصف في كل الأوقات
هجعت الآن مثل أزهار ذاوية،
لهذا، ومن أجل كل شيء، نحن خارج اللحن
وهو لا يحرّكنا ....

تلك هي الخسارة الكبرى. العالم لا يحركنا ... ونحن لا نتناغم مع الوجود. هذا العالم عالق بنا بشدة.. نكسب وننفق، ونهدر قدراتنا. قليلاً ما نتمعّنُ في الطبيعة... كيف يمكنك أن تجد الله وأن تجد السعادة إذا لم تتمعَّن في الطبيعة؟ الطبيعة هي تجسيد الله. هي جسد الله، شكل الله، معبد الله.

لقد تخلّينا عن قلوبنا ... تلك هي الخسارة.
بسبب هذا، بسبب كل شيء، نحن خارج اللحن وهو لا يحرّكنا.

---

* ويليام وردزوورث (٧ إبريل، ١٧٧٠ - ٢٣ إبريل، ١٨٥٠) شاعر رومانسيّ إنجليزيّ كبير، ساعد هو وصموئيل تايلور في منشوراتهم المشتركة قصائد غنائية عام ١٧٩٨ على بدء عصر الرومانسية في الأدب الإنجليزي.

وهكذا فإن القراءة والاستماع لي فقط لن يفيد كثيراً.... ابدأ بالشعور.

بالإصغاء، بالشعور أيضاً وليس بالإصغاء فقط. أصغِ من خلال قلبك أيضاً. دعه يغوص في أعماق إحساسك. هذا هو المعنى عندما تتحدث كل الأديان عن شرادها shraddha .. الإخلاص، الثقة.. وهما أمران ضروريان. فالثقة تعني: طريقة الإصغاء عبر القلب.. وليس عبر الشك، ليس عبر المنطق، ليس عبر التفكير الاستنتاجي، ليس عبر العقل المنطقي، بل عبر المشاركة العميقة من خلال القلب.

وكما تستمع إلى الموسيقى، استمع إلي بنفس الطريقة. لا تستمع إلي كما تستمع إلى فيلسوف، أصغ كما تصغي إلى الطيور، مثلما تصغي إلى شلال. أصغ إلي كما تصغي إلى الريح التي تعصف بالصنوبر. أصغ إلي، ليس من خلال العقل المنطقي، بل من خلال القلب المشارك. وعندئذٍ فإن الشيء الذي تشعر بأنك تفتقر إليه دائماً، لن يكون مفقوداً.

لقد أصبح الرأس خبيراً أكثر من اللازم، لقد مضى إلى التطرف بعينه. إنه آلة جيّدة، أجل، الرأس مدهش مثل الأداة الميكانيكية المرتبطة بأداة أخرى.. خطرٌ جداً مثل مدير مطلق الصلاحية. لقد مضى إلى التطرف الشديد. وامتص كل طاقاتك. وأصبح دكتاتوريّاً. بالطبع إنه يعمل، ولأنه يعمل، فقد أخذت تعتمد عليه كثيراً. والإنسان يمكنه أن يتجه نحو التطرف دائماً، والعقل يعمد إلى المضي نحو التطرّف.

كان الشاب وورن طموحاً جداً، وعندما حصل على عمل كصبي مكتب، عقد العزم على أن يتعلّم كل شيء ممكن لكي يثير إعجاب ربّ عمله ويتقدّم. وذات يوم استدعاه رب عمله وقال له، " أخبر دائرة النقل بأن يحجزوا لي على متن الباخرة كوين ماري، للإبحار في الشهر الحادي عشر".

فقال الصبي: "عذراً يا سيدي، السفينة لن تبحر إلا في الشهر الثاني عشر".

نظر رب عمله إليه متأثراً ثم قال، " يتعيّن على قسم المشتريات وضعُ طلبٍ فوري لستة أشهر للتزوّد بالألمنيوم."

أجاب وورن،" هل لي أن أقترح عليك بأن تُثبَّت الطلبية غداً، لأن السعر سينخفض. على أن تكون الطلبية لشهر واحد فقط، لأن اتجاه السوق يدل على أن الأسعار ستنخفض."

فقال له رئيسه جيد جداً أيها الشاب، أنت تسيطر على الكرة. أرسل الآنسة كيت لتأخذ بعض التعليمات."

"الآنسة كيت في الخارج اليوم،" أجاب الصبي.

"ما الأمر هل هي مريضة؟"

" كلا يا سيدي، لم تكن كذلك حتى التاسعة."

إنها لمعرفةٌ زائدة، إنها تذهب بعيداً جداً. وهذا ما يحدث للعقل البشري: فهو يذهب بعيداً جداً، متجاوزاً حدّه وقد امتص كل الطاقة وبالتالي لا يذهب شيءٌ إلى القلب. لقد انحرفتَ عن قلبكَ بالكامل. فأنت لا تمر عبر القلب. وفي تلك الحالة لم تعد تتحرك. والقلب تقريباً شيء ميّت، وزن ميّت. وتلك هي الخسارة.

يمكنك أن تُصغي إلي من خلال الرأس، وستفهم بالطبع كل ما أقوله.. لكنك ستبقى غير مدرك لأي شيء، لأية كلمة، لأن الفهم المطلوب هو فهم من نوع مختلف كلياً. إنه الفهم الذي هو أقرب إلى الحب منه إلى المعرفة.

إذا كنت معي في حالة من الحب، حينها فقط، ستفهم..إذا بدأت بالإحساس بي، آنذاك فقط، ستفهم... إذا كانت المودة تنمو بينك وبيني، إذا كانت علاقة حب، آنذاك فقط، ستفهم..

السؤال الأخير: بهاغاوان، كيف تُعَرِّف الحديث الجيّد؟

من الصعب تعريفه. فأنا لم أُلق أبداً خطاباً منفرداً في حياتي. إنك تسأل الشخص الخطأ. لكنني سمعت تعريفاً أحببته وأرغب بأن تعرفه:

إن بداية جيدة ونهاية جيدة تصنع خطاباً جيداً.. إذا اقتربت البداية والنهاية من بعضهما بعضاً حقاً. وبالطبع فإن أفضل خِطابٍ ليس له منتصف أبداً، والخطاب الأفضل هو الخطاب الذي لم يلقَ.

وأنا دائماً كنت ألقي الخطاب الأفضل، الخطاب الذي لم يلقَ. لم ألقِ خطاباً واحداً في حياتي، لأنني أعمل بصمت، وليس بالكلمات.

وحتى عندما تسمع كلمات، فليست هي الغاية. وحتى عندما أستخدم الكلمات، فالكلمات تستعمل كشرٌ لابد منه.. لأنها يجب أن تُستعمَل، ولكونك لا تستطيع فهم الصمت لغاية الآن.

أنا لا أتحدّث إليك. وليس لدي شيء لأقوله، لأن ما لا يمكن أن أقوله، لا

يمكن النقاش حوله. لكنك لن تفهم أي شيء آخر سوى الكلمات، ولهذا علي أن أتحمّل، علي أن أستخدم كلمات دون معنى. وعلي أن أقول الأشياء التي لا يجب أن تقال.. على أمل أن تبدأ شيئاً فشيئاً بالنظر إليَّ مباشرة، وشيئاً فشيئاً، لن تصغي للكلمات ولكن للرسالة.

تذكّر، ليست الوسيلة هي الرسالة. والكلمات ليست هي مقصدي. فالرسالة صامتة.

أنني أحاول أن أسلّمك الخطاب الذي لا يُلقَ. إنها عمليةُ نقلٍ لما وراء الكلمات، لذا فإن من ينضمّون إليَّ من خلال قلوبهم هم وحدهم سيكونون قادرين على استلامه.

هذا العسل لك

كما الغيمة التي تصعد من البحر
مترعة بالمطر، تعانق الأرض،
يبقى البحر، مثل السماء
دون زيادة أو نقصان

هكذا من العفوية الفريدة،
المفعمة بكمالات بوذا
وُلدت كل المخلوقات الحسّيّة، وإليها تجيء
كي تستريح. لكنها ليست حسّية ولا مجرّدة.

يسلكون دروباً أخرى، فيهجرون السعادة الحقيقية.
يبحثون عن المسرّات التي تخلق الإثارات.
العسل في أفواههم، وقريبٌ جداً منهم،
لكنه سيختفي إذا لم يتناولوه في الحال.

الوحوش لا تُدرِكُ بأن العالم
مكان مفجع. فليس سوى الحكيم
من يشرب الرحيق السماوي
بينما الوحوش تتوق إلى ما هو حسّي.

كل شيء يتغيّر... وهيراقليطس على حق: لا يمكنك أن تسبح في النهر مرتين. فالنهر يتغير، وكذلك تتغيّر أنت أيضاً. الكلّ يتحرّك. الكل يجري. كل شيء مؤقّت، كل شيء آني. فهو موجود للحظة فقط، وبعدها يمضي.. ولن تجده مرة أخرى. لا سبيل لك لكي تجده مرة أخرى. وحالما يمضي فهو يمضي إلى الأبد.

ولا شيء يتغيّر.. هذا صحيح أيضاً. لا شيء يتغيّر أبداً. هذا هو حال كل شيء دائماً. بارمينيدس أيضاً على حق، فهو يقول: لا جديد تحت الشمس. فكيف يكون هناك جديد تحتها؟ الشمس قديمة. وهكذا كل شيء. ولو سألت بارمينيدس، فسيقول بأنك تستطيع أن تسبح في أي نهر تريد.. لكنك دائما تسبح في نفس النهر. سواء كان نهر الغانج أو الثاميس فلا فرق. الماء هو ذاته! كله H_2O. وسواءً سبحت في النهر اليوم أو غداً، أو بعد ملايين السنين، فسيكون نفس النهر.

إذن، كيف يمكنك أن تكون مختلفاً؟ لقد كنتَ طفلاً، وتتذكّر طفولتك. وبعدها كنت شاباً، وتتذكر هذا أيضاً. ثم أصبحت عجوزاً. وهو ما تتذكره أيضاً.

فما هو الشيء الذي يستمر بالتذكر؟ ينبغي أن يكون فيك عاملٌ لا يتغيّر.. لا يتبدّل، دائم، دائمٌ بالمطلق. تأتي الطفولة وتذهب، وكذلك يأتي الشباب ويذهب، والشيخوخة أيضاً.. لكن يبقى شيء ما، هو نفسه إلى الأبد.

دعني أقول لك الآن: هيراقليطس وبارمينيدس، كلاهما على حق.. في الحقيقة، أن الاثنين معاً على حق. ولكن إذا كان هيراقليطس محقّاً، فهو يملك نصف الحقيقة فقط. وإذا كان بارمينيدس على حق، فهو يملك أيضاً نصف الحقيقة. ونصف الحقيقة ليست هي الشيء الحقيقي.

كل منهما يقول نصف الحقيقة. الدولاب يتحرك أما المحور فثابت، يتحدث بارمينيدس عن المحور، بينما يتحدث هيراقليطوس عن الدولاب.. لكن لا وجود لدولاب دون محور! وأيضاً ما فائدة المحور دون الدولاب؟ لهذا فإن هاتين النظرتين اللتين تبدوان متناقضتان هما في الحقيقة متكاملتان. وليس هيراقليطس وبارمينيدس خصوم بل هما أصدقاء. ويمكن للآخر أن يوجد وَحدهُ إذا وجدت الحقيقة المتممة له.. وخلافاً لذلك ليس الأمر ممكناً.

فحين تقول شيئاً ما، يمكن أن يشكّل كلامك نصف الحقيقة فقط. ولا يمكن لقولٍ أن يغطّي كل الحقيقة. فإذا كان لأي قول أن يغطّي كامل الحقيقة، فعندئذٍ لابد أن يكون القول متناقضاً بالضرورة، وبالتالي لا بد وأن يكون بالضرورة غير منطقي، وبالتالي سيبدو القول جنوناً.

ماهافير فَعَلَ ذلك.. فهو الرجل الأكثر جنوناً لأنه حاول قول كل الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة كلها، وهو يقودك نحو الجنون، لأن كل قول يَتْبَعُهُ بنقيضه على الفور. لقد طوّر مهافير نماذج سباعية من الأقوال. فالأول يُتبعُ بنقيضه، وهذا بدوره يُتبعُ بنقيضه...وهكذا دواليك. يستمر بالمناقضة سبع مرّات، وعندما ينتهي من السابع، يكون هناك سبعة أشياء مختلفة تماماً وكل واحد مناقض للآخر، وبعدها يقول: لقد قلت كامل الحقيقة الآن.. لكنك آنذاك لن تعرف عن ماذا تحدّثَ.

فإن سألته: "أهو الله؟" فسوف يقول لك "نعم" وبعد ذلك سيقول "لا" ثم يقول "نعم ولا"، وبعدها سيقول " لا هذه ولا تلك" ويستمر هكذا دواليك... وفي النهاية لن تصل إلى أي استنتاج. فهو لا يمنحك أي فرصة للاستنتاج. ويتركك معلّقاً في الهواء.

وهذا هو الاحتمال الأول إذا كنت مصراً على قول الحقيقة- بكاملها-.

أما الاحتمال الآخر من جهة بوذا.. فهو سيلتزم الصمت .. مدركاً أنه مهما قال فسيكون ذلك نصف الحقيقة فقط. والنصف محفوف بالمخاطر. لن يتحدثَ بوذا أي شيء عن الحقائق المطلقة. لن يقول أن العالم متغيّر، ولن يقول أن العالم ثابت. لن يقول: هذا أنت، ولن يقول بأنك لست أنت. وفي اللحظة التي تستفسر فيها عن الحقيقة كاملةً، سيمتنع عن الجواب. وسيقول "أرجوك لا تسأل، لأنك عبر سؤالك ستوقعني في ورطة، فإما أن أكون متناقضاً وهو أمر غير معقول، أو أنطق بنصف الحقيقة، والتي هي ليست بحقيقة، كما أنها خطرة، أو ألتزم الصمت." تلك هي الاحتمالات الثلاثة: وقد اختار بوذا التزام الصمت.

وهذا هو أول شيء ينبغي أن يُفهَمَ عن السوترات الآن، وفي هذا السياق سيكون من السهل أن تفهم ما يقوله ساراها.

السوترا الأولى:

كما الغيمة التي تصعد من البحر

مترعة بالمطر، تعانق الأرض،

يبقى البحر، مثل السماء

دون زيادة أو نقصان

يقول ـ ساراها ـ للملك: انظر إلى السماء. هناك ظاهرتان.. السماء والغيمة. الغيمة تأتي وتذهب. أما السماء فلا تأتي ولا تذهب. الغيمة أحياناً موجودة وأحياناً غير موجودة.. إنها ظاهرة زمنية، مؤقتة.

السماء موجودة دائماً.. إنها ظاهرة خالدة،" أبدية. والغيوم لا تستطيع تعكيرها، ولا حتى الغيوم السوداء تستطيع تعكيرها، إذ لا يمكن تعكيرها. فنقاؤها مطلقٌ لا يُمس. نقاوتها عذراءُ دائماً.. لا يمكنك هتكها. الغيوم تأتي وتذهب، وهي كانت تأتي وتذهب دائماً، لكن السماء نقية أبداً، ولا تترُكُ خلفها أي أثر.

هناك إذن شيئان في الوجود: أحدهما يشبه السماء والآخر يشبه الغيمة. أفعالك تُشبه الغيمة.. تأتي وتذهب. أما أنت. فتشبه السماء: أنت لا تأتي ولا تذهب أبداً. ولادتك وموتك يَحدُثان مثلما يحدث للغيوم. أما أنت ـ فلا تَحدُث أبداً، أنت موجود دائماً.

الأشياء هي التي تحدث في داخلك: أنت لا تحدث أبداً.

الأشياء تحدث تماماً مثلما تحدث الغيمة في السماء. وأنت مراقب صامت لكل لعبة الغيوم. فأحيانا تكون بيضاء جميلة وأحيانا تكون مُظلمةً ومكفهرّة وقبيحةً جداً، أحياناً تكون مترعةً بالمطر وأحياناً تكون خاوية تماماً، أحيانا تقدم فائدةً عظيمة للأرض وأحياناً تُحدث أذىً كبيراً. أحياناً تُحدث الفياضانات والدمار، وأحيانا تجلب الحياة، تخلق خِضرة كثيرة ومحاصيل وفيرة. لكن السماء تبقى هي ذاتها طوال الوقت، خيِّرة أم سيّئة، إلهية أم شيطانيّة فالغيوم لا تُفسدها. والأفعال هي غيوم، الأعمال هي غيوم: أما الكائن فيُشبه السماء.

يقول ساراها: انظر إلى سمائي! لا تنظر إلى أفعالي. هناك حاجة إلى تحوّل في الوعي.. ولا شيء آخر. تحتاج إلى تحوّل في بنيتك السلوكيّة، تحتاج إلى الغشتالت*. فأنت تنظر إلى الغيمة، تُركّز على الغيمة وتنسى السماء.

ثم فجأة تتذكّر السماء. فلا تركّز على الغيمة، بل تركّز على السماء. عندها تكون الغيمة عارضة، وعندئذٍ تكون أنت في بعدٍ مختلف كلّياً.

مجرّدُ تحوّلٍ في التركيز... ويصبح العالم مختلفاً.

عندما تراقب سلوك شخص، فأنت تركّز على الغيمة.

عندما تنظر إلى النقاء العميق لكيانه، فسوف ترى سماءه. فإذا كنت تنظر إلى النقاء الأعمق، حينها لن ترى أي شخص شرّيراً، وسترى كل الوجود مقدّساً. أما إذا كنت تنظر إلى الأفعال، فلن تستطيع أن ترى أي شخص مقدّساً. حتى الشخص الأكثر قداسة يكون عرضة لارتكاب الكثير من الأخطاء حسب أفعاله. فإذا نظرت إلى الأفعال ستجد أفعالاً خاطئة لدى المسيح، وبوذا، وماهافير، وكريشنا، ورام. فحتى أعظم قدّيس سيبدو وكأنه آثم.

لقد كُتبت العديد من الكتب عن السيد المسيح. وكان موضوعاً لآلاف الدراسات، كُتب الكثير منها بتحيّز له للتأكيد على أنه الابن الوحيد لله. وبالطبع، يمكنها أن تثبت ذلك. كما كتب العديد منها للبرهنة على أنه مُجرّد شخص عصابي ليس إلاّ.. ويمكنهم أيضاً إثبات ذلك. وهم يتحدثون عن نفس الشخص. إذن ما الذي حدث؟ كيف عملوا ذلك؟ لقد عمل الفريقان كلاهما بشكل جيّد. ففريق منهم ذهب لاختيار الغيوم البيضاء. والفريق الآخر ذهب لاختيار الغيوم السوداء.. وكلا الغيمتين موجودتان، إذ لا يمكن لفعلٍ أن يكون أبيض فقط أو أسود فقط. ولكي يكون موجوداً، يجب أن يجتمع الاثنان معاً.

وهكذا مهما فعلت، سيجلب فعلك بعض الخير للعالم كما أنه سيجلب بعض السوء.. تماماً بحسب كل خيار اخترته.. سيكون هناك العديد من الأشياء جيدة كما أن العديد منها سيكون خاطئاً. فكر بأي فعل تقوم به: فتذهب على سبيل

---

* الغشتالت: بنية سيكولوجية متكاملةٌ بحيث تؤلف وحدة وظيفية ذات خصائص لا يمكن استمدادها من أجزائها بمجرَّد ضمّ بعضها إلى بعض. (قاموس المورد)

المثال وتُعطي بعض المال لمتسوّلٍ.. فتفعل خيراً، لكن المتسوّل يذهب ويشتري قليلاً من السم وينتحر. والآن، كانت نيّتك حسنة لكن النتيجة النهائية كانت سيّئة.

تساعد شخصاً مريضاً.. تعملُ على خدمته، وتأخذه إلى المشفى. وبعدها يتعافى ويصبح جيداً، ثم يرتكب جريمة. والآن، كان من الممكن بدون مساعدتك، على أقل تقدير، أن لا يزيد عدد القَتَلة واحداً آخر في العالم. وهكذا فإن نيّتك كانت حسنة، لكن النتيجة النهائية كانت سيئة.

إذن بأيهما تحكم، بالنية أم بالنتيجة؟ ثم من يدري بنيّتك؟ فالنية داخلية... بل ربما كنت تتمنى في الأعماق بأن يرتكب جريمة عندما يتعافى.

ويحدث أحيانا: أن تكون نيّتك سيئة وتكون النتيجة جيدة. ترمي بصخرة على شخص، وهو يعاني من صداع نصفي لعدة سنوات، فتصيب الصخرة رأسه ومنذ ذلك الحين يختفي صداعه.. والآن ما العمل؟ ماذا تقول عن فعلتك؟ .. أخلاقيّة أم لا أخلاقية؟ لقد أردت قتل الرجل: غير أنك استطعت أن تقتل صداعه فقط. وهكذا ولد علاج الوخز بالإبر. فمثل هذا العلم العظيم! مفيدٌ جداً! وهو إحدى أعظم الهدايا للإنسانية... لكنه ولد بهذه الطريقة!.

رجلاً كان يعاني من الصداع لعدة سنوات، وكان هناك شخص ما، عدوّه، أراد قتله. فرماه بسهم وهو مختبئ وراء شجرة، فأصابه في فخذه وسقط أرضاً، لكن صداعه اختفى. احتار طبيب البلدة والأشخاص الذين كانوا يعتنون به كثيراً بسبب ما حدث، وبدأو بتدارس الأمر. لقد أصاب السهم بالصدفة واحدة من نقاط وخز الإبر. لقد وُخِزت النقطة بالسهم، فتغيّر التدفق الداخلي للطاقة الكهربائية في جسم الرجل. وبسبب تغيّر التدفق الداخلي للطاقة، اختفى صداعه.

وهكذا عندما تذهب إلى أخصّائي بوخز الإبر وتقول له " لدي صداع"، فقد لا يلمُس رأسك مطلقاً. ربما يبدأ بالضغط على قدمك أو يدك، أو ربما يَخِزُ يدك أو ظهرك. وسوف تُفاجأ متسائلاً: "ماذا تفعل؟ إن رأسي هو الذي يؤلمني وليس ظهري!" لكنه يُدرِكُ بشكل أفضل منك أن الجسد برُمّته هو ظاهرة

كهربائيـة مترابطـة، فهنـاك سـبعمائة نقطـة، وهـو يعـرف مـن أيـن يـدفع الطاقـة

لتغيير تدفقها. كل شيء مترابط... وعلى هذا النحو ولد علاج الوخز بالإبر.

لنتساءل الآن، هل كان الرجل الذي رمى السهم على عدوّه، قدّيساً عظيماً؟ أم كان شرّيراً؟ من الصعب أن نجيب، لا بل من الصعب جداً أن نجيب.

إذا كنت تراقب أفعال الناس، فالأمر يعود إليك. إذ يمكنك أن تختار أشخاصاً جيّدين ويمكنك أن تختار أشخاصاً سيّئين.

وفي المحصّلة النهائية، فإن كل فعل ينتج عنه ما هو جيّد وما هو سيء. هكذا أفهم الأمر، فتأمّل ذلك.. لأن أي فعل يحمل المقدار نفسه من الخير والشر. واسمح لي أن أكرر: إنه يحمل المقدار نفسه. لأن الخير والشر وجهان لعملة واحدة. قد تفعل الخير، لكن فعلك يحمل شراً ما، فأين سيذهب الوجه الآخر؟ وقد تقوم بفعل شرّير لكن الخير يكمن خلفه، فأين سيختفي الوجه الأخر؟ إن قطعة النقود تحمل الوجهين معاً ولا يمكن لوجه واحد أن يوجد بمفرده.

لذا يكون الخاطئون مفيدين أحياناً ويكون القدّيسون في منتهى الضرر أحياناً. إن القديسين والخاطئين هم في نفس القارب! وحالما تعي ذلك، يصبح التغيّر ممكناً، وآنذاك لن تنظر إلى الأفعال. فإذا كانت النسبة واحدة سواء فعلت خيراً أم شرّاً، فما هي أهمية الحكم على المرء من خلال أفعاله؟ إذن بدّل نظرتك بكاملها واتجه نحو غشتالت أخرى.. نحو السماء.

ذلك ما يقوله ساراها للملك. فهو يقول: أنت على حق! لقد أخبرك الناس، وهم ليسوا مخطئين، بأنني أركض مثل كلب مسعور. أجل، فإذا كنت تراقب الفعل فقط فسوف تكون مضللاً، ولن تكون قادراً على فهمي. إذن راقب سمائي الداخلية. راقب أولويتي الداخلية، جوهري الداخلي.. تلك هي الطريقة الوحيدة لترى الحقيقة. أجل، أنا أعيش مع هذه المرأة..، والعيش مع امرأة في العادة يعني ما يعني. يقول ساراها، انظر! إنها ليست معايشة عادية! ليست علاقة رجل بامرأة أبداً. وليس لها علاقة بالجنس. نعيش معاً كفضائين. نعيش معاً

كحريتين. كزورقين فارغين. لكن يجب أن تمعن النظر في السماء وليس في الغيوم.

كما الغيمة التي تصعد من البحر

مترعة بالمطر، تعانق الأرض،

يبقى البحر، مثل السماء

دون زيادة أو نقصان

وثمة شيء آخر يذكّرهُ: بأن يراقب البحر.

تصعد ملايين من الغيوم من البحر، فيتبخّر الكثير من الماء، ويبقى البحر دون زيادة أو نقصان. لأنه بعدها ستهطل الغيوم على الأرض، وتصبح الجداول أنهاراً عظيمة، والعديد من الأنهار ستفيض، وسيعود الماء إلى المحيط، إلى البحر...كل أنهار الأرض ستصب مياهها في البحر، لكن ذلك لن يزيد من البحر.. سيبقى البحر كما هو، فلا فرق إذا أخذ منه أو صُبَّ فيه شيء.. كماله يكمن في أنك لا تستطيع أن تأخذ منه أو تُضيفَ إليه أي شيء.

ويقول: انظر! الكائن الداخلي كامل للغاية، قد تكون أعمالك خاطئة، فلا تُنقص من كماله. وقد تكون أعمالك أعمال قدّيس، لكنها لن تضيف إليك شيئاً وستبقى كما أنت.

إنه كلام ثوري هائل. إنه تَصريح عظيم إذ يقول: لا شيء يمكن إضافته للمرء ولا شيء يمكن أن يُحذَفَ منه.. هكذا يكون كماله الداخلي. لا تستطيع أن تجعل الإنسان أكثر جمالاً ولا يمكنك أن تجعله قبيحاً. لا يمكنك أن تجعله أكثر غنىً ولا أن تجعله فقيراً. فهو يشبه البحر.

تقول إحدى الأناشيد البوذية، أنشودة الفيبوليا، بأنه توجد جوهرتان ثمينتان جداً في المحيط.. إحداها تمنعه من النقصان عندما تُسحب منه المياه، والأخرى تمنعه من التضخّم عندما تتدفق فيه المياه.

توجد إذن جوهرتان عظيمتان في المحيط تمنعانه من الزيادة والنقصان: لن يُصبح أقل ولن يصبح أكثر أبداً.. سيبقى تماماً كما هو. إنه واسع جداً، لا يُعرَفُ

الأنهار تصب فيه لتجلب له كمّيات كبيرة من المياه. لأنه يبقى كما هو.

وهكذا هو جوهر الإنسان. هكذا هو جوهر الوجود. فالزيادة والنقصان هما على السطح وليسا في المركز. بمقدورك أن تصبح إنساناً ذا معرفة واسعة، أو أن تبقى جاهلاً.. فذلك فقط يحدث على السطح. فلا معرفة يمكنها أن تجعلك أكثر معرفة مما أنت عليه. ولا شيء يمكن أن يُضاف إليك. فنقاؤك مطلق، ولا مجال للزيادة عليه.

هذه هي رؤية التانترا. وهذا هو صميم جوهر موقف التانترا— فالإنسان يظل كما هو عليه. ليس هناك توق إلى التحسّن، وليس على المرء أن يصبح جيّداً، ليس على المرء أن يغيِّر هذا وذاك. على المرء أن يتقبّل كل شيء.. أن يتذكّر سماءه، ويتذكّر بحرهُ. وشيئاً فشيئاً، يبزغ الفهم حينما تَعرِف ما هي الغيمة وما هي السماء، ما هو النهر وما هو البحر.

وحالما تكون في تناغم مع بحرك، يختفي كل قلقٍ، ويختفي كل شعورٍ بالذنب. وتصبح بريئاً كالطفل.

لقد عرَفَ الملك ساراها معرفة جيدة: كان ساراها رجلاً عظيم المعرفة وهو الآن يتصرف مثل رجل جاهل. لقد كف عن تلاوة فيداته، ولم يعد يؤدّي طقوسه التي يُقرُّها دينه.. حتى أنه لم يعد يتأمّل. ولم يعد يفعل شيئاً مما يُعتقد في العادة أمراً دينياً. ما الذي يفعله بالعيش هنا على أرض محرقة الجثث؟ إنه يرقص ويغنّي مثل رجل مجنون؟ ويفعل الكثير من الأشياءَ الغريبة عن الأعراف؟ فأين ذهبت معرفته؟

ثم يتابع ساراها قوله: يمكنك أن ترمي بكل معرفتي بعيداً. فلن يُحدث ذلك أي فرق لأن معرفتي لن تنقص بسبب ذلك. أو يمكنك أن تصبَّ في داخلي كل النصوص المقدسة في العالم. وهذا أيضاً لن يُحدث أي فرق لأنها لن تزيد من معرفتي.

كان ساراها رجلاً محاطاً بالتقدير، فكانت المملكة برمّتها تحترمه. وفجأة أصبح أحد الرجال الأقل احتراماً.

يقول ساراها: تستطيع أن تغدق علي كل المكرمات الممكنة، لكن ذلك لن يضيف لي شيئاً.

ويمكنك أن تأخذ مني كل ما يشرّفني، وأن تُهينني، يمكنك أن تفعل كل ما تريد للقضاء على احترام الناس لي.. فلن يحدث شيء. كلُّ الأمور سواء، وسأبقى كما أنا، لن أزيد ولن أنقص أبداً. فأنا أعرف الآن بأنني لست الغيمة..بل السماء.

لهذا لست قلقاً كثيراً سواء اعتقد الناس أن الغيمة سوداء أم بيضاء، لأنني لست الغيمة. ولست نهراً صغيراً، أو بركة ماء أو جدول.. ولست بفنجان ماء تذروه العواصف بسهولة كبيرة، لأنه صغير جداً. خذ منه ملعقة واحدة فقط وستراه ينقص. زدهُ ملعقة واحدة وستراه يفيض.

ثم يقول: أنا البحر الواسع. خذ منه ما تريد أخذه، أو أعطه ما تريد إعطاءه.. فالأمر سيّان.

ليس عليك سوى التمعّن في جماله! لقد وصلت إلى بيتك، ولم يعد يشغلك الآن أي شيء مهم. ولكن إذا كان هناك شيء ما يزال يشغل تفكيرك، فأنت بعيدٌ عن البيت. إذا كنت ما تزال تراقب الأمور، وبأنك ذكي وماكر في أفعالك.. وتفكّر في ما ينبغي أو لا ينبغي أن تفعله، وفيما يتوجّب أو ما لا يتوجّب، فأنت بعيد عندئذٍ عن بيتك. فلا زلت تفكّر بنفسك من زاوية الآني وليس من زاوية الأبدي، ولم تتعرّف إلى الله بعد.

مثل السماء ومثل البحر.. أنت.

السوترا الثانية

هكذا من العفوية الفريدة،

المفعمة بكمالات بوذا

وُلدت كل المخلوقات الحسيّة، وإليها تجيء

كي تستريح. لكنها ليست حسيّة ولا مجرّدة.

هكذا من العفوية الفريدة..

بداية العفوية في التانترا هي أعظم قيمة.. فلنكن طبيعيين تماماً، ولنسمح للطبيعة بأن تأخذ مجراها. لا أن نعيقها، ولا أن نمنعها، ولا أن نريكها، ولا أن نأخذها في اتجاه آخر بحيث لا تعود تسير في مجراها. فلنستسلم للطبيعة، لنجرِ معها حيث تجري. علينا أن لا نسير بعكس النهر، بل نسير معه..طوال مسراه، وحيثما يؤدّي. هذه الثقة هي التانترا. والعفوية هي مانتراها، وقاعدتها العظيمة.

العفوية تعني: أن لا تتدخّل، فأنت ترفع شعار "هيّا نمضي". ومهما حصل، راقبْ، وكن شاهداً. تُدركُ بأنها تجري، فلا تقفز فيها ولا تحاول أن تغيّرَ مجراها. العفوية تعني أن لا يكون لديك أي اتجاه. العفوية تعني أن لا يكون لديك أي هدف لتحققه، فإذا كان لديك هدفٌ ما تريد تحقيقه فلا يمكنك أن تكون عفوياً. كيف تستطيع أن تكون عفوياً إذا كانت طبيعتك تسير في اتجاه وهدفك في اتجاه آخر؟ كيف تقدر حينذاك أن تكون عفويّاً؟ سوف تجُر نفسك نحو الهدف جراً.

ذلك ما يفعله ملايين البشر.. يَجُرّون أنفسهم نحو هدف خيالي. ولأنهم يَجُرّون أنفسهم نحو هدف خيالي، يتوهون عن قدَرهم الطبيعي.. الذي هو الهدف الوحيد! ولهذا السبب تراهم محبطين جداً، وتعساء ومعَذّبين جداً.. لأنك مهما فعلت لن ترضي طبيعتك أبداً.

لهذا السبب، الناس هم كسالى وأموات. يعيشون رغم أنهم لم يعيشوا بعد. يتحرّكون مُكَبَّلين كالسجناء. حركتهم ليست من الحرية بشيء، ليست من الرقص بشيء.. ولا يمكن أن تكون، لأنهم يقاتلون، لأنهم في حالة قتالٍ مستمرٍ مع أنفسهم. يعيشون صراعاً في كل لحظة: تريد أن تأكل هذه، ودينك لا يُجيزُ ذلك، تريد أن تسير مع تلك المرأة، لكن ذلك لن يكون مدعاةً للاحترام. تريد أن تعيش بهذه الطريقة، لكن المجتمع يمنع ذلك. تريد أن تسير في طريقٍ، تشعر من خلاله بأنك تستطيع أن تزهر، لكن الآخرين يعارضونه.

فهل تُصغِ إلى لنفسك؟ أم تصغ إلى نصائح الآخرين؟

إذا أصغيت إلى نصيحة الآخرين، ستكون حياتك حياةً فارغة ولا شيء فيها غير الإحباط. ستنتهي حياتك دون أن تعيشها أبداً، ستموت دون أن تعرف ما هي الحياة.

لقد خلق المجتمع مثل هذه التقييدات في داخلك وليس فقط من الخارج.. إنها تقبع في داخلك. وهذا ما يسمّونه الضمير. إن أردت فعل أي شيء، يقول ضميرك: "لا تفعله". لأن الضمير هو صوتك الأبوي، هو الكاهن والسياسي الذي يتكلم من خلالك. وتلك خدعةٌ كبرى. لقد خلقوا فيك ضميراً.. منذ فجر طفولتك عندما لم تكن بعدُ واعياً أبداً لما عُمِلَ لكَ، لقد وضعوا بداخلك ضميراً.

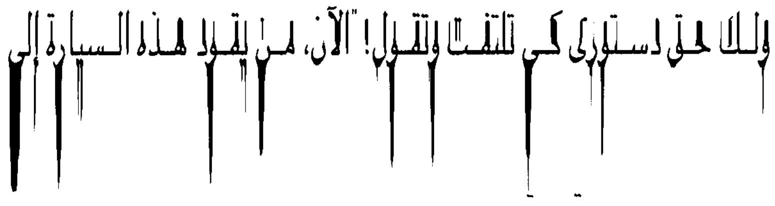
لذلك حينما تخالف ضميرك، تشعر بالذنب. والذنب يعني أنك فعلت شيئاً لا يريد الآخرون أن تفعله. وبالتالي عندما تكون طبيعيّاً فأنت مذنب، وعندما لا تكون مذنباً فأنت غير طبيعي: هذه هي المعضلة، هذه هي المفارقة، هذه هي المشكلة.

إذا أصغيت إلى طبيعتك، تشعر بالذنب، ثم بالتعاسة. فتبدأ بالإحساس بأنك فعلت شيئاً خاطئاً. تبدأ بالاختباء، وتبدأ بالدفاع عن نفسك، مدّعياً بشكل متواصل، وأنت خائف، بأنك لم تفعله.. وبأن أحدهم سيمسك بك عاجلاً أم آجلاً. بأن أحداً سيُقبض عليك.. ثم قلَقٌ وخوف وشعور بالذنب. وتفقد كل حبّك للحياة.

وهكذا فعندما تفعل شيئاً يخالف الآخرين.. تشعر بالذنب. وحينما تفعل ما يقوله الآخرون، لا تشعر بالسعادة لفعله.. لأنه ليس من طبيعتك أن تفعله. وهكذا، يُحشَرُ الإنسان بين خيارين صعبين. .

كنت أقرأ للتو حكاية نادرة: سأل رونالد صديقه المحامي ميلت " ما هي الضمانة المفترضة التي يكفلها الدستور للمرء كي لا يتعرّض للمحاكمة مرّتين؟

فأجاب المحامي: " إنها كما لو أنك كنت تقود سيارتك وزوجتك وأمها جالستان في المقعد الخلفي تُمليان عليك كيف تقود، وهذه هي الضمانة الحقّة كي لا تتعرّض للمحاكمة مرّتين.



الجحيم يا عزيزتي، أمكِ أم أنتِ ؟"

ربما تكون وراء المقود، لكنك لا تقود السيارة. فهناك العديد من الناس يجلسون على المقعد الخلفي..أبواك، جَدّاك، كاهنُكَ، شُرطيُكَ، قائدك، الماهاتما، الحكيم، القِدّيس، وجميع هؤلاء يجلسون على المقعد الخلفي، وجميعهم ينصحونك: "افعل هذا، لا تفعل ذاك! اذهب في هذا الطريق! لا تذهب في ذلك الطريق!" فيقودونك نحو الجنون، وقد فكّرت أن تتبعهم. فإنْ لم تتبعهم، فإن ذلك أيضاً سيخلق في داخلك الكثير من القلق في أن هناك خطأ ما.. إذ كيف تكون مُحقّاً عندما ينصحك العديد من الناس؟ وهم دائماً ينصحونك من أجل مصلحتكِ! فكيف تكون الوحيد الذي على حق عندما يقول العالم بأسره: "افعل هذا!" وهم بالطبع أغلبية ولا بد أنهم على حق.

ولكن تذَكَّر: المسألة ليست مسألة صح أو خطأ.. المسألة الأساسية هي العفوية أو اللاعفوية. والعفوية هي الصحيحة! وما عدا ذلك ستصبح تقليداً والمُقلّدون لن يحققوا كيانهم أبداً.

أردتَ أن تكون رسّاماً، لكن أبويك قالا: "لا! لأن الرسم لن يُعطيك المال الكافي، والرسم لن يمنحك أي احترام داخل المجتمع. ستصبح متشرّداً، وستكون متسوّلاً. لذلك لا تُزعج نفسك بالرسم. كن قاضياً!" وهكذا تصبح قاضياً. فلا تشعر بأية سعادة الآن. إنه لشيء مصطنع أن تكون قاضياً. وتَظلُّ في أعماقك ترغب في الرسم.

وبينما تكون جالساً في المحكمة، تظل في أعماقك منشغلاً بالرسم. وقد تستمع إلى المجرم، لكنك تفكّر بوجهه وتقول في سِرّك: أيُ وجهٍ جميلٍ هذا وأيُ لوحةٍ جميلة كان يمكن أن تكون.

تنظر إلى عينيه وإلى زرقتهما، وتفكر بالألوان...وأنت قاضٍ! لهذا تكون مضطرباً على الدوام، يلاحقك التوتر. وشيئاً فشيئاً، تبدأ أيضاً بالإحساس بأنك رجل محترم وكذا وكذا. وما أنت إلا مجرّدُ شخص مزيّف ومصطنع.

سمعتُ عن امرأة تخلّت عن التدخين عندما تحوّل سعال ببغائها المدلل إلى سعال دائم. كانت قلقة، ومن الطبيعي أنها اعتقدت بأن السجائر التي كانت تدخّنها باستمرار في المنزل هي التي سببت السعال الببغاء. لذا أخذت الببغاء إلى طبيب بيطري. فأجرى الطبيب فحصاً شاملاً للطير ووجد بأن الطير لم يكن مصاباً بذات الرئة أو حُمّى الببغاء. وكان التشخيص النهائي هو أن الببغاء كان يُقلّد سعال مالكته.. مدخّنة السجائر.

لم يكن الببغاء يُدخن: لقد كان يُقلّد. فالمرأة كانت تسعل، والببغاء تعلّمَ السعال.

انتبه.. فحياتك ربما تشبه الببغاء. إذا كانت تشبه الببغاء، فأنت تفقد شيئاً ثميناً جداً.. تفقد حياتك. وكل ما تكسبه لن يبرهن على أنه ذو قيمة كبيرة، لأنه لا يوجد شيء أكثر قيمة من حياتك.

لهذا تجعل التانترا من العفوية المزيَّةَ الأولى، المزية الأكثر أساسية.

هكذا من العفوية الفريدة...

علاوة على هذا، تقول التانترا أيضاً: ما يجب أن يُفهمَ بصورة دقيقة جداً. هو أن العفوية يمكن أن تكون على نوعين، فإما أن تكون بسبب الاندفاع، وآنذاك لن تكون فريدة، وإما أن تكون عن وعي، فتملك آنذاك مزيّةَ الفرادة.. مزيَّةَ البوذا.

أصغِ إلي، في كثير من الأحيان تظن نفسك عفويّاً في حين أنك ببساطة شخص مندفع. فما هو الفرق بين أن تكون مندفعاً، وبين أن تكون عفويّاً؟ لديك شيئان فيك: الفكرُ والجسد. الفكر يتحكّم به المجتمع أما الجسد فتتحكم به البيولوجيا التي لَكَ. الفكر يتحكّم به المجتمع لأنه يستطيع أن يضعَ الأفكار في عقلك، أما جسدك فهو خاضعٌ لملايين السنين من التطور البيولوجي.

وبالتالي فإن الجسد غير واعٍ، وكذلك الفكر. فإذا كنت مراقب يقف خلف الإثنين، وإذا توقفتَ عن الإصغاء للفكر والمجتمع، فهناك كل الإمكانية لأن تبدأ بالإصغاء للبيولوجيا. لذلك قد ترغب أحياناً في قتل شخصاً ما، فتقول "سأكون

عفويّاً" .. بهاغاوان قال "كن عفويّاً" لذلك علي أن أفعل هذا، يجب أن أكون

عفويّاً." وأنا أقول لك بأنك أسأت فهمي. فهذا لن يجعل حياتك جميلةً وسعيدة. وستكون في صراع مستمر مرة أخرى.. ولكن الآن مع الآخرين.

تقصد التانرا بـ "العفوية"، العفوية الممتلئة بالوعي. لذا فإن أول شرط لكي تكون عفويّاً هو أن تكون ممتلئاً بالوعي. ففي اللحظة التي تكون فيها واعياً لن تقع لا في فخ الفكر ولا في فخ الجسد. وعندها تتدفّقُ العفوية الحقيقية من أعماق روحك.. من السماء، من البحر، تتدفّق عفويتك. وخلافاً لذلك، تستطيع أن تبدل أسيادك: من سيادة الجسد إلى سيادة الفكر، أو من الفكر إلى الجسد.

والجسد سرعان ما ينام، والإنسان الذي يتبع الجسد هو كمن يتبع شخصاً أعمى. والعفوية ستحشرك حينذاك في زاوية ضيّقة. وهذا لن يفيدك. والاندفاع أيضاً ليس عفوية. صحيحٌ أن الدافع يملك بعضاً من العفوية أكثر مما يملك الفكر، لكنه ليس من النوعية التي تود لك التانترا أن تتشربها.

لهذا يقول ساراها: هكذا من العفوية الفريدة... إنه يضيف كلمة "فريدة"، والتي يقصد بها فرادة الوعي، فرادة الإدراك، وليس فرادة الدافع.

نحن نعيش بشكل غير واعٍ. وسواء كنا نعيش في الجسد أم في الفكر فذلك لن يُحدثَ فرقاً كبيراً.. لأننا نعيش بشكل غير واعٍ.

"لماذا مزّقتَ الجزء الخلفي من ذلك الكتاب الجديد" سألت الزوجة التي عانت طويلاً من طبيب شارد الذهن. "أعذريني يا عزيزتي" قال الجرّاح المشهور، "فالجزء الذي تتحدثين عنه يُعتبر زائداً وقد مزّقته دون تفكير."

لا بد وأن استئصال الزائدة الدوديّة من أجساد الآخرين، طوال حياته، قد أصبح عادة لاشعورية لديه. فعندما يرى زائدة يقوم باستئصالها بشكل آلي.

هكذا نعيش وهكذا نعمل. إنها حياة لا واعية. فالعفوية غير الواعية لا تمُتُّ كثيراً إلى العفوية بصلة.

خرج سكّيرٌ مترنّح من حانة وأخذ يمشي في الشارع فيضع قدماً على الرصيف ويضع القدم الأخرى على الطريق. وبعد بلاطة أو اثنتين ضبطه الشرطي قائلاً: "ياااااا، أنت ثمل!"

تنهّد الثملُ بارتياح قائلاً: "يا إلهي! هل هذا خطأ؟ لقد ظننتُ بأنني أعرَجٌ."

حينما تكون تحت تأثير الجسد، فأنت تحت تأثير الكيمياء. وأكرر... لقد خرجتَ من الشرك الأول لكنكَ وقعتَ في الشرك الثاني من جديد. ها أنت بمنأى عن الشرك الأول غير أنك سقطت في الشرك الثاني.

إذا أردت حقاً أن تكون خارج كل الحُفَر وأن تكون حراً، فيجب أن تصبح شاهداً على الفكر والجسد معاً. وعندما تكون في وضع الشاهد، وتكون عفوياً ومتحرراً من مشاهدتك، آنذاك تصبح لديك عفوية فريدة.

هكذا من العفوية الفريدة،
المفعمّة بكمالات بوذا...

ويقول ساراها: إن العفوية الحقيقية مفعمة بكمالات بوذا. فما هي كمالات بوذا؟ إنها شيئان: البراغيان وكارونا.. أي الحكمة والرحمة. تلك هي كمالات بوذا. فإذا كانتا موجودتين، ومنعكستين في عفويتك، فعندئذٍ تكون عفويتك فريدة.

والحكمة لا تعني المعرفة. الحكمة تعني الوعي، النظرة التأمّلية، الصمت، اليقظة، التنبّه. ومن ذلك التنبّه، من ذلك الصمت، تتدفق الرحمة على كل المخلوقات.

إن العالمُ بأكمله يعاني. واليوم الذي تبدأ فيه بالتَمَتُّع بسعادتك، تبدأ بالإحساس بآلام الآخرين أيضاً. هم أيضاً بوسعهم التمتّع، لكنهم بالكاد يقفون عند عتبة المزار غير أنهم لا يدخلون إليه، ويتدافعون في الخارج. يملكون الكنز. نفس الكنز الذي حصلت عليه، ويحملونه.. لكنهم لا يستعملونه لأنهم ليسوا واعين له.

عندما يصبح شخص مستنيراً، فإن كل كيانه يمتلئ بالرحمة تجاه كل المخلوقات. ويصبح الوجود بأكمله ممتلئاً برحمته. أنهارٌ من الرحمة تبدأ بالتدفق منه لتصل إلى الآخرين.. إلى الرجال والنساء، إلى الحيوانات والطيور، إلى الأشجار والأنهار، إلى الجبال والنجوم. كل الوجود يتشارك رحمته.

وهاتان الصفتان-الحكمة والرحمة- هما ميزتا بوذا، وذلك ما يفهمه وما

يشعر به ويحرص عليه.

عندما تكون عفويتك واعيةً حقّاً، فلا تستطيع القيام بأي شيء ضد عفويتك: لا تستطيع أن تقتل. والناس يأتون إلي ويسألون "بهاغاوان، أنت تقول بأن أكون عفويّاً، ولكني أحياناً أود أن أقتل زوجتي.. فلماذا يحدث هذا ؟"

لا يمكنك أن تقتل. كيف يمكنك أن تقتل؟! أجل، ولا حتى زوجتك.. فأنت لا تستطيع أن تقتل.

عندما تكون عفويتك يقظة، عندما تكون مضيئة، فكيف يمكنك حتى التفكير في القتل؟ ستعرف بأنه ليست هناك إمكانية لذلك، لا أحد يُقتَلُ أبداً. فالكائن هو السماء: أنت تستطيع فقط أن تُبَدد الغيمة، لكنك لا تستطيع أن تقتل. إذن، ما هي الغاية؟ ثُم، كيف تستطيع أن تقتل إذا كنت يقظاً جداً وعفوياً جداً؟ العفوية ستتدفق جنباً إلى جنب، وبنفس النسبة مع الوعي. وكلما أصبحت واعياً، تكون الرحمة بنفس نسبة الوعي.

يقول بوذا: إذا وجدت الرحمة دون وعي، فهي خطيرة. وذلك ما نسمّيه عند الناس بفاعلي الخير. فهم لديهم الرحمة، ولكن دون وعي. إنهم يسعون إلى فعل الخير، ولكن ذلك الخير ليس لأنفسهم. يمضون إلى مساعدة الآخرين، وهم أنفسهم يحتاجون للكثير من المساعدة. إنهم أنفسهم مرضى ويستمرّون بمساعدة الآخرين. هذا لا يجوز. فالطبيب يُشفي نفسه أولاً!

ويقول بوذا: إذا كنت تملك الرحمة دون وعي، ستكون رحمتك ضارّة. ففاعلو الخير هم أكثر الناس أذىً في العالم. لأنهم لا يعلمون ما يفعلون، لكنهم دائماً يفعلون شيئاً أو آخر لمساعدة الناس.

ذات مرّة، أتى إلي رجل... تفانى كل حياته في عمل الخير، أربعون، خمسون سنة.. إنه في السبعين من العمر. عندما كان في العشرين من عمره وقع تحت تأثير الماهاتما غاندي وأصبح فاعل خير. لقد خلق غاندي عدداً هائلاً من فاعلي الخير في الهند، ومازالت الهند تعاني من فاعلي الخير هؤلاء. ويبدو أنه من الصعب التخلّص منهم.

ذهب هذا الرجل، تحت تأثير الماهاتما غاندي، إلى قبيلة بدائية في باستار وبدأ بتعليم أفرادها البدائيين... أربعين سنة، خمسين سنة من الجهد. فتح العديد من المدارس، والثانويّات، وهو الآن يريد أن يفتتح جامعة.

جاء إليَّ. وأراد الحصول على مساندتي من أجل الجامعة. فقلت له " أجبني أولاً عن سؤال واحد فقط: خمسون سنة وأنت معهم..هل يمكنك أن تؤكد لي بأن التعليم كان مفيداً لهم، وبأنهم الآن أفضل حالاً مما كانوا عليه وهم جهلة؟ أيمكن أن تكون متأكّداً من أن سنوات عملك الخمسين جعلتهم بشراً أحسن من ذي قبل؟

ارتبك الرجل بعض الشيء ثم قال وهو يتصببُ عرقاً: "لم أفكّر بتلك الطريقة، ولكن ربما لديك شيءٌ ما لتقوله. لا، ليسوا أفضل حالاً. في الحقيقة، لقد أصبحوا بالتعليم ماكرين، أصبحوا تماماً مثل غيرهم من الناس. عندما وصلت إليهم قبل خمسين سنة، كانوا أناساً مميزين جداً. صحيحٌ أنهم كانوا جهلة.. ولكن كانت لديهم كرامة. خمسون سنة مضت لم يكن بينهم مجرم واحد. وإذا حدث أحياناً، عندئذ يذهب القاتل إلى المحكمة ويبلغ عن نفسه. لم تكن هناك سَرِقة، وأحيانا إذا سَرَقَ أحدهم، يذهب إلى زعيم القبيلة ويعترف " لقد سرقت لأنني كنت جائعاً.. ولكن عاقبني." لم تكن لأبوابهم أقفال قبل خمسين سنة. فقد عاشوا دائماً بطريقة صامتة ومسالمة جداً".

لذا سألته "إذا لم يُفدهم تعليمك، إذاً فكِّر من جديد. لقد بدأت بفعل الخير للآخرين دون أن تدرك ما كنت تفعله. فكّرت فقط بأن التعليم لا بد وأن يكون خيراً.

يقول د. إتش. لورانس ***D. H. Lawrence*** إذا كان لابد من إنقاذ الإنسان، فيجب أن تُقفل الجامعات لمدة مئة سنة إقفالاً تامّاً! يجب أن لا يُعطى أحد أي تعليم لمدة مئة سنة. يجب أن تلغى كل المدارس والجامعات والكلّيات.. ويحدث انقطاع لمدة مئة عام. تلك هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ الإنسان، لأن التعليم جعل الناس مخادعين جداً.. وهو خداعٌ لأجل المزيد من الاستغلال، خداعٌ لأجل استخدام الآخرين أكثر كأدوات، خداعٌ ليكون الإنسان لا أخلاقياً.

"إذا لم تكن على علم بما تفعله، فيمكنك الاعتقاد بأنك تفعل خيراً، لكن النتيجة لن تكون خيراً".

يقول بوذا: تكون الرحمة خيراً عندما يرافقها الوعي، وإلاّ فهي ليست خيراً، الرحمة خطرة دون وعي، والوعي دون الرحمة أنانية. لهذا يقول بوذا: البوذي المثالي يجب أن يمتلك الاثنين.. الوعي والرحمة. وإذا أصبحتَ واعياً ونسيت الآخرين وقلت "لماذا أهتم بغيري؟ فأنا سعيد الآن"، ثم تُغلق عينيك ولا تساعد الآخرين، لا تساعد الآخرين لكي يصبحوا واعين.. عندها تكون أنانيّاً، وما تزال الأنا العميقة موجودة.

إذن الوعي يقتل نصف الأنا، والنصف الآخر تقتله الرحمة. وباجتماعهما معاً يتم القضاء على الأنا تماماً. وعندما يُصبح المرء غير أناني، يصبح بوذا.

يقول ساراها:

هكذا من العفوية الفريدة،
المفعمة بكمالات بوذا
وُلدت كل المخلوقات الحسّيّة، وإليها تجيء
كي تستريح. لكنها ليست حسّية ولا مجرّدة.

إنه يقول:

من مثل هذه العفويّة الفريدة وُلِدنا. من صلب هذا الورع خرجنا. وإلى هذا الورع نعود مجدداً، كي نستريح.

أثناء ذلك، وفي منتصف هاتين النقطتين، نصبح مرتبطين بالغيوم أكثر. لذلك فإن كل ما نحتاجه هو أن لا نكون مرتبطين بالغيوم. تلك هي التانترا بكلمة واحدة: أن لا تكون مرتبطاً بالغيوم.. لأن الغيوم موجودة الآن فقط. فنحن خرجنا من ذلك المنبع، من ذلك المنبع الطيّب، وسوف نعود إليه لكي نستريح. ووسط هذين الاثنين سيكون هناك العديد من الغيوم.. فلا ترتبط بها. راقبها فقط. وتذكّر بأنك لست الغيوم.

...ولدت كل المخلوقات الحسّية، وإليها تأتي لتستريح.

خرجنا من الله. فنحن آلهة، ثم نعود ثانية إلى الله. وفي هذه الأثناء نحلم بألف حلم وحلم.. لنكون هذا وذاك.

إن الله هو الحقيقة الأكثر بساطة. إن الله هو مَصدَرُكَ.

الله هو غايتك. الله هو حقيقةٌ موجودة هنا الآن! في حضورك ذاته.. إنه الحضور الإلهي. عندما تنظر إلي، فالله هو من ينظر إليَّ، ولا أحد غيرهُ. وبإزاحة..أو بتغيير نقطة التركيز من الغيمة إلى السماء، ستصمت فجأةً، وستشعر بأنك ممتلئ بالسعادة، ستشعر فجأةً بالبركة تحيط بك. لكنها ليست محسوسة ولا مجرّدة.

وهذا الورع... ليس عقلاً ولا جسداً. فالعقل مُجرّد، والجسد محسوس. العقل فكرة والجسد مادّة. وهذا الورع الداخلي لا هو هذا ولا ذاك. إنه السمو. التانترا هي السمو.

لذلك إذا كنت تعتقد بأنك الجسد، فأنت واهم، وبالتالي متماثلٌ مع الغيمة. وإذا كنت تعتقد بأنك الفكر، فأنت واهم مرة أخرى. إذا كنت تعتقد بأن أي طريق يجعلك متماثلاً مع الفكر أو مع الجسد، فأنت تخطئ الدليل.

إذا أصبحت يقظاً، ورأيت نفسك شاهداً فقط ينظر إلى الجسد، وإلى العقل، فقد أصبحت ساراها.. لقد انطلق السهم. وبذلك التبدّل في الوعي.. ينطلق السهم.. بمجرّد ضغطة صغيرة على الزناد. مما يعني أنك قد وصلت. وفي الحقيقة، تكون قد وصلت دون أن تتحرّك من مكانك أبداً.

السوترا الثالثة:

يسلكون دروباً أخرى، فيهجرون السعادة الحقيقية.

يبحثون عن المسرّات التي تخلق الإثارات.

العسل في أفواههم، وقريبٌ جداً منهم،

لكنه سيختفي إذا لم يتناولوه في الحال.

إذا لم تتوحّد مع السماء، التي أنت حقيقةً متوحّد معها، فسوف تسير في طرق أخرى. هناك الملايين من الطرق الأخرى.. لكن الطريق الصحيح واحد.

والواقع أن الطريق الحقيقي ليس طريقاً. فالسماء لا تذهب إلى أي مكان..

والغيوم هي التي تذهب... أحياناً إلى الغرب وأحياناً إلى الشرق، أو إلى الجنوب أو إلى هذا الاتجاه أو ذاك، والبشر جوّالون عظماء. يطوفون، يكتشفون الطرق، يحملون الخرائط.. لكن السماء موجودة ببساطة. ليس لها طريق، وهي لا يمكن أن تذهب إلى أي مكان. ليس لها مكان لتذهب إليه. إنها الكل في الكل.

لهذا فإن أولئك الذين يتذكّرون سماء كيانهم، يكونون في البيت، في الاستراحة. وباستثناء بضعة كائنات، بضعة بوذاوات، يسلك الآخرون دروباً عديدة وهكذا يهجرون السعادة الحقيقية.

حاول أن تفهم هذا. إنه قولٌ عميقٌ للغاية. ففي اللحظة التي تسلك فيها أي درب، فإنك تضلُّ عن السعادة الحقيقية..لأن سعادتك الحقيقية هي في جوهرك. وهي لا تُنتَجُ، ولا تُكتسبُ، ولا تُحرزُ.

فنحن نتَّبع دروباً لنصل إلى مكان ما.. والدروب ليست هدفاً. إنها موجودة أصلاً.. إنها حالةٌ بالأساس، وبالتالي في اللحظة التي تبدأ فيها بالتحرك، فإنك تبتعد. كل حركة منك هي حركة ابتعاد. كل ذهابٍ هو ذهابٌ نحو الضلال. اللا ذهاب هو الوصول. اللا ذهاب هو الدرب الحقيقي. التمس (درباً) وسوف تضيع، لا تلتمس فتستقرّ.

يسلكون دروباً أخرى، فيهجرون السعادة الحقيقية.
يبحثون عن المسرّات التي تخلق الإثارات.

هناك نوعان من السعادة. الأول: هو سعادة مشروطة.. تتحقق فقط في شروطٍ مُعَيَّنة. أن ترى امرأتك فأنت سعيد. أو، أن تكون مُحباً للمال وتجد حقيبةً ممتلئة بمئات الأوراق النقديّة على قارعة الطريق.. فتحصل على السعادة. أو، أن تكون أنانيّاً وتحصل جائزة نوبل.. فترقص، وتشعر بالسعادة. ولكن هذه السعادة هي سعادة مشروطة، عليك أن تُرَتِّبَ لها. وهي سعادة آنية.

إلى متى يمكن أن تظل سعيداً بالسعادة المشروطة؟

إلى متى يمكن أن تدوم السعادة؟ إنها تأتي تماماً مثل لمح البصر، للحظة، وبعدها تمضي. صحيحٌ أنك حينما تجد حقيبة مليئة بالنقود ستكون سعيداً، ولكن إلى متى ستظل سعيداً؟

ليس لمدة طويلة جداً. وفي الحقيقة، سيكون هناك جيشان للطاقة فيك للحظات وستشعر بالسعادة، وفي اللحظة التالية ستصبح خائفاً.. هل سيقبض عليك؟ لمن هذا المال؟ هل رآك أحد؟ وسيقول ضميرك "هذا ليس حلالاً. إنها نوع من السرقة. يجب أن تذهب إلى المحكمة! عليك أن تذهب وتسلّم المال للشرطة! ماذا تفعل؟ أنت رجل أخلاقي..." وبالتالي قلق ثم شعور بالذنب. لكنك أحضرت الحقيبة للمنزل، والآن تقوم بإخفائها.

الآن أنت خائف، ربما تكتشفها زوجتك، وربما أن شخصاً قد رآك فعلاً، ربما أن أحداً ما كان يراقبك.. من يدري؟ ربما أن شخصاً ما قد بلّغَ الشرطة. لذا فأنت قلقٌ منذ الآن.

حتى وإن لم يُبلِغ أحد عنك ولم يرَك أحد، ماذا ستفعل بهذه النقود؟ مهما أردت أن تفعل بالمال، أكرر وأكرر، سوف يمنحك لحظة من السعادة. قد تشتري سيارة، ثم تركن السيارة في فناء منزلك، وتكون للحظة سعيداً. ولكن ماذا بعد...؟ بعدها تصبح السيّارة قديمة، وفي اليوم التالي ها هي نفس السيارة. وبعد عدة أيام لا تعود تنظر إليها مطلقاً.

وهكذا فإن السعادة المؤقتة تأتي وتذهب. إنها تشبه الغيمة. كما أنها تشبه نهراً صغيراً جداً.. حفنة قليلة من المطر تنهمر، ثم ينقطع المطر عن الهطول ويمضي نحو البحر، ومرة أخرى، النهر الصغير هو نهر صغير. يتدفق للحظة ثم يجفّ. وهو ليس كالبحر الذي لا يزيد ولا ينقص.

هناك نوع آخر من السعادة التي سمّاها ساراها السعادة الحقيقية. وهي سعادة غير مشروطة. لا داعِ لأن ترتب لها شروطاً معيّنة! إنها موجودة! عليك فقط أن تنظر في ذاتك وستجدها. لستَ بحاجة إلى امرأة، لست بحاجة إلى رجل، لستَ بحاجة إلى منزل كبير ولا إلى سيارة كبيرة، لستَ بحاجة إلى هيبة وقوّة وجاذبية.. لاشيء. فكلها موجودة لو أغمضت عينيك وتوجّهت تماماً نحو الداخل...

هذه السعادة وحدها يمكن أن تكون دائمة ودائمة. ووحدها هذه السعادة يمكن أن تكون خالدة لك.

حين تبحث ستجد أشياءً آنيّة. ومن دون أن تبحث، ستجد أشياءً أبدية.

يسلكون دروباً أخرى، فيهجرون السعادة الحقيقية.
يبحثون عن المسرّات التي تخلق الإثارات.
العسل في أفواههم، وقريبٌ جداً منهم،
لكنه سيختفي إذا لم يتناولوه في الحال.

العسل في فمك.. وتذهب للبحث عنه في الهملايا، في بعض الجبال؟ لقد سَمِعتَ قصصاً عن وجود العسل في الهملايا بكثرة.. فتذهب للبحث عنه هناك. وهو موجودٌ في فمك!

كان الروحانيون في الهند يتحدثون دائماً عن غزال المسك. حيث هناك نوع معيّن من الغزلان يحتوي على المسك في سرّته. فعندما يكون الغزال في حالة هياجٍ جنسي، تبدأ رائحة المسك بالانبعاث من سرّته... فالمسك هو حيلة طبيعيّة، حيلة بيولوجية، عندما تبدأ رائحة المسك بالانبعاث، تنجذب أنثى الغزال للذكر، فهي تحضر من خلال المسك، من خلال الرائحة.

إن حاسة الشم هي أحد أهم الحواس الجنسية.. لهذا السبب أماتَ الإنسانُ أنفه. فهي حاسّةٌ خطيرة. حقيقةٌ أنت لا تشمّ.. وفي الواقع، أصبحت الكلمة بحد ذاتها مُستنكَرَة للغاية. فإذا كان لدى أحدهم عينان سليمتان وجميلتان، فإنك تقول إنه يرى بشكل جيّد، وإذا كان لدى شخص ما أذنان موسيقيّتان، تقول بأنه يسمع بشكل جيّد لكنك لا تقول بأنه يشم بشكلٍ جيّد. لماذا؟ في الحقيقة، إن القول بأنه يشمّ يعني شيئاً معاكساً تماماً.. يعني أنه يتقّزز، ولا يعني أن لديه إمكانية للشم. فالإمكانية مفقودة.

الإنسان لا يشم. ونحن نحاول إخفاء رائحتنا الجنسية بالتعَطّر، بالتطَهّر، نحجبها بواسطة هذا الشيء أو ذاك! لأننا نخاف من الرائحة، ولأن الشم هو أقرب حاسّة للجنس. تقع الحيوانات في الحب من خلال الرائحة. فالحيوانات

تـشمُ بعـضها الـبعض، وعنـدما تـشعر بـأن هنـاك رائحـة مناسـبة، عنـدها فقـط تمارس الجنس، إذن هناك تناغم ﴿ كيانها .

مسك الغزال هذا يتولَّدُ ﴿ الغزال عندما يكون فقط ﴿ حالة هياج جنسي وعندما يكون بحاجة إلى أنثى. أما الأنثى فستسعى للعثور عليه. لكنه يكون ﴿ مشكلة، لأنه يبدأ بشم رائحة المسك دون أن يدرك أنها تأتي من سرّته، من جسده. لهذا فهو يركض بجنون، محاولاً اكتشاف من أين تأتي هذه الرائحة. وهذا أمر طبيعيٌ أيضاً. فكيف له أن يدرك ذلك؟.. وحتى الإنسان لا يستطيع أن يتصور من أين تأتي الغبطة، من أين يأتي الجمال، من أين يأتي الفرح. فهيجان الغزال مبرر..مسكينٌ هذا الغزال. يندفع راكضاً هنا وهناك باحثاً عن المسك، ثم يزداد اندفاعاً، وتنتشر الرائحة ﴿ كل أرجاء الغابة، وحيثما يمضي، تنتشر الرائحة أكثر. ويقال بأنه يصبح أحياناً شبه مجنون، غير عارفٍ بأن المسك موجود ﴿ داخله.

وهذه هي الحال عند الإنسان، فالإنسان يجري كالمجنون باحثاً ومفتشاً..عن المال أحياناً وعن الجاه أحياناً أخرى، عن هذا وذاك، غير أن المسك بداخله، العسل ﴿ فمه. والآن انظر إلى ما يقوله ساراها :

العسل ﴿ أفواههم، وقريبٌ جداً منهم،
لكنه سيختفي إذا لم يتناولوه ﴿ الحال.

ثم يقول ساراها : تناوله ﴿ الحال! لا تهدر لحظةً واحدة! وإلا سيتلاشى. الآن أو لا! و﴿ الحال.. لا يجب أن يُهدَرَ الوقت. يمكنك أن تفعل ذلك ﴿ الحال، دونما حاجة لأية تحضيرات. فهو جوهرك الأكثر عمقاً.

هذا العسل لك.. هذا المسك يتوارى ﴿ داخلك. لقد حملته منذ ولادتك، لكنك تفتّش وتبحث عنه ﴿ العالَم!

السوترا الرابعة:

الوحوش لا تُدرِكُ أن العالم
مكان مفجع. فليس سوى الحكيم

بينما الوحوش تتوق إلى ما هو حسّي.

إن كلمة "وحش" هي ترجمة للكلمة الهندية أو السنسكريتية "باشو". وهذه الكلمة ذات مغزى بحد ذاتها. فكلمة "باشو" تعني حرفياً الحيوان، الوحش، لكنها كناية. جاءت من الكلمة "باش".. و باش تعني العبودية. و باشو تعني من هو واقع في العبودية.

فالوحش هو الذي يكون في حالة العبودية.. عبودية الجسد، الغرائز، اللاوعي، عبودية المجتمع، العقل، الفكر. الوحش هو مَنْ يعيش في العبودية.

الوحوش لا تدرك العالم...

كيف يمكنها أن تدرك؟ فأعيُنها ليست حرّةً لكي ترى، وعقولها ليست حرةً لكي تفكر، أجسادها ليست حرّةً لكي تشعر. إنها لا تسمع ولا ترى، ولا تشمُ ولا تلمس.. إنها تعيش في العبودية. كل حواسها معطّلة، مكبّلة.

الوحوش لا تدرك العالم...

كيف يمكنها أن تدرك العالم؟ العالم لا يمكن أن يُدرَكَ إلاّ في مناخ من الحرية. وعندما لا يستعبدك كتابٍ ديني، ولا تقيّدك فلسفة، وعندما لا تتخذ أي نظامٌ لاهوتي سجنٌ لك، عندما تكون متحرّراً من كل عبودية، آنذاك يمكنك أن تدرك، فالإدراك يحصل في العقل المنظَّم وفي مناخ الحريّة فقط.

الوحوش لا تدرك أن العالم مكان مفجع

لا تستطيع الوحوش إدراك أن العالم مكان مفجع. لأن ما يسمّى بالعالم المخلوق بواسطة العقل والجسد هو سراب. فهو يبدو جميلاً جداً، لكنه من المؤكد أيضاً.. بأنه غير حقيقي.

إنه قوس قزح.. جميلٌ جداً، بهيجٌ جداً، تقترب منه فيختفي. فلو أردت أن تمسك بقوس قزح، ستكون يدك فارغة، فلا يوجد شيء. إنه سراب. لكننا لا نرى ذلك بسبب اللاوعي.

بالوعي وحده تحدث الرؤيا، عندها نستطيع أن ندرك أين يكون مجرّد سراب ومتى يكون حقيقة. فأيّ سعادة تأتي من خلال صُدفة خارجية هي سراب، وتجلب لك المعاناة. لأنها خداع، ولأنها هلوسة.

هل تشعر بأنك سعيدٌ جداً مع امرأة أو مع رجل؟.. إذن فأنت تسير نحو المعاناة. وعاجلاً أم آجلاً ستجد أن كل سعادة قد اختفت. عاجلاً أم آجلاً ستجد أنك كنت تتخيّلها ..وأنها لم تكن موجودة قط. ربما كانت مجرّد حلم. أو أنك كنت تتخيّلها . وعندما تتكشفُ حقيقة رجلٍ أو امرأة، سوف تجد وحشَين قبيحَيْن يحاول كلٍ منهما السيطرة على الآخر.

سمعت حكاية تقول:

كان الإشبين يبذل أقصى جهده ليثبت حمالة بنطال العريس.

فسأل العريس " أين أعصابك أيها العجوز؟" . " إنك ترتجف مثل ورقة نبتة"

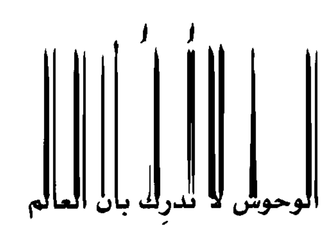
أجابه العريس "أعلم هذا، ولكن هذا الوقت بالنسبة لي مُرهقٌ للأعصاب. لدي بعض العذر لكوني خائفاً، أليس كذلك؟ لم يسبق لي أن تزوّجتُ من قبل" .

فقال الإشبين "بالطبع لم يسبق لك، فلو سبق لك أن تزوّجت قبلاً لكنتَ أكثر خوفاً مما أنت عليه الآن!"

كلما أمعنت النظر في الحياة وراقبتها، كلما تعلّمت المزيد عنها، وشيئاً فشيئاً ستتحرر من الوهم. لا شيء فيها يناديك سوى السراب. خُدعتَ كثيراً من المرّات. اندفعت كثيراً من المرات، سافرتَ طويلاً، لتصل إلى لاشيء.

إذا كنت يقظاً، فإن تجربتك ستحررك من العالم.

وكلمة "العالم" لا أعني بها، ولا ساراها يعني بها عالم الأشجار والنجوم والأنهار والجبال، بل يعني ذلك العالم الذي تتصوّره من خلال عقلك، من خلال رغبتك. فذلك العالم هو "مايا"، وهم، عالَم مضلّل، تشكّل بواسطة الرغبة، بواسطة الفكر. عندما يزول الفكر والرغبة ويبقى الوعي واليقظة فقط، عندما يوجد الوعي دون أي شائبة، عندما لا توجد غيمة الفكر، بل الوعيُّ فقط، أي السماء، آنذاك ترى العالم الحقيقي. ذلك العالم الحقيقي الذي تسمّيه الأديان.. الله، أو ما يسمّيه بوذا بالنيرفانا.



الوحوش لا تدرك بأن العالم
مكان مفجع. فليس سوى الحكيم
من يشرب الرحيق السماوي
بينما الوحوش تتوق إلى ما هو حسّي.

ولكن عندما يخيب أملك، عندما يخيب حلمك، تظن أن حلمك ربما كان خطأً، وتبدأ بحلمٍ آخر. عندما لا تتحقق رغبتك، تعتقد بأنك لم تبذل الجهد الكافي لتحقيقها، ثم تُخدَعُ مجدّداً.

امرأةٌ كانت تجلس في حافلة للركّاب وقد لاحظت أن الرجل الذي بجانبها كان يواصل هزَّ رأسه من جانب إلى آخر، مثل رقّاص الساعة. بلغ فضول المرأة ذروته فسألته لماذا يفعل هذا.

" أستطيعُ بهذا أن أعرف الوقت،" أجاب الرجل.

سألت المرأة "حسناً، كم الساعة الآن؟".

" الرابعة وثلاثون دقيقة، أجاب وهو ما يزال يهزُّ برأسه.

"أنت مخطئ.. إنها الخامسة إلا ربع."

"أوه! إذن لا بد وأنني كنت بطيئاً!" أجاب الرجل وهو يُسَرِّع حركة رأسه.

ذلك ما أرمي إليه: إذا لم تُحقق أمراً ما، تعتقد بأنك ربما لم تبذل الجهد الكافي، أو أن سرعتك كانت بطيئة، أو أن روح المنافسة لديك لم تكن كافية كي تتنافس مع الآخرين.

وربما تعتقد بأنك لم تكن عدوانياً بما فيه الكفاية. لم تكن عنيفاً بما فيه الكفاية، بل كنت خاملاً وكسولاً، وفي المرة القادمة عليك أن تحثّ نفسك، أن تستجمع ذاتك.. عليك في المرّة القادمة أن تُثبت عزيمتك.

لكن ذلك لا علاقة له بعزيمتك، لقد أخفقتَ لأن النجاح لم يكن ممكناً. أنت لم تفشل بسبب نقص في جهدك، أو بسبب السرعة أو العدوانية..كلا. لم تخفق لأنك كنت عاجزاً. أخفقت لأن الإخفاق هو الإمكانية الوحيدة في العالم..فلا أحد ينجح. لا أحد يمكنه النجاح! فالنجاح غير ممكن. والرغبات لا يمكن أن تتحقق. وتصوّراتك لا تسمح لك بأن ترى الحقيقة أبداً، وتبقى مُستَعبَداً.

وأنت أيضاً ستواجه نفس الإخفاق مراراً وتكراراً مثلما واجهتُه أنا. ستواجه نفس الفشل مراراً وتكراراً مثلما واجهه بوذا أو ساراها. إذن ما الفرق؟ أنت تواجه الفشل لكنك لا تتعلّم أي شيء منه. هذا هو الفرق الوحيد بينك وبين بوذا. ففي الوقت الذي تبدأ بالتعلم منه، ستصبح بوذا.

تقوم بتجربة تلو الأخرى، لكنك لا تضم تجاربك معاً.. ولا تستنتج! ثم تقول "هذه المرأة أثبتت أنها لا تُطاق،.. ولكن لا بأس، فهناك الملايين من النساء وسأجد امرأة غيرها". ولكن هذه المرأة أخفقت هي الأخرى أيضاً، ثم تبدأ التمنّي من جديد، وتحلم بأنك ستجد امرأة غيرها وتقول: "لا يعني هذا أن كل النساء يمكن أن يُخفقن إذا أخفقت إحداهنَّ. لا يعني إذا أخفق رجل واحد أن كل الرجال يمكن أن يخفقوا". ثم تستمر وتستمرُ بالتمنّي.. ويستمرُ التمنّي بالنجاح في حَملك على تكرار تجربتك الفاشلة، دون أن تتعلّم أبداً.

تكفي علاقة واحدة لتصبح مستعبداً، وتشعر بأن شيئاً ما قد حدث بشكل خاطئ.. وستبذل في المرة القادمة كل جهدك كي لا تستعبدك. لكنك لن تنجح.. لأن النجاح هنا لا يكمن في طبيعة الأشياء ذاتها.

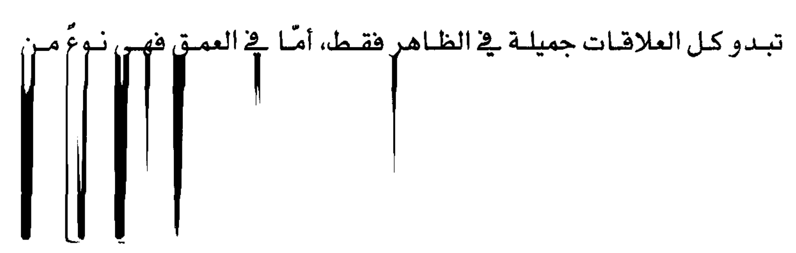
إن الفشل هو الاحتمال الوحيد: وهذا يعني أن النجاح مستحيل. ففي اليوم الذي تدرك فيه أن الفشل هو الاحتمال الوحيد، وبأن كل أقواس قزح زائفة، وكل الأفراح التي تومضُ وتلمعُ من بعيد وتجذبك كالمغناطيس، هي مُجَرَّد أضغاث أحلام ورغبات، وأنك تضلل نفسك.. في اليوم الذي تدرك فيه الحقيقة، وتدرك فيه المنعطف، والتحوّل... سيولدُ كائنٌ جديد.

بصفق أبوابٍ وحفيفُ ثيابٍ غاضب دخلت الأنثى البدينة مكتب التسجيل.

" هل ستصدر لي هذا الترخيص أم لا، لكي أتزوج من جون هنري؟" انتزعت الوثيقة وضربتها على الطاولة.

تفحّصها موظف التسجيل عن كثب عبر نظّارته. "أجل سيّدتي" أجاب بحذر، "أعتقد بأنني فعلت. لماذا تسألين؟"

فصرخت قائلة "حسناً، ماذا ستفعل بشأنها بعد أن هرب مني؟"



تبدو كل العلاقات جميلة في الظاهر فقط، أمّا في العمق فهي نوعٌ من العبودية. إنني لا أقول هذا كي لا ترتبط بالناس، بل ارتبط، ولكن لا تظن بأن أي علاقة ستمنحك السعادة. ارتبط! وبالطبع سترتبط.. لأنك تعيش في هذا العالم. ينبغي أن ترتبط بالناس، ولكن لا يمكن لأية علاقة أن تمنحك السعادة.. لأن السعادة لن تأتي من الخارج أبداً. إنها تتوهّجُ من الداخل دائماً. إنها تتدفق من الداخل دائماً.

يقول ساراها: الشخص الذي يعتقد بأن السعادة تأتي من الخارج ما هو إلاّ وحش.. إنه باشو.. إنه مستعبَد. والشخص الذي يدرك حقيقة أنها تأتي من الداخل وليس من الخارج، هو إنسان حر. إنه إنسان، حقاً إنسان، ولن يكون وحشاً. فبتلك الحرية ولِدَ الإنسان.

الوحوش لا تُدرِكُ بأن العالم
مكان مفجع. فليس سوى الحكيم
من يشرب الرحيق السماوي

ما هو هذا الرحيق السماوي؟ إنه رمزٌ للعسل الموجود في فمك.. ولم تتذوّقه. لأنه لم يكن لديك أي وقت لتتذوّقه. فالعالم بأكمله كبيرٌ بما فيه الكفاية، وأنت تندفع من مكان لآخر. وليس لديك أي وقت لتتذوّق العسل الموجود فيه.

ذلك هو الرحيق السماوي.. فإذا تذوّقتَه، فأنت في السماء، إن تذوّقته، فليس هناك موت حينئذ.. ولهذا يسمّى "الرحيق السماوي": فقد أصبحت خالداً. إنك خالد. أنت لمْ تره، لكنك خالد. لا يوجد موت: إذن أنت خالد، والسماء خالدة: أي أن الغيوم وحدها هي التي تولد وتموت. وكذلك الأنهار، تولد وتموت: أما البحر فخالد. وكذلك أنت.

يقول **ساراها** بأن هذه السوترات للملك. وهو لا يحاول إقناعه بالمنطق. بل في الحقيقة، يحاول ببساطة أن يجعل كيانه في متناول يده. وهو يقدّم له غيشتالت جديدة.. لكي ينظر من خلالها إلى ساراها. التانترا هي غيشتالت جديدة للنظر إلى الحياة. وأنا لم أصادف أي شيء أكثر عمقاً من التانترا.


الحب موت

أنت كل ما كنت أتمنّاه دائماً.

لماذا هذه المقاومة الكبيرة في داخلي تجاهك؟

أشعر أنني في سجن.. فكيف أخرج؟

ما رأيك بالحضارة؟

لماذا تَخلُق النكتة كثيراً من الضحك؟

لماذا لا ترتدي البرتقالي؟

السؤال الأول: أوشو، انت كل ما كنت أتمنّاه دائماً أو كل ما استطعت أن أتمنّاه. فلماذا توجد في داخلي مقاومة كبيرة نحوك؟

إليك السبب.. إذا كان لديك محبة عميقة لي، فستكون هناك مقاومة كبيرة أيضاً. فَهُما يوازيان بعضهما البعض. فحيث يكون الحب، تكون هناك مقاومة أيضاً. وكلما كنت منجذباً بقوة، كلما رغبت أيضاً بالإفلات من ذلك المكان، من ذلك الحيّز.. فإن كنت منجذباً جداً فهذا يعني أنك ستسقط في الهاوية، وتفقد ذاتك.

الحُبُّ خطيرٌ جداً. الحب موتٌ. وهو مميت أكثر من الموت ذاته.. لأنك بعد الموت تنجو، لكنك لنْ تنجو بعد الحب. نعم، بعد الحب يكون شخص آخر قد ولد، لكنّك تكون قد انتهيت. من هنا سبب الخوف.

أولئك الذين لا يحبونني، يستطيعون الاقتراب مني كثيراً، ولن يخافوا. أما أولئك الذين يحبونني، فسيكونون خائفين من كل خطوة يتّخذونها، سيخطون تلك الخطوات بتردد، وسيكون ذلك صعباً جداً عليهم.. لأنهم باقترابهم مني أكثر، ستصغر "أناهم" أكثر. وذلك ما عنيته بالموت. ففي اللحظة التي يصبحون فيها حقيقة قريبين مني، تختفي أناهم.. مثلي تماماً.

فالاقتراب مني هو اقترابٌ من حالة العدم.

وحتى في الحب العادي توجد مقاومة أيضاً.. فهذا الحب ليس بحب عادي. إنه حب فريد.

السؤال هنا من أناندا أنوبام. كنت أراقبها. إنها تقاوم. المسألة ليست عقلانيّة تماماً، لكنها وجودية. فقد كانت تقاتل بضراوة.. لكنها لن تنتصر. وهي مباركة لأنها لن تنتصر. إن هزيمتها مؤكَّدَة، مؤكَّدَة بالمطلق. لقد رأيت ذلك الحب في عينيها، وهو قوي جداً بحيث سيحطم كل مقاومة، وهذا الحب سيتغلّب على كل محاولات الأنا كي تبقى حية.

عندما يكون الحب قويّاً، تحاول الأنا أن تصمد لكنها معركة خاسرة أصلاً بالنسبة لها. لهذا السبب يعيش الكثير من الناس دون حب. يتحدثون عن الحب، لكنهم يحيون من دون حب. يتخيّلون الحب، غير أنهم لن يحققونه أبداً.. فلكي

تُحقق الحب عليك أن تحطم ذاتك بالكامل. وعندما تأتي إلى مُعَلِّم، فإما أن

تُحطم ذاتك بالكامل أو لا يحدث شيء. إما أن تذوب في وتسمح لي أن أذوب فيك، أو أن تبقى حيث أنت دون أي تبدّل. إذا بقيت الأنا موجودة، عندها سيكون جدار الصين بيني وبينك. لا بل أن جدار الصين يمكن تحطيمه بسهولة، أما الأنا فهي طاقةٌ أكثرُ مكراً.

ولكن حالما يظهر الحب، تضعف الأنا.. وقد رأيتُ هذا الحب في عيني أنوبام. إنه موجود. وسيقاوم مقاومة عظيمةً، وهذا جيّد.. لأن أولئك الذين يأتون بسهولة كبيرة، لن يأتوا. أما أولئك الذين يأخذون وقتاً طويلاً، أولئك الذين يقاتلون بوصةً بوصة، هؤلاء فقط من يأتون.

ولكن ليس هناك ما يدعو للقلق، فالرحلة ستكون طويلة. وأنوبام ستأخذ وقتاً طويلاً، ربما سنوات، ولا شيء يدعو للقلق! فهي على المسار الصحيح. لقد اجتازت النقطة التي كان من الممكن أن تعود منها، اجتازت نقطة اللاعودة. وبالتالي فهي مسألة وقت فقط.

إنها قريبة منّي. وأنا لم أرغم أحداً قط على المجيء إلي.. لأنه لا حاجة لذلك، ولابد من إعطائهم الوقت والحبل الكافي، وبهذا يأتون من تلقاء أنفسهم. فعندما يكون الاستسلام نابعاً من الحرّية يكون جميلاً.

يمكنك الوثوق بأن الاستسلام قادم، إنه على الطريق. لقد حدث ذلك في جوهر كيانك، والمسألة حاليّاً هي مسألة وقت، وذلك الجوهر العميق يعلم بتفكيرك السطحي. فمن قلبك أتيت إلي، والمقاومة موجودة في الفكر فقط. أما في المركز فأنت قريب مني جداً. على المحيط فقط مازال القتال مستمراً. أما مركز القيادة فهو في الحقيقة مستسلمٌ.

لا شك أنك سمعت عن الجندي الياباني الذي ظل يقاتل: كانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت، مضت سنوات كثيرة، اثنا عشرة عاماً والجندي الياباني لا يزال يقاتل..لم يسمع بأن اليابان استسلمت. كان يتواجد في مكان ما في عمق غابات إندونيسيا، ولازال يعتقد بأنه ينتمي لإمبراطور اليابان وأن القتال مازال قائماً. لا بد وأنه قد جنَّ، فهو ما زال يختبئ ويهرب ويقتل الناس.. وحيداً!

بعد مضي بضعة أعوام عاد إلى اليابان، فاستُقبل كبطل. وهو بطل بصورة ما. لكنه كان غافلاً.. ولا بد أنه رجلاً ذا إرادة عظيمة. لقد سمع من الآخرين.. ليس لأنه لم يسمع بأن الحرب انتهت، إذ كيف يمكنه أن يتفادى عشرين سنة سماع أن اليابان قد استسلمت؟ وبأن الحرب قد انتهت. لكنه أصرّ في قرارة نفسه بأنه: "ما لم أتلقّى أمراً من قائدي، فلن أستسلم." والآن، مات القائد، وبذلك لم تكن توجد وسيلة لتلقّي أمر من القائد.. وكان سيستمر بالقتال طوال حياته. فقد كان من الصعب جداً الإمساك بزمامه، كان خطيراً جداً.. لكنه أُمسك أخيراً.

تلك هي الحالة بالضبط مع أنوبام: فقد استسلم مركز القيادة الرئيسي لديها، مات القائد! وفي الخارج فقط، في مكان ما من أحراج إندونيسيا تقاتل أنوبام. ولكن عاجلاً أم آجلاً، ومهما تكن مجنوناً، فسوف تتلقّى الأخبار....

السؤال الثاني: ارغب بأن أكون حقيقياً، ولكن ما هو الحقيقي وكيف يكون؟ أشعر بأنني في دائرة الشيطان، في سجن. وأرغب بالخروج منه، لكن كيف؟

أولُ شيء: أنت لست في سجن.. لا أحد في سجن، ولم يكن أحدٌ سجيناً قط. السجن اختلاقٌ.. مجرّد اعتقادٌ. أنت غير واعٍ دون شك، لكنك لست في سجن. فالسجن حلم، كابوس اختلقته لتراه في نومك. لهذا فإن السؤال الأساسي ليس كيف تخرج من السجن. بل كيف تخرج من نومك. هناك فرق كبير في كيفية طرح السؤال. فإذا أخذت تفكّر: "كيف أخرج من السجن؟" عندئذ ستبدأ بمقاتلة السجن.. الذي هو ليس سجناً..وبعد ذلك ستسير في الاتجاه الخاطئ.

هذا ما يفعله الناس منذ قرون. يظنّون أنهم في سجن، لذلك يتقاتلون مع السجن، يتقاتلون مع الحرّاس، مع السجّان، مع النظام، يتقاتلون مع الجدران! يحطمون النوافذَ والقضبان، يريدون الإفلات من السجن، يحاولون فتح القفل لكنه لن يفتح، لأن السجن غير موجود. لأن السجّان والحارس والقضبان والأقفال جميعهم تخيّلات.

أنت تغطُ في نومٍ عميق وترى كابوساً. والسؤال الأساسي هو كيف تصحو من

النوم.

سمعت بأنه:

لا يوجد سجن حقير يمكن أن يكون أكثر إثارة للشفقة مما عاناه سكّيرٌ معذَّبٌ متسكعٍ يجول ويجول على الرصيف خارج سور منتزهٍ عام ويضرب القضبان وهو يصرخ: "أخرِجوني".

ذلك هو حالك. فأنت لم تُسجن، لم تُعتَقَل، بل أنت ببساطة شخص ثمِلٌ. وتظن أنك مسجونٌ.

السجن مجرّد فكرة. وأنا أعلم لماذا تنشأ تلك الفكرة في عقلك: لأنك تشعر أن ذاتك مقيَّدَة من كل الجوانب.. ففكرة السجن تنشأ من التقييد. وأينما تتحرّك يوجد تقييد، يمكنك أن تمضي بعيداً بمفردك لكنك لن تستطيع الابتعاد كثيراً، إذ لا بد من وجود جدارٍ يمنعك. وهكذا تستنتج أن هناك جداراً يحيطك بالكامل، قد لا يكون مرئيّاً، ربما هو حائط مصنوعٌ من زجاج شفّافٍ جداً، وتستطيعُ أن ترى من خلاله، غير أنك أينما تحركت وفي أي اتجاه، تصطدمُ به مراتٍ ومرّات ولن تستطيع الذهاب أبعد من نقطة معيّنه.

وهذا يعطيك فكرة عن السجن، يعطيك فكرة بأنك مسجون. لكن هذا التقييد هو أيضاً بسبب نومك. ففي النوم تصبح محدداً بالجسد، وبالتالي تصبح حدود الجسد هي حدودك: في النوم تصبح محدّداً بالفكر، وحدود الفكر تصبح أيضاً حدودك.

أنت غير محدود. وغير مقيّد. وعندما تكون داخل كيانك الصافي (المجرّد) فلا وجود للقيد.. لأنك إله. ولكن لكي تعرف ألوهتك، لا تبدأ بمحاربة السجن، وإلاّ لن تكون المنتصر. ستُكون مهزوماً أكثر فأكثر، وستشعر أكثر فأكثر بالإحباط. ستفقد الثقة بنفسك أكثر فأكثر، وستشعر أكثر فأكثر باستحالة الخروج منه.

عليك أولاً أن تصبح أكثر وعياً. عليك أولاً أن تصبح أكثر يقظة، أكثر انتباهاً. ذلك هو الشيء الوحيد الذي يجب أن تفعله.

ستشعر وأنت في حالة الوعي أن الجدران التي كانت قريبة جداً منك لم تعد قريبة، ستشعر بأنها تبتعد، ويصبح سجنك أكبر وأكبر. وكلّما اتسع وعيك أكثر كلما رأيت أن سجنك لم يعد ذلك السجن الصغير ..بل أصبح أكبر وأكبر. وكلما أتيحت لك مساحة أكبر لأن تتحرّك، لأن تكون، لأن تحيا، لأن تحب. عندئذ تدرك الآلية الأساسيّة: كلما قل الوعي، كلما أصبحت الجدران أقرب. وإن لم تكنً واعياً، فستلامسك الجدران من كل جانب.وستشعر بأنك في حجرة صغيرة، ولن يتاحُ لك ولو بحركة صغيرة.

تذكَّرْ هذه العبارة:

مع اتّساع الوعي. وبفضل ذلك الاتساع، تتسع أنت.

وذات يوم، حينما يصبح وعيك مطلقاً وليس هناك أثر للظلمة في داخلك، وما من شيء غير واعٍ فيك، فإن كل شيءٍ يصبحُ وعياً. عندما يشع المصباح بالنور، عندما يسطع الوعي من داخلك، آنذاك سترى فجأة بأن السماء ذاتها ليست حدودك، لأنه ليس لك حدود. هذه هي التجربة الكاملة لصوفيي كل العصور.

وهذا ما يقصده السيد المسيح في قوله: "أنا وأبي الذي في السماء واحد، ". فهو يقول " ليس لي حدود". وهي طريقة لقول الشيء ذاته بأسلوب مجازي، بأسلوب رمزي: "أنا وأبي الذي في السماء لسنا اثنان بل واحد.. أنا، القابع في هذا الجسد الصغير، مع ذاك الذي ينتشر في كل أنحاء الوجود، واحدٌ وليس اثنان. أنا ومنبعي واحد. . . كبيرٌ كالوجود ذاته".

ذلك هو المعنى الذي يتبدّى عندما ينكشف لغز الأوبينيشاد[1]: "أهام براهماسمي".. أنا المطلق، أنا الله. "هذا ما يُنطَقُ به في حالة من الوعي حيث لا وجود للغفلة.

وهذا أيضاً معنى ما نطق به الصوفي منصور الحلاج: " أنا الحق.. أنا الحقيقة ".

من المؤكد أن هذه التعبيرات العظيمة، ذات مغزىً كبير. يَقُولونَ لك ببساطة أنّك كبير كوعيكَ، لا أكثر ولا أقل. لهذا السبب هناك كثير من الإغراء في

---

[1] **Upanishad** أبنيشاد: هي جزء من الفيدات أي الكتب المقدّسة لدى الهندوس. تناقش بشكل أساسي الفلسفة والتأمل وطبيعة الله؛ كما أنها تشكّل صلب الفكر الروحي للفيدا الهندوسية.

المخدّرات، لأنها تُجبر وعيكَ كيميائياً على أن يُصبحَ أوسع إلى حدٍّ ما. إن عقار LSD أو الماريغوانا أو الميسكالين، يمنحك توسّعاً مفاجئاً في الوعي، وبالطبع، هو توسعٌ قسريٌّ وعنيف ولا يجب أن يحصل بهذه الوسيلة. فهو كيميائي.. وليس بمقدوره فعل شيء بروحانيتكَ. لأنك لن تنموا من خلاله. فالنمو يأتي عبر المسعى الإرادي. والتطور ليس رخيص الثمن، ليس رخيصاً بحيث أن مجرّدَ كمية صغيرة من عقار الـ LSD، كميّة صغيرة جداً يُمكنُ أن تُعطيكَ نمواً روحياً.

كان ألدوس هيكسلي[2] مخطئاً جداً عندما أخذ يعتقد بأنه حقق نفس تجربة كبير[3] أو إيخاردت[4] أو باسو من خلال عقار الـ LSD.. كلاّ، إنها ليست نفس التجربة. صحيحٌ أنها مشابهة نوعاً ما، وهذا التشابه هو في تمدد الوعي. لكن هذا مختلفٌ جداً، لأنه شيء قسري، إنه اعتداء على بيولوجيتك وعلى كيمائيّتك. وهو يبقيك دون أي تغيير! ولا تنمو من خلاله. فعندما يزول تأثير العقار، تعود نفس الشخص من جديد، الشخص الضئيل ذاته.

إن كبير لا يمكن أن يعود نفس الشخص من جديد لأن اتساع الوعي لديه لم يكن بطريقة قسريّة أبداً.. لقد تطور ونما ليصل إليه. فلا عودة للخلف بعد الآن، لأن الوعي أصبح جزءاً منه. أصبح كيانه. لقد تشرّبه.

غير أن بالإمكان تفهّم الإغراء، فالإغراء كان موجوداً دائماً ولا علاقة له بجيل العصر. فمنذ زمن الفيدا؛ كان المرء دائماً يشعر بانجذاب قوي نحو

---

[2] ألدوس ليونارد هكسلي (٢٦ يوليو، ١٨٩٤ - ٢٢ نوفمبر، ١٩٦٣) كاتب إنجليزيّ هاجر إلى الولايات المتّحدة وعاش في لوس أنجلوس حتّى موته في عام ١٩٦٣ . . عرف برواياته و مقالاته الغزيرة، اشتهر أيضًا بالقصص القصيرة والشّعر وكتابة قصص وسّيناريوهات الأفلام. عمل خلال رواياته ومقالاته على نقد التّقاليد والمعايير والمُثل الاجتماعيّة، وأصبح فيما بعد مهتمًا بشكل كبير بالمواضيع الروحية والباراسايكولوجيا والصّوفيّة الفلسفيّة. يعتبر هكسلي في العديد من الدوائر الأكاديمية، زعيم الفكر الحديث ومفكّراً من مرتبة رفيعة.

[3] **Kabir** كبير: (١٣٩٨ - ١٥١٨) . قديس وحكيم هندي صوفي مسلم الأصل.

[4] يوهانس إيخارت (١٢٦٠ - ١٣٢٨) فيلسوف وصوفي ألماني. اتهم بالزندقة وحوكم من قبل البابا جون الثاني والعشرون.

المخدّرات. إلا أنها عملة زائفة، تعطيك لمحة صغيرة عن الحقيقة بطريقة شاذّة للغاية. لكن الإنسان يرغب دائماً بالتوسّع، يريد أن يصبح عظيماً. ففي بعض الأحيان يريد أن يصبح عظيماً من خلال المال..أجل، المال أيضاً يمنحك شعوراً بالامتداد، لأنه مخَدِّر. فعندما تمتلك الكثير من المال، تشعر بأن حدودك ليست قريبةً جداً منك.. بل بعيدة. وباستطاعتك الحصول على عدد من السيارات كما تريد، فأنت غير مقيَّد. ولو أردت فجأةً أن تقتني سيارة رولز رويس، تستطيع ذلك. فأنت تشعر بأنك حر.

وعندما لا يوجد المال، وتمر من أمامك الرولز رويس، تصعد الرغبة... بل يصعد القيد. فجيبك فارغ وليس لديك رصيد مصرفي. فتشعر حينئذٍ بالاستياء.. بجدار لا يمكنك اجتيازه. السيارة موجودة، وأنت تراها، وتستطيع امتلاكها الآن.. لكن هناك جداراً بينك وبين السيارة: هو جدار الفقر.

المال يعطيك شعوراً بالامتداد، شعوراً بالحرية. لكنها أيضاً حرّية زائفة. فأنت تستطيع من خلال المال امتلاك المزيد من الأشياء. لكن ذلك لن يساعدك على التطوّر والنمو. ولن تزيد أكثر مما أنت عليه.. لديك الكثير، لكن كيانك سيبقى كما هو. وكذلك السلطة: فلو كنت رئيس وزراء أو رئيس دولة فستشعر بالقوّة.. فالجيش والشرطة والمحكمة، وكل ممتلكات الدولة هي لك. وحدود الدولة هي حدودك: فتشعر بقوة هائلة. لكن ذلك أيضاً مخدّر.

دعني أقول لك: المال والسياسة مخدران مثل الماريجوانا والـ LSD .. لا بل أشد خطراً منها بكثير. فإذا كان لأحد أن يختار بين الـ LSD والمال، فالأفضل له بكثير أن يختار الـ LSD . وإذا كان عليه أن يختار بين السياسة والـ LSD ، فعقار الـ LSD هو أفضل بكثير، وأفضل بكثير من التديّن أيضاً. ولكن لماذا أتكلّم هكذا؟ لأنك من خلال الـ LSD ستدمر نفسك فقط، أما من خلال المال فستدمر الآخرين أيضاً. من خلال الـ LSD ، ببساطة، ستدمر كيميائيتك وبيولوجيتك أنت، ولكن من خلال السياسة ستدمّر الملايين من البشر.

فكّر فقط: لو أن أدولف هتلر كان مدمن مخدّرات لكان العالم أفضل حالاً بكثير، لو أنه كان مدمناً على الـ LSD أو الحقن باليد، لكنّا سعداء، وحَمَدْنا

الله. "فمن الخير كثيراً له ولنا أن يبقى في منزله يطلق العيارات النارية وهو ثملٌ.

فيتمكن العالَمَ من أن يستمر بالعيش من دونه بسهولة ويسر."

وهكذا فإن المال والسياسة أشدُ خطورة بكثير من المخدرات. والأمر الذي يثير السخرية كثيراً هو أن السياسيين يعارضون المخدرات دائماً، والأغنياء أيضاً يعارضونه دائماً.. ولا يدركون أنهم أنفسهم مدمنو مخدرات. وخطأهم أشدُ خطورة بكثير، لأن خطأهم لا يطالهم وحدهم بل يطال حياة الآخرين أيضاً... المرء حرٌ في أن يفعل بنفسه ما يريد. وعقار الـ LSD يمكن أن يكون أداة انتحار على أبعد تقدير، لَكنَّه ليس جريمة. والمرء حرٌ في أن ينتحر، على الأقل ينبغي أن يكون المرء حراً في أن ينتحر لأنها حياته، فإذا لم ترغب بالعيش، فلا بأس. لكن المال قوة مجرمة، وكذلك قوة السياسة.. لأنها تقتل الآخرين.

أنا لا أقول بأن تختار المخدرات. بل أقول بأن كل المخدرات سيئة: المال والسياسة والـ LSD والماريجوانا. وأنت تختار هذه الأشياء لأن لديك فكرة خاطئة في أنها ستوسّعُ وعيك.

يمكن لوعيك أن يتوسع ببساطة كبيرة، وبسهولة شديدة، لأنه في الحقيقة متوسّع أصلاً. غير أنك تعيش في فكرة خاطئة ليس إلا، وفكرتك الخاطئة هي حاجزك، هي سجنك.

ثم تطلب قائلاً: "أرغب بأن أكون حقيقياً".

لا يمكنك أن ترغب أو لا ترغب، فليست المسألةُ خيارك. لأن الحقيقة موجودة! وسواء رغبت أم لم ترغب فهذا لا علاقة له بالموضوع. تستطيع أن تختار الكذب، لكنك لا تستطيع أن تختار الحقيقة.. فالحقيقة موجودة. لهذا السبب أصرّ كريشنامورتي كثيراً على انتقائية الوعي. لا تستطيع أن تختار الحقيقة، فالحقيقة موجودة أصلاً! ولا علاقة لها بخيارك. أو برغبتك أو عدم رغبتك.

في اللحظة التي تُسقط فيها خيارك، تكون الحقيقة. فبسبب اختيارك لا تستطيع رؤية الحقيقة. لأن خيارك يعمل مثل حجاب على عينيك. وتصبح

رغبتك أو عدم رغبتك هما المشكلة! لأنك ترغب بشيء ولا تستطيع معرفة ماذا هو، ولأنك تكره شيئاً ولا تستطيع أيضاً معرفة ماذا هو. فمن خلال رغبتك أو عدم رغبتك، تضع نظّارات ملوّنة على عينيك ولا ترى اللون الحقيقي للوجود كما هو.

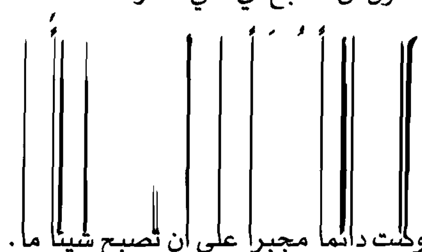
أنت تقول "أرغب بأن أكون حقيقيّاً "..ولهذا السبب تظَلُ غير حقيقي. أنت حقيقي! ولكن أسقط عبارة أرغب ولا أرغب! كن حقيقيّاً لتكون حقيقيّاً. كيف تستطيع أن تكون غِير حقيقي؟. أنت هنا..حيٌ تتنفّس. فكيف يمكن أن تكون غير حقيقي؟ إنه خيارك، فباختيارك أصبحت مسيحيّاً أو هندوسيّاً أو مسلماً. والحقيقة أنك لست هندوسياً أو مسلماً أو مسيحياً. باختيارك أصبحت منتمياً للهند، للصين، لألمانيا، ولكن في الحقيقة كلها تنتمي إليك وأنت تنتمي إلى الكل فأنت عالميٌ.

الكل يحيا من خلالك. ولست مجَرّد جزء. الكل يحيا بمجمله من خلالك. ولكن ما إن تختار عبارة أرغب، أو، لا أرغب حتى تسير نحو الضياع.

أنت الآن تقول "أرغب بأن أصبح حقيقياً.." إذن فأنت باسم الحقيقة تصبح غير حقيقي. هكذا يصبح الشخص مسيحياً لأنه يظن بأن المسيحية هي الحقيقة، فيقول "أرغب بأن أصبح حقيقيّاً "، وهكذا يصبح مسيحيّاً. ولكن أرجوك أن لا تصبح مسيحياً، أرجوك أن لا تصبح هندوسيّاً. أنت المسيح! فلماذا تصبح مسيحيّاً؟ المسيحيّة هي طبيعتك. المسيحيّة لا علاقة لها بالمسيح. لك فيها بقدر ما للمسيح فيها. المسيحية هي حالة من الوعي الاختياري. لذلك أرجوك لا تفكّر في مصطلحات الرغبة: "أرغب بأن أصبح حقيقيّاً". فهذه هي الوسيلة لتكون غير حقيقي. أسقط هذه الرغبة وكن كما أنت. لا تحاول أن تصبح. فأن تصبح، تعني، أن تصبح غير حقيقي: لأن كيانك هو الحقيقة. فتَصَوّر الفرق!

أن تُصبِح.. هي كلمة للمستقبل، لها هدف مستقبلي. أما أن تكون الآن، فليس لها هدف.. إنها الحالة الراهنة. لذلك كيفما كنت، كن فقط كما أنت، ولا

تحاول أن تصبح أي شيء آخر. لقد لُقنتَ المثُل والأهداف.. ولُقنت كلمة أُصبحْ!



وكنت دائما مجبرا على أن تصبح شيئا ما .

إن تعليمي كلّه يتلخص في أنك مهما تكن ومهما تصبح، هو جميل. جميلٌ أكثر مما هو مطلوب. فقط كن كما أنت. وتوقّفْ عن قول.. أُصبح وأكون!

والآن، من الطبيعي أن تطلب " أريد أن أكون حقيقيّاً، ولكن ما هو الحقيقي وكيف يكون؟" حالما تبدأ بالتفكير في كلمة أُصبح، فمن المؤكد عندئذ أنك تريد أن تعرف ما هو الهدف: وماذا يكون؟ وما هي هذه الحقيقة التي أريد أن أُصبحها؟ بعد ذلك من الطبيعي، عندما يتحقق "الهدف"، أن تأتي الـ "كيف" أيضاً: كيف أُحقق الهدف؟ وبعدها تأتي كل التقنيات والنظريات ... وأنا أقول كن كما أنت.

يقول الصوفي في الأوبنيشاد:

تات- تات- تفام-أسي- أسي.. أنت كما أنت. أنت هو. إنها ليست مسألة أن تُصبح. ليس الله في مكان ما في المستقبل، الله هو الآن في هذه اللحظة، في هذه اللحظة بالذات، بداخلك، وخارجك، وفي كل مكان.. لأن الله وحده، ولا شيء غيره موجود. فكل ما هو موجود هو إلهيٌ.

إذن كن! ولا تحاول أن تصبح. لأن كل شيءٍ سيقود إلى شيء آخر: فإذا أردت أن تصبح، بعدها وبشكل طبيعي تظهر فكرة: ما هو الأمثل؟ ماذا سأصبح؟ وبعد ذلك عليك أن تتصوّر مثالاً، ثم يترتب عليك أن تختار صورة.. كأن تكون مثلَ المسيح، أو مثل بوذا. أو كريشنا.، ثم تصبح بعدها نسخةً كربونية.

لم يسبق أبداً أن تكرر كريشنا. ألا يمكنك أن ترى هذه الحقيقةً البسيطة؟

لم يحدث أن تكرر كريشنا مرّة ثانية. ألا يمكنك أن ترى حقيقةً بسيطة للغاية هي أن بوذا لا يتكرر؟ لأن كل كائن فريد، فريد بالمطلق.. وهكذا أنت. فإذا حاولت أن تكون أحداً ما، ستكون كياناً زائفاً، وجوداً مزوّراً. ستكون نسخة كربونية. فلتكن الأصل! وبهذا فقط تستطيع أن تكون ذاتك. ليس هناك مكان لتذهب إليه، ولا شيء لكي تُصبحَ ـ هُ.

لكن الـ الأنا تريد هدفاً ما. والأنا توجد بين اللحظة الحالية وبين الهدف.

انظر إلى آليّة الأنا: كلما كبر الهدف لديك، كلما كبرت الأنا. فإذا أردت أن تصبح المسيح، وأنت مسيحي فأنت تملك أنا كبيرة.. ولا فرق حتى لو كنت

متديّناً. إن أنا المتديّن هي مثل أنا أي شخص آخر، لا بل ربما تكون أحياناً أكثر خطراً من الأنا العادية.

إذا كنت مسيحياً، إذاً فأنت على متن رحلة الأنا. الأنا تعني المسافة التي بينك وبين الهدف. يأتي الناس إليَّ ويسألون: "كيف أُسقطُ الأنا؟" إنك لا تستطيع أن تسقط الأنا حتى تُسقط كلمة أُصبحُ. لن تستطيعَ أن تسقط الأنا حتى تُسقط الفكرة، النموذج، المستقبل.

الأنا موجودة بين اللحظة الحالية وبين النموذج المستقبلي. وكلما كان النموذج أكبر، كلما زاد ابتعاد هذا النموذج أكثر، وتضخّمت الأنا أكثر وكبرت امكانياتها. لهذا السبب فإن رجال الدين هم أكثر أنويّةً من المادّيين. الشخص المادّي لا يأخذ ذلك الحيّز الكبير الذي يأخذه رجل الدين. إن رجل الدين يريد أن يُصبح إلهاً! فهذه هي الإمكانية الأعظم. فماذا يمكن أن يكون لديك زيادة عنه كنموذج؟ رجل الدين يريد أن يذهب إلى الموكشا، إلى السماء، إلى الجنة.. فأيُ شاطئٍ أبعدُ من ذلك يمكن أن تتخيّله الآن؟ يريد رجل الدين أن يصبح كاملاً بشكلٍ مطلق. وهنا ستتواجد الأنا في ظل فكرة الكمال هذه.

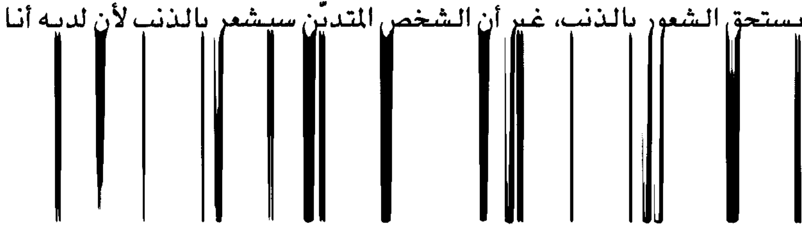
أصغِ إلي! فأنا لا أقول بأن عليك أن تصبح إلهاً.. بل أؤكد بأنكَ إله.

إذن ليست المسألة في ظهور أي أنا، لأن الفراغ لم يعد موجوداً. لن تذهب إلى الجنة.. لأنك موجود فيها. فقط انظر حولك بشكل جيّد ... وستجد أنك موجودٌ فيها! إنها متجددة، الجنة متجددة. لأنها وليدة اللحظة الحاضرة.

تتضخم الأنا عندما يكون لديك أهداف ونماذج. وهناك ألف مشكلة ومشكلة مع الأنا. فمن جهة تُشعرك أن من الجيّد جداً امتلاك نموذج عظيم، ومن جهة أخرى تُشعرك بالذنب تجاهه، تُشعرك بالذنب بصورة مستمرة، لأنك دائماً مقصّر. وبما أن تلك النماذج مستحيلة ولا يمكنك تحقيقها، فلا توجد وسيلة لتحقيقها، وهكذا تكون دائماً مُقصِّراً. فمن جهة تتعاظم الأنا، ومن جهة أخرى تشعر بالذنب...والشعور بالذنب هو ظلُّ الأنا.

هل راقبت هذه الظاهرة الغريبة؟ إن الشخص الأناني يشعر بالذنب كثيراً تجاه أصغر الأشياء. تُدخّنُ سيجارة مثلاً؛ فإذا كنت أنانيّاً ستشعر بالذنب. صحيح أن التدخين سذاجة وحماقة.. بل سذاجة كبيرة وحماقة كبيرة. لكنه لا

يستحق الشعور بالذنب، غير أن الشخص المتديّن سيشعر بالذنب لأن لديه أنا



مثالية حيث لا يجوز له أن يُدخّن.

وهذه المثالية الآن في أن عليه أن لا يدخّن.. وواقع أنه يدخّن، تخلق أمرين: المثال (المثل الأعلى) الذي يمنحه شعوراً جيّداً حين يقول : "إنني رجل متديّن. وأعلم بأنه لا ينبغي أن أدخّن، بل أنني أحاول ذلك، أحاول بأفضل ما لدي..." لكنه يشعر أيضاً بأنه يخفق المرّة تلو الأخرى. فهو لا يستطيع الوصول إلى المثال، لذلك يشعر بالذنب. والشخص الذي يشعر بالذنب سيعمل على أن يجعل كل شخص يشعر بالذنب مثله. وهذا طبيعي: فكيف تستطيع أن تتحمّل لوحدك الشعور بالذنب؟ سيكون هذا صعباً وثقيلاً جداً.

وهكذا يخلق الشخص المذنب شعوراً بالذنب لدى كل من حوله. ويجعل الآخرين يشعرون بالذنب تجاه أصغر الأمور، وحتى تجاه أمورٍ غير جوهرية. فإذا كان لديك شعر طويل، فسيجعلك هذا الشخص تشعر بالذنب. وليس في الشعر الطويل مبالغة بشيء، فللمرء حياته الخاصّة.. فإذا كان المرء راغباً في أن يكون لديه شعر طويل، فلا بأس! ولكنك إذا فعلت أمراً على طريقتك الخاصّة فسيحاول رجل الدين أن يجعلك تشعر بالذنب. وسيجد لك أخطاء مهما فعلت.

عليه إذن أن يجد لك أخطاء.. لأنه هو نفسه يعاني من عقدة الذنب. فكيف يمكنه أن يعاني لوحده؟ وعندما يجعل كل شخص يشعر بالذنب سيشعر هو بالراحة. أو على الأقل بالعزاء ويقول: " إني لست وحدي في القارب..كل واحد منا في الحالة نفسها." إن أكبر خدعة لجعل الآخرين يشعرون بالذنب هي في إعطائهم المُثُل العليا. وهذه خدعة ماكرة جداً: فالأهل يقدمون نموذجاً للطفل لكي "يكون مثل كذا." لأنه لم يسبق لهم أن كانوا مثل "كذا"، ولا لأحدٍ سبق أن كان. وها هم الآن يقدمون نموذجاً للطفل.. وهذا أسلوب مخادعٌ وماكرٌ جداً لجعل الطفل يشعر بالذنب.

ومرةً تلو المرة يشعر الطفل بالذنب حين يقول لنفسه: "إنني لست قريباً من المثال، فأنا في الحقيقة أبعد ما يكون عنه" وهذا يؤذيه ويبقيه محبطاً مكتئباً. لهذا السبب نرى الكثير من البؤس في العالَم. أليس حقيقةً أن تسعين بالمئة من

بؤسك هو بسبب النماذج المفروضة عليك. فهم لا يسمحون لك بأن تضحك، ولا بأن تستمتَّع. إن الشخص الذي ليس لديه نماذج، لا يجعل أي شخص آخر يشعر بالذنب أبداً.

ليلة البارحة، جاءني شخص وقال لي" أشعر بالذنب كثيراً بسبب شذوذيَ الجنسي. وهذا غير طبيعي". ولو أنه ذهب الآن إلى الماهاتما غاندي، أو إلى بابا الفاتيكان، أو إلى شانكارا تشاريا بوري، فماذا سيقولون له؟ بالتأكيد سيجعلونه يشعر بالذنب. ويُقنعوه بأن يستعدّ للمثول بين يدي أي جلاّد. بأن يستدعيه بنفسه. بأن يستدعيَ الماهاتمات لكي يأتوا ويُشعِرونه بالذنب. ولأنه لا يستطيع لوحده أن يقوم بذلك العمل بشكل جيّد، لهذا يسألِ الخبراء.

لكنَه أتى إلى الشخص الخطأ. وقد قلت له: "وما الضرر في ذلك؟ لماذا تقول بأن هذا غير طبيعي؟" فقال: "أليس هذا غير طبيعي؟" وبدا أنه تفاجأ وصُدِم: "أليس هذا غير طبيعي" فقلت " كيف يكون غير طبيعي؟ إن تعريفي للطبيعة هو: إن كل ما يحدث هو طبيعي. ففي المقام الأول كيف يمكن لغير الطبيعي أن يحدث ؟" وفي الحال أمكنني أن ألحظَ بأنه أوشك على الخروج من الحفرة، وبدأ وجهه بالابتسام.

وقال مجدداً: "أليس هذا غير طبيعي؟ أليس انحرافاً؟ أليس نوعاً من الشذوذ؟" فقلت له: "كلا ليس كذلك!"

ثم قال: " ولكن الحيوانات.. ألا تصبح شاذّة جنسيّاً"

فقلت: " الحيوانات..لا تملك الكثير من الذكاء! فهي تعيش حياةً ثابتة. وهي تعيش بتلك الطريقة طالما سمحت لها البيولوجيا بذلك. يمكنك أن تذهب وتنظر إلى جاموسة وهي تأكل العشب.. إنها تأكل عشباً معيّناً فقط، ولا شيء غيره. باستطاعتك أن تضع لها طعاماً آخر. فلن تتضايق. وستمضي بأكل عشبها، إذ ليس لها بدائل. إن وعيها ضيّقٌ جداً. بل هو معدومٌ تقريباً. لكن الإنسان يمتلكُ ذكاءً، وهو يحاول اكتشاف طرقٍ جديدةٍ للارتباط بالحياة. الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يكتشف طرقاً جديدة.

والآن، حين يسكن الإنسان في منزل فهذا غير طبيعي (بالنسبة للحيوان)،

لأنه لا يوجد حيوان يسكن في منزل. أليس هذا انحرافا بالنسبة له؟ أو أن ترتدي ملابس، فلا يوجد حيوان يرتدي الملابس. أليس ارتداء الملابس شذوذاً بالنسبة له؟ وكذلك طهو الطعام أمر غير طبيعي بالنسبة له.. فليس هناك حيوانٍ فعل ذلك أبداً! أليس من الضارٌ له أكل الطعام المطبوخ؟ أن تدعو الناس إلى منزلك للشرب أو للغداء هو أمر غير طبيعي بالنسبة له لأنه لم يسبق لحيوان أن وجّه دعوة لحيوانٍ آخر.. لأن الحيوانات في الحقيقة تنفرد دائماً عندما تريد الأكل.

إذا اعطيت الكلب شيئاً يأكله: فسيذهب في الحال إلى زاوية ويُبقي الجميع خلفه. سيأكله على عجل ولن يدعو أحد، لن يدعو أصدقاءه قائلاً: "تعالوا! فهذا طبيعي بالنسبة للكلب. لكنك لست كلباً، إنك أرقى بكثير. لديك ذكاء أكبر، ولديك إمكانيات أكبر. والإنسان يصنع كل شيءٍ على طريقته الخاصّة.. فتلك طبيعته".

بدا الرجل مرتاحاً. واستطعت أن أرى الوزرَ العظيم، الجبلٌ الذي كان فوق رأسه قد زالَ. لكنني لستُ متأكداً كم سيبقى حرّاً ومرتاحاً. فربما يُمسكَ به ماهاتما ما، ويضع في رأسه نفس الفكرة بأنَّ "هذا غير طبيعي". فالماهاتماتَ إمّا ساديّون أو مازوخيون.. وعليك أن تتجنبهم! وكلّما رأيت ماهاتما، اركض بأقصى سرعتك قبل أن يضع في عقلك شيئاً من عقدة الذنب.

كيفما يمكن أن تكون، فأنت ذاتك وليس هناك هدف، ولن نذهب إلى أي مكان. لأننا ببساطة نحتفل هنا. والوجود ليس رحلة، إنه احتفال. فكر به كاحتفال! ابتهاج، فرح! لا تحوّله إلى معاناة! لا تحوّله إلى واجب، إلى عمل.. دعه يكون لعبة! هذا ما أعنيه عندما أتحدث عن المتديّن الحقيقي: فلا شعور بالذنب، ولا أنا متضخمة، ولا زلّةٌ من أي نوع.. كن حاضراً فقط... كن مع الأشجار والطيور والأنهار والجبال والنجوم.

أنت لست في سجن. أنت في بيت الله، في معبد الله.. فأرجوك لا تُسَمّه سجناً، فهو ليس سجناً. لقد أسأت الفهم. لقد فسّرته بشكل خاطئ. ويمكن أنَ تفسّر الكثير من الأشياء بشكل خاطئ باستماعك لي أيضاً. وتستمرٌ في ذلك.

إليك هذين المشهدين ...

المشهد الأول:

أكّدَ صاحب المشتل الذي كان يحدّثُ في اجتماع نادي الحديقة على الفائدة التي يمكن الحصول عليها باستعمال سمادِ الحصانِ العجوز لتَخصيب الحدائقَ الخضراء. وخلال المناقشة، رفعت سيدة مدينة يدها وكانت تُدَوِّنُ الملاحظات. انحنى لها المتحدّث وسالت بجدّيّة: قلتَ بأن سماد الحصان العجوز هو أفضل مُخَصِّب. هل تسمح بأن تخبرني كم يجب أن يكون عمر الحصان ؟"

المشهد الثاني:

أحضرت امرأة من نمط الهيلبيلي* ولدها إلى مدرسة المقاطعة. وعندما سُئلت عن زوجها، أسَرَّتْ قائلة: "لا أعرف الكثير عن والد الطفل. لقد مرَّ من هنا، فغازلني ثم تزوّجنا. ولم يطل الأمر بعد ذلك حتى اكتشفتُ بأنه كان شاذاً جنسيّاً."

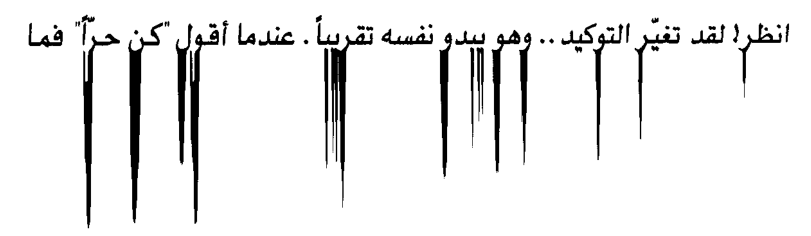
فقال السائل "هل تعنين بأنه كان لوطيّاً؟" فجاء ردّها مُصحّحاً: "كلا يا سيّدي، أعني بكلمة شاذٌ جنسيّاً أنه لم يكن جيّداً تماماً، لم تكن فُحولته كافية.

وهكذا فإن كل شخص له تفسيره الخاص للكلمات. فحينما أقول شيئاً، فإني لا أعلم ماذا ستفهم منه. كل واحدٍ لديه قاموسه الخاص الذي يختفي في عقله الباطن. والقاموس الخاص يعمل على تصفية وتغيير وتلوين الكلمات.

دعوتك إلى أن تُصبحَ حراً. وقد أسأت فهمي.. فاعتقدتَ أنك في سجن. صحيحٌ أنني قلت "فلتكن حرّاً!" لكنك فسّرتَه على الفور كما لو أنك في سجن. وهكذا فإن كل التوكيد تغيّر. لقد كان توكيدي منصبّاً عليك: فلتكن حرّاً! أما توكيدك فقد اتجه إلى السجن. والآن تقول: "إنني في سجن. وما لم أخرج من السجن فكيف لي أن أكون حرّاً؟ كان توكيدي: كن حراً، فإذا كنت حرّاً لن يكون هناك سجن. فقد خُلِقَ السجن من خلال كيانك المُقيّد.

---

* الهيلبيلي، hillbilly ، شخص من الغابات المنعزلة أو المناطق الجبلية خاصّة في المناطق الجنوبية الشرقية من الولايات المتحدة الأمريكية.



هو الفرق حين يقول شخص: "حقاً، هل أنا في سجن"؟.. إنه لفرق كبير، فرق هائل. لقد تغيّر المعنى بأكمله. إنه لشيء مختلفٌ كلّيّاً عندما تقول " إنني في سجن". فعندئذٍ تقع المسؤولية على الحارس والسجن. وبالتالي، ما لم يأذنوا لك بالخروج فكيف تستطيع أن تخرج منه؟ لقد ألقيتَ بالمسؤولية على شخص آخر.

عندما قلت لك "كن حراً " فهذا يعني "أنت المسؤول". والأمر يعود إليك بأن تكون حرّاً أو لا تكون. فإذا اخترت أن لا تكون حرّاً، إذن سيكون هناك سجن، وعندئذٍ سيكون هناك حرّاس وسجناء. أمّا إذا اخترت أن تكون حرّاً، فسيختفي الحرّاس والسجن وكل شيء. وما عليك سوى إسقاط عادة تقييد نفسك.

كيف يمكن أن تُسقط هذه العادة؟ إن الحرّية والوعي يسيران جنباً إلى جنب: فالأكثر وعياً هو الأكثر حريّة. والأقل وعياً هو الأقلّ حريّة. الحيوانات أقل حرّيّةً لأنها أقلُ وعياً. وحتى الصخرة أقلُ حريّةً لأنّ ليس لديها وعي. بل إن وعيها معدومٌ تقريباً. أما الإنسان فكائنٌ أكثرُ تطوّراً بكثير، فهو على الأقل يعيش على هذه الأرض. ولديه قليلاً من الحريّة في حين أن بوذا لديه حريّة مطلقة: لأن وعيه مطلق.

فالمسألة إذن تنحصر فقط في درجات الوعي. إن سجنك يتألف من طبقات جهلك. فابدأ بأن تصبح واعياً ولن يكون هناك سجنٌ آخر. وتذكّر بأن العقل مخادعٌ جداً. إذ بمقدوره دائماً أن يجد الأساليب لكي يخدعك. لقد تعلّمَ حيلاً كثيرةً جداً لكي يخدعكَ. ويمكن للعقل أن يستعمل كلماتٍ مختلفة، حتى أنك قد لا تلاحظ الفرق.. فقد يكون الفرق دقيقاً جداً بحيثُ يكون المعنى مرادفاً تقريباً.. وبذلك يكون العقل قد قام بخدعة خدعة. لهذا عندما أقول شيئاً أرجو أن لا *تفسّره*. بل أصغِ له فقط بانتباه قدر الإمكان، ولا تغيّر فيه كلمة واحدة، ولا حتى فاصلة. فقط أصغِ لما أقول. ولا تُقحم عقلك فيه، وإلا فستسمع شيئاً آخر. كن مُتَنبّهاً على الدوام من مكر العقل. فأنت من زَرَعَ ذلك المكر. لم تَزرعه لنفسك ، بل زرعتَهُ للآخرين. وحين تحاولُ خداع الآخرين، يصبح العقل شيئاً فشيئاً خبيراً في الخداع.. وبعدها يبدأ بخداعك.

سمعتُ قصة نادرة تقول:

توفي صحفي، ولأنه كان صحفياً مميزاً وعظيماً، وبما أنه لم تكن توجد فرصة للتوظيف، فكان من الطبيعي أن يحاط بالرعاية ويحتضن حتى في منزل الرئيس أو في منزل رئيس الوزراء. المهم أنه رحل مسرعاً نحو الجنة.. لأنه ما من سبب لكي يرسَل إلى جهنّم.. لكنه مُنع من دخول الجنة من قبل القديس بيتر الذي قال له: "مهلاً! لا حاجة لمزيد من الصحفيين هنا. لدينا نصاب كامل، نحن بحاجة إلى دزّينة واحدة فقط.. وفي الحقيقة إنهم أيضاً عديمو الفائدة لأنه لا توجد صحيفة تُطبع في الجنة.

الحقيقة أنه لا توجد أخبار في الجنة! ولا شيء يحدث هناك أبداً فالأمور تسير بسلاسة، كيف يمكن للأخبار أن تحدث؟ وما الأخبار التي يمكن متابعتها بشأن حياة القدّيسين: فهم يجلسون تحت أشجارهم، أشجار بوذا، يتأمّلون. لهذا فإن الصحيفة في الجنة ليست صحيفة كبيرة، وهي تستخدم بصورة شكلية فقط. تُنشَرُ الصحف، وكل يوم تَكتُبُ الشيء ذاته... تماماً كالذي كُتب من قَبل.

"لسنا بحاجة لأي صحفي.. اذْهَبْ إلى جهنّم. فهناك يحتاجون إلى المزيد والمزيد من الصحفيين، لأن هناك الكثير من الأخبار والصحف، ثم الصحف. كما سمعتُ للتوّ بأنه يجري التخطيط لإنشاء صحف جديدة... اذهبْ إلى هناك وستحصل على عمل عظيم ومتعة عظيمة!" غير أن الصحفي أراد أن يكون في الجنّة، لذلك قال: "امنحني فرصة واحدة فقط: أنا أعرف صحفيين هنا... فإن استطعت إقناع صحفيٍ منهم بالذهاب إلى جهنّم، فهل تعطيني مكانه ؟" أسف القدّيس بيتر لحاله وقال: "حسناً، كم من الوقت تحتاج لإقناع الصحفي كي يذهب إلى جهنّم؟" فقال: " أربعاً وعشرين ساعة، فقط أربع وعشرين ساعة".

وهكذا سُمِحَ له بالدخول إلى الجنّة لمدة أربع وعشرين ساعة. وفي الحال بدأ الصحفي بنشر إشاعة مفادها: "يجري العمل في جهنّم على إنشاء واحدة من أكبر الصحف، وهم بحاجة إلى رئيس تحرير وإلى مساعدي تحرير، ومحررين ثانويين.. من ذوي الإمكانيات المتميّزة. ولكن لابد من الذهاب إلى جهنّم."

صال الصحفي وجال لمدة أربع وعشرون ساعة. قابل كل الصحفيين، وبعد أربع وعشرين ساعة ذهب إلى القدّيس بيتر ليرى ما إذا كان أحدهم قد غادر.

فأغلق القدّيس بيتر الباب خلفه وقال له "لا تخرج، لأن جميعهم غادروا إلى جهنّم!"

لكن الصحفي قال: "كلا، علي أن أذهب إذن..ربما يوجد شيء هناك. أرجوك لا تمنعني. علي أن أذهب."

كان هو نفسه الذي نشر الإشاعة، ولكن عندما صدّقها اثنا عشر شخصاً.. بدأ بتصديق نفسه. وهكذا يصبح العقل مُخادعاً جداً. فأنت تَخدع وتُخدع... وقد أصبح العقل خبيراً في الخداع بحيث يخدعك أنت أيضاً.

وقف المدّعي المصاب بحادث، أمام المحكمة وهو على كرسي المعوّقين، بعد أن ربح مستوطنة ضخمة كتعويض عن الحادث. تقدّم محامي الدفاع الغاضب من المدّعي الجالس في كرسي المعوقين صارخاً "إنك أفّاقٌ وأنا أعلم بأنك أفّاقٌ". "فليساعدني الرب، سألاحقك لبقيّة حياتك حتى أحصل على الدليل".

كان المحامي يعرف تماماً بأن ذلك الرجل كان أفّاقاً، وبأن ذلك الكرسي كان استعراضاً. فقد كان الرجل بأحسن حال، ولم يكن في جسده أيُ أذىً. لذلك قال: " فليساعدني الرب، سألاحقك لبقيّة حياتك حتى أحصل على الدليل".

"فلتكن ضيفي إذن" رد الرجل الجالس في كرسي المعوقين مبتسماً"، ثم أضاف: "دعني أخبرك عما سأفعله. أولاً، سأذهب إلى لندن لشراء بعض الملابس، ثم إلى شاطئ الريفيرا للتشمّس، ثم بعد ذلك.. إلى اللوردز لأحصل على مُعجزة الشفاء."

العقل ماكرٌ جداً، ويمكنه دائماً إيجاد مَخرَج. يمكنه الذهاب إلى اللوردز... لكنك عندما تمارس هذه الخدع على الآخرين، ستكون أنت نفسك ضحيّة عاجلاً أم آجلاً. احذرْ من عقلك، ولا تثق به. فإذا بدأت تشكُ بعقلك، فهذه لحظةٌ عظيمةٌ. ففي اللحظة التي يبرز فيها الشك بالعقل، ستبدأ الثقة بنفسك. أما إذا كنت تثق بالعقل فأنت تشكُ بنفسك.

ذلك هو المعنى الكلّي للثقة بالمُعَلِّم. عندما تأتي إلي، تتعلم تقنيّة بسيطة تساعدك على أن تشك بعقلك. فتبدأ بالثقة بي وتقول: "سوف أُصغي لك ولن أصغي لعقلي. لقد أصغيتُ لعقلي بما فيه الكفاية، ولم يُجد ذلك نفعاً، وهو يلفُ ويدور. ويرتكب الأخطاء نفسها المرةَ تلوَ الأخرى، إنه لتكرارٌ مُملٌ".

وهكذا فإن المعلّم هو ذريعةٌ فقط للتخلّص من العقل. وحالما تتخلّص من العقل فلن تعود ثمّة ضرورة للثقة بالمعَلِّم، لأنكَ ستكون قد عثرت على مُعَلمك الداخلي.

المعلمُ ببساطة هو نقطة العبور إلى معلِّمك الداخلي. وعن طريق المعلم يصبح ذلك سهلاً، وخلاف ذلك سيستمرُ العقل بالخداع، ولن تعرف ماذا ستفعل مع العقل.

أصغِ للمعلّم، ثقْ بالمعلم، وشيئاً فشيئاً تُهملُ العقل. عليك أن تُسقط العقل عدّة مرات لأن المعلِّم يقول: الشيء الذي تصيرُ ضدّهُ.. تصيرُ ضدّهُ دائماً! أهمل العقل فيبدأ بالموات. لا تثق به، فيبدأ العقل بالاضمحلال، ويعود إلى حجمه الصحيح. صحيح أنه الآن يدّعي بأنه كل حياتك، إلاّ أنه صغيرٌ تماماً، آليّةٌ صغيرة جداً ومن الجيّد استخدامها، لكنه خطير جداً حين تجعله معلِّمكَ.

العقل يقول: "أصبحْ"، والمعلِّمُ يقول "كُنْ". العقل يقول "ارغبْ"، والمعلِّمُ يقول "ابتهجْ!". العقل يقول "عليك أن تسير في الطريق الطويل"، والمعلّم يقول "لقد وصلتَ، أنت ساراها ..لقد أصبت الهدف".

السؤال الثالث: ما رأيك بالحضارة؟ هل أنت ضدّها حقاً؟

ليس هناك حضارة في أي مكان.. إذن فكيف أكون ضدّها؟ إنها غير موجودة. إنها مجرّد زعم. صحيحٌ أن الإنسان فقد طبيعته، فقد براءته الطبيعية، لكنه لم يُصبح متحَضِّراً. لأنه ليست هناك وسيلة لكي تصبح متحضّراً. والسبيل الوحيد لذلك هو أن تبني نفسك على سجيّتك، على سجيّتك الأصلية لتنمو انطلاقا منها.

لهذا يقول السيد المسيح: ما لم تولد من جديد، ما لم تعودَ طفلاً، فلن تعرف أبداً ما هي الحقيقة. إن ما تسمّى بالحضارة هي زيف. عملةٌ معدنيّة مزيّفة. فإن كنتُ ضدّها، فأنا لست ضد الحضارة.. لأن هذه ليست حضارة. وأنا ضدّها لأنها ليست حضارة على الإطلاق. إنها زيف.

سمعت بأن شخصاً سأل ذات مرّة أمير ويلز السابق "ما هي فكرتك عن الحضارة؟" أجاب البرنس "إنها فكرة جيدة، يجب أن يبدأ بها شخص ما".

أحببتُ الجواب. أجل، يجب أن يبدأ بها شخص ما..لأنها لم تبدأ لغاية الآن.



فالإنسان ليس متحضراً، لكنه يتظاهر بذلك فقط. وأنا ضد التظاهر. ضد النفاق. الإنسان يتظاهر فقط بأنه حضاري. فإذا خدشه قليلاً ستجد عكس ذلك. اخدشه قليلاً وستجد أن كل ما يبدو جيّداً هو مجرّد شيء سطحي، وكل ما هو سيئ متجذّر فيه بعمق. إنها حضارة بعمق البشرة. كل شيء يسير بصورة حسنة، وأنت تبتسم راضياً. ثم يأتي شخص ما ويقذعك بكلمة مُهينة، فتصبح مجنوناً، مهووساً مسعوراً تريد أن تقتله.

قبل لحظة فقط كنت تبتسم، وبعد لحظة فقط تصبح مستعداً لأن تقتل. ميولك الإجراميّة ظهرت على السطح، فأيُ نوعٍ من الحضارة هذه؟

يمكن للإنسان أن يكون متحضّراً فقط عندما يصبح متأمّلاً حقيقيّاً. فوحدهُ التأمّل يستطيع أن يخلق الحضارة الحقيقية للعالم. وحدها البوذية هي المتحضّرة.

والتناقض بين البوذية وبين هذه الحضارة يكمن في أن البوذية ليست ضدّ البدائية.. فالبوذية تستخدم البدائية كقاعدة، تستخدم براءة الطفولة كقاعدة، وعلى تلك القاعدة تبني معبداً عظيماً. لكن هذه الحضارة تدمّر براءة الطفولة، وتعطيك بعدها عملة زائفة. فهي تدمّرُ براءتك البدائية قبل كل شيء، وحالما يتم تدميرها، تُصبح ماكراً، شاطراً، حذراً، عندئذٍ تقع في الفخ، بعد ذلك يمضي هذا المجتمع بتحضيركَ. فهو أولاً يُبعدكَ عن ذاتك. وحالما تبتعد، يُقدم لك عملاتٍ زائفة عليك أن تعتمدها. غير أن الحضارة الحقيقية لن تكون ضدّ طبيعتك، لن تكون ضد طفولتك، بل ستنمو على أساسها. لن يكون لديها أي عدائيّة تجاه البراءة البدائية، بل ستُزهرُ منها.

البوذية تمضي نحو الأعلى، لكنها متجذّرة في البراءة البدائية. أما هذه الحضارة فليست سوى شيء يثير الجنون. ألا يمكنك أن ترى بأن الأرض قاطبة قد أصبحت مشفىً كبيراً للمجانين؟ لقد خسر الناس جوهرهم، ولم يعودوا أناساً.. لقد خسروا أنفسهم، فقدوا شخصيّتهم.. خسروا كل شيء! إنهم مجرّد مُدَّعين يرتدون أقنعة وقد فقدوا وجوههم الأصليّة.

إنني مع الحضارة كُلّياً، لكن هذه ليست حضارة. ولهذا أنا ضدّها. أوَدُّ أن يكون المرء متحضّراً حقاً، مثقّفا حقّاً، لكن تلك الثقافة يجب تنميتها وليس فرضها من الخارج. يمكن أن تأتي من الداخل فقط، ثم تمتدّ نحو السطح الخارجي، ولكن لا بد أن تصعد، ويجب أن تصعد من المركز.

إن هذه الحضارة تفعل العكس تماماً: فهي تفرض الأشياء من الخارج. إن التبشير باللاّعنف منتشر في جميع أنحاء العالم.. فمهافر وبوذا والمسيح، كلّهم يُعَلّمونَ اللاعنف. يُعَلّمونَ اللاعنف لأنهم كانوا يتّصفون به. ولكن ماذا عن الأتباع؟.. إنهم لم يتّصفوا بأي لحظة باللاعنف. فهم لا يعرفون سوى العنف فقط. غير أنهم أتباع، ولهذا يتظاهرون بأنهم مسالمين، ويفرضون اللاعنف على أنفسهم، يختلقون شخصيّة. وتلك الشخصية تغلّفهم بالكامل. إنها درعٌ. لكن العنف يغلي في أعماقهم كالبركان الذي على وشك الانفجار. فيما هم من الخارج يبتسمون ابتسامة زائفة، ابتسامة بلاستيكيّة.

ليست هذه حضارة. إنها ظاهرة بشعة جداً. أجل، أريد أن يأتي اللاعنف من الداخل، لا أن يكون ثقافة تأتي من الخارج سوى للمساعدة. وهذا هو جذر معنى كلمة "تعليم". وهي عملية تشبه تقريباً سحب الماء من البئر: فالتعليم يعني أن تسحب من الداخل إلى الخارج، ذلك هو معنى كلمة "تعليم". ولكن ما الذي فعله التعليم؟ لم يكن يسحب أي شيء للخارج.. بل كان يُفرض عنوةً. كان يمضي بحشو الأشياء في رأس الطفل بشكل قسري، وهو لا يكترث بالطفل مطلقاً. ولا يُفَكِّرُ به.

إن الطفل يُستخدم كآلة فقط ينبغي أن تُتخَمَ بالمزيد والمزيد من المعلومات. وهذا ليس تعليماً! فالتعليم الحقيقي يجب أن يُبرز جوهر الطفل إلى الخارج. يجب أن يُظهر ما يختبئ بداخل الطفل. لا ينبغي أن يُزخرف، ولا أن تُمسّ حريّته، يجب أن نساعد وعيه على النمو. إن المزيد من المعلومات ليست تعليماً، فالتعليم هو المزيد من الوعي، التعليم هو المزيد من الحب. وهذا التعليم هو الذي يخلق الحضارة. لكن هذه الحضارة زائفة، تعليمها زائف، ولهذا السبب أنا ضدّها. أنا ضدّها لأنها ليست حضارة حقيقية.

بهاجاوان، أنا أضحكُ كثيراً من نُكاتك، وأرغبُ بأن أسألَ سؤالاً: لماذا تخلق النكتة كثيراً من الضحك؟

السبب الأول: لم يسبق أن سُمِحَ لكَ بالضحك، فضحكك مكبوت. أنه مثل نبع مكبوت.. فأي عُذرٍ يبرر انطلاقه. لقد لُقِّنتَ بأن تكون حزيناً، كئيب الوجه، لُقِّنتَ بأن تكون جدّيّاً. فإذا كنت جدّيّاً، فلا أحد يعتقد بأنك تفعل شيئاً خاطئاً، وهذا متَعارفٌ عليه، وهي الكيفيةَ السائدة التي يجب أن تكون عليها الأشياء. ولكن إذا كنت تضحك، إذا كنت تضحك كثيراً، فسيشعر الناس بالحرج بسببك. سيشعرون بشيء ما مستهجن: "لماذا يضحك هذا الرجل؟" فإذ كنت تضحك دون أي سبب، إذاً فأنت مجنون، وبعد ذلك سيأخذونك إلى طبيب نفسي، ثم يُدخِلونك إلى مشفى المجانين. وسيقولون "إنه يضحك دون أي سبب! وليس سوى المجانين من يضحكون دون أي سبب."

غير أنه في عالَمٍ أفضل، في عالمٍ أكثر تحضّراً، في عالم متحضّر بشكل حقيقي، سيحظى الضحك بالقبول بصورة طبيعية. وعندما يكون الشخص حزيناً آنذاك فقط علينا أن ندخله إلى المشفى.

إن الحزن مَرَضٌ: والضحك عافية. ولأنه لم يُسمح لك بالضحك، ولا تحت أي عذر.. إذن فالنُكات تُبَرِّرُ الضَحك، وتستطيع أن تضحك دون أن تُسَمّى مجنوناً. تستطيع أن تقول " أضحكُ بِسبب النكتة..". ولأن النكتة لها آليّتها: فهي تساعد على تفكيك العقد.

إن الآلية الكاملة للنكتة معَقّدةٌ جداً وهي بصورة ما تبدو بسيطة، لكنها في العمق معقّدة جداً. فالنكتة ليست مجرّد نكتة! إنها ظاهرة ملتبسة، ففي بضعة كلمات، أو بضعة أسطر، يمكنها أن تخلق تغيّراً في المناخ بأكمله. فماذا يحدث؟

حينما تُروى النكتة، تبدأ بتوقّع حدوث شيء مضحك. وتستعدّ لذلك. تنوِّمُ نفسك مغناطيسيّاً، تصبح منتبهاً. ربما كنت نعساناً ونائماً، ولكن بما أنه توجد الآن نكتة، فتصبح يقظاً. ينتصب قوامك، وتصغي بانتباه. تصبح أكثر إدراكاً. وبعد ذلك تمضي الطرفة بطريقة تخلق فيك المزيد والمزيد من الانتباه. تريد أن تعرف النتيجة. وتستمر النكتة بسويّةٍ واحدة، حتى تبدو كأنها خالية من عنصر

الإضحاك، وبعد ذلك يحصل انعطافٌ مفاجئ...وهذا الانعطاف المفاجئ يحرر اندفاعك. وتصبح متوتراً لأنك تنتظر وتنتظر... وترى بأنه ليس فيها ما يشبه النكتة كثيراً، وبعدها يظهر عنصر الإضحاك! بصورة مفاجئة جداً، فتخرج عن المألوف، وتنسى جدّيتك، تنسى من أنت، وفي تلك المباغتة تصبح طفلاً من جديد .. وأنت تضحك. لقد تَحرَّرَ ضحكك المكبوت.

النكات ببساطة، تُظهر بأن المجتمع نسي كيف يضحك. أما في عالم أفضل، حيث سيضحك الناس كثيراً، سنفتقد لشيء واحد وهو النكتة. لن تكون هناك حاجة لها .. إذ سيكون الناس ضاحكين وسعداء. لماذا؟ لأن كل لحظة ستكون لحظة من الضحك. وإذا استطعت أن ترى الحياة فستكون كلها نكتة. غير أنه لم يُسمح لك بالرؤية! لأنهم وضعوا غشاوة على عينيك، لقد سُمح لك بأن ترى الكثير. ولكن لم يُسمح لك بأن ترى سخافاتها .. وتفاهاتها!

الأطفال يمكنهم رؤية الحياة بسهولة أكثر، لهذا السبب يضحك الأطفال بسهولة أكثر وبصوت عالٍ أكثر. ويخلقون إحراجاً لآبائهم، لأنهم يستطيعون رؤية كل سخافات الحياة. ولأن الغشاوة لم توضع على أعينهم بعد.

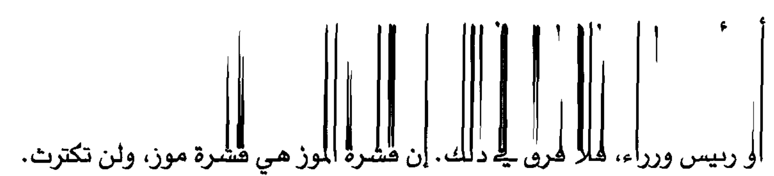
يستمر الأب بالقول للطفل "كن صادقاً، كن صادقاً دائماً!" وبعد أن يقرع شخص ما الباب، يقول له الأب لطفله " اذهب وقل له بأن أبي ليس موجوداً".

الآن، لا يستطيع الأب رؤية ما يحدث، لكن الولد يضحك. لا يُصدّقُ ما يحصل.. فهذه سخافة! ثم يذهب الولدُ للغريب الطارق على الباب ويقول له: "يقول أبي بأنه غير موجود". وهو يرشف كأس العصير بكاملها، مستمتعاً بكل رشفة منها.

نحن نعيش بأعين معصوبة. تَربّينا بحيث لا نرى سخافات الحياة، والحياة في كل أحوالها سخيفة. لهذا تكون أحياناً مضحكة دون وجود نكتة، حتى في أتفه شيء فيها ... فعلى سبيل المثال: انزلق الرئيس فورد وسقط على الأرض. فضحك الناس الذين كانوا متواجدين كثيراً، لماذا؟ ربما لم يشاهدوا ذلك، لكنهم ضحكوا كثيراً.

ولكن فكّر الآن: لو انزلق متسوّلٌ على قشرة موز فلن يكترث أحد، ولكن لو انزلق رئيس دولة على قشرة موز..فسيضحك العالم بأكمله. لماذا؟ لأن قشرة الموز بيّنت الأشياء على حقيقتها! إن قشرة الموز تلك أظهرت للرئيس بأنه إنسان

مثل المتسوّل. وقشرة الموز لا تميّز على الإطلاق.. إن جاء متسوّل، أو جاء رئيس،



أو رئيس ووراء، فلا فرق في ذلك. إن قشرة الموز هي قشرة موز، ولن تكترث.

لو سقط شخص عادي، فستضحك قليلاً لأنه شخص عادي، وهو لا يحاول أن يثبت بأنه حجمه أكبر من حجم الحياة.. لهذا لن تضحك كثيراً. ولكن لو انزلق الرئيس على قشرة موز، فإن سخافة الموقف المفاجئ وحقيقته هو في اعتقاد الرئيس بأنه كان يتربّع على قمة العالم.. فمن الذي كان يحاول خداعه؟.. حتى قشرة الموز لم تنخدع. وأنت تضحك. ولاحظْ...كلّما ضحكتَ، كلما دخلت سخافة الحياة من خلال الغشاوة الموضوعة عينيك. فتعود طفلاً مرة أخرى، ذلك لأن النكتة تُعيدك إلى طفولتك، إلى براءتك. تساعدك على أن تزيل الغشاوة عن عينيك للحظات.

استمعْ إلى هذه النكات:

وُجد أحد المواطنين ميتاً في ظروف غير عاديّة. لذلك اختير موظف قضائي من هيئة المحلّفين للتحقيق، واستدعى رئيس المحلّفين المرأة التي كانت في سرير الرجل الميّت للشهادة. وطمأنها رئيس المحلّفين بأن كل الموجودين يعرفون بعضهم بعضاً، وبأنه يتعيّن عليها فقط أن تُدلي بما حدث بطريقتها الخاصة.

روت المرأة بأنها هي والرجل، الذي هو ميّت الآن، كانا قد التقيا في الحانة المحلّية، وعندما حانت "اللحظة" تقدّم نحوها ودعاها لتناول كأساً آخر. ومن كأس لآخر انتهى الأمر بهم إلى الفراش معاً. وفجأةً لاحظت المرأة نظرةً غريبة في عينيه اللتين وصفتهما لهيئة المحلّفين بهذه الكلمات: "قلت له تعالَ، ظننتُ، لكنه كان قد ولّى."

النكتة الثانية:

حصل شمّاسٌ عجوز على فرصة لقضاء ليلة في فندق وكان قد خُصّصَ له غرفة تحتوي على ثلاثة أسرّة منفردة، اثنان منها كانا مشغولين. وبعد أن أُطفئ الضوء مباشرة، بدأ أحدهم بالشخير بصوت عالٍ مما منع الشمّاس من الخلود إلى النوم. ازدادت جلبة الشخير عندما أرخى الليل سُدُلَهُ حتى أصبح شخيره

مُخيفاً جداً. وبعد مضي ساعتين أو ثلاث ساعات بعد منتصف الليل تقلَّبَ صاحب الشخير في فراشه، وأطلق آهةً قبيحة ثم صمت.

افترض الشمّاس أن الشخص المحترم الثالث كان نائماً، ولكن عند تلك اللحظة العصيبة سمعه يهتف قائلاً "لقد مات! الحمد لله، لقد مات."

والنكتة الأخيرة نفيسة جداً.. تأمّل فيها:

ذات يوم، عندما كان السيد المسيح يمرّ بقرية، أتى على رُعاعٍ غاضبين أسندوا امرأة على حائط وكانوا يستعدّون لرجمها.

رفع المسيح يده وأسكت المحتشدين وبعدها قال بمهابة " الآن، دعوا من كان منكم بلا خطيئة أن يرمها أولاً."

وعلى الفور التقطت سيّدة عجوز حجراً كبيراً وقذفت به المرأة. فقال المسيح وأسنانه تصطك "أيتها الأم، إنكِ تُغضبينني."

والسؤال الأخير: من الواضح أنك تعشق اللون البرتقالي.. إذن لماذا لا ترتدي هذا اللون:

أنا أعشق اللون البرتقالي؟ لا سمح الله! إنني أكرهه! ولهذا السبب أُجبِرُكم على ارتداءه. إنه نوع من العقاب لأنه لم يستترِ أحدٌ منكم بعد.

الإنسان خرافة

رائحة خشب الصندل بالنسبة للذبابة،
كأنها رائحة لحم فاسد.
الكائنات التي ترفض النيرفانا
تشتهي عالم السمسارا الفظ.

آثارُ حوافر الثور المغمورة بالماء
ستجُفُ قريباً، وهكذا هو حال الفكر الجامد
والممتلئ بصفات ليست مثالية.
ستجُفُ مع مرور الزمن، تلك النواقص.

مثل ماء البحر المالح الذي
يصبح حلواً عندما تتشربه الغيوم
كذلك الفكر الراسخ الذي يعمل لأجل الآخرين
مُحَوّلاً سُمَّ أغراض الحواس إلى رحيق.

إذا فاق الوصف، سيكون الكل راضياً،
إذا فاق التصوّر، فلابد أنه النعيم بحد ذاته.
وحتى من غيمةٍ يخشى المرء هزيم رعدها،
تنضج المحاصيل عندما ينهمر منها المطر.

الإنسان خرافة، وهو الخرافة الأكثر خطورة.. لأنك إذا صدّقت بأن الإنسان موجود، حينئذ لن تحاول تطويره مطلقاً، إذ لا حاجة لذلك. وإذا كنت تعتقد بأنك إنسانٌ أصلاً، حينذاك سيتوقّف كلُّ نموٍّ.

إنك لست إنساناً بعد، أنت مجرّدُ قوة كامنة محتملة، يمكن أن تكون. وقد لا تكون. وقد تخطئ الهدف. تذكّر بأنه من الممكن أن تخطئ.

الإنسان لم يولَدُ، وهو ليس حقيقة معطاة. ولا يمكنك اعتباره أمراً مسلّماً به. إنه مجرّد إمكانية. الإنسان موجودٌ كبذرة، وليس كشجرة.. ليس شجرة بعد. ليس واقعاً بعد، والفرق كبير بين الإمكانية والواقع.

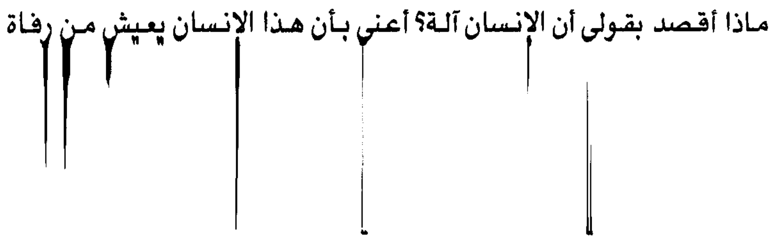
الإنسان كما هو موجود مجرّد آلة.. على الرغم من أنه يعمل ويسعى في الدنيا، على الرغم من أنه يعيش ما يسمّى بالحياة والموت. ولكن تذكّر، إنه غير موجود. فوظيفته تشبه الآلة، إنه رجل آليّ.

الإنسان آلة. أجل، غير أن هذه الآلة يمكن أن ينمو فيها شيء ما يتخطّى الميكانيكية. وهي ليست آلةً عادية، فهي تمتلك إمكانية عظيمة لتتخطى نفسها.

يمكن لهذه الآلة أن تنتج شيئاً ما يتجاوز بنيتها الخاصة. فهي مرةً أنتجت بوذا، ومرّةً المسيح، ومرّةً غوردييف. لقد أنتجت إنساناً، ولكن لا تعتقد بأنك إنسانٌ بعد، فإذا كنت تعتقد ذلك فإن اعتقادك سيكون انتحاراً.. لأنه حالما نعتقد بأن ذلك الإنسان موجودٌ فعلاً، عندئذ نتوقّف عن البحث عنه، نتوقف عن خلقه، نتوقف عن اكتشافه، وعندئذ نتوقف عن تطويره.

لنتمعّن بالأمر: شخصٌ مريضٌ جداً، ويظن بأنه بصحة جيدة. فما الداعي لأن يذهب إلى الطبيب؟ لماذا يتناول أي دواء؟ لماذا يخضع للعلاج؟ لماذا يرغب بالذهاب إلى المشفى؟ فهو يعتقد أنه بصحة جيدة، بصحّةٍ مثالية... في حين أنه يحتضر! فاعتقاده سيقتله.

لهذا السبب أقول بأن هذه الخرافة خطيرةٌ جداً، والخرافة الأكثر خطورة على الإطلاق تطوّرت من خلال رجال الدين والسياسة: لأنها تؤكّد بأن الإنسان موجود فعلاً على الأرض. غير أن هذه الملايين من البشر على الأرض هي مجرّد إمكانيات، وللأسف فإن غالبيتهم لن تصبح حقيقة واقعة. وللأسف أيضاً، كثيرون منهم سيموتون كالآلات.



ماذا أقصد بقولي أن الإنسان آلة؟ أعني بأن هذا الإنسان يعيش من رفاة الماضي. يعيش من بناء ميّت. يعيش بحكم العادة. يعيش حياةً من الرتابة. يتحرّك دوماً في نفس الدائرة، في نفس الأخدود. مراراً وتكراراً. أليس بإمكانك أن ترى الحلقة الفاسدة في حياتك؟ تُكرر فعل الأشياء ذاتها كل يوم: التمني، الغضب، الرغبة، الطموح، الشهوة، الجنس، الإحباط، ثم التمنّي مجدداً، وتدور الدورة من جديد . إن كل تمنٍ يؤدي إلى الإحباط، ليس إلاّ، وبعد كل إحباط أمل جديد .. وتدور الدائرة.

نحن في الشرق نسميها عجلة السامسارا، إنها أشبه بدولاب! بعجلات الدرّاجة ذاتها . تنخدع بها المرة تلو الأخرى. ثم تبدأ بالتمني من جديد . وأنت تعلم بأنك تمنيت من قبل.. تمنيت ملايين المرات ولم يحصل شيء جَرّاء ذلك التمني. لكن العجلة تمضي بالدوران ليس إلا .. وتمضي بقتلك، تواصل تدمير حياتك.

إن الوقت يفلت من يديك. فكل لحظة تضيع.. تضيع للأبد، ومع ذلك تستمر بتكرار الماضي.

هذا ما أعنيه عندما أقول بأن المرء آلة. وأنا أتفق مع جورج غوردييف بالمطلق. فقد اعتاد على قول أنه ليس لديك روحٌ بعد . لقد كان أول رجل يقولها بصرامة بالغة، بأنه ليس لديك روحٌ بعد . نعم، يمكن أن تولد الروح فيك، ولكن عليك أن تمنحها الحياة. يجب أن تصبح قادراً على منحها الحياة.

منذ قرون والكهنة يقولون لك بأن لديك تلك الروح، وبأنك ذلك الإنسان. لكن الأمر ليس كذلك. فأنت إمكانيّة فقط. ويمكنك أن تصبح واقعاً أيضاً، لكن الخرافة يجب أن تُحطَّم. فلتنظر في حقيقة أنك لست كائناً واعياً، إذا لم تكن كذلك فكيف يمكن أن تكون إنساناً؟

ما الفرق بينك وبين الصخرة؟ ما الفرق بينك وبين الحيوان؟ ما الفرق بينك وبين الشجرة؟ الفرق هو في الوعي.. ولكن كم من الوعي لديك؟ مجرّد ومضة هنا وومضة هناك في بعض الأحيان لا غير، وفي لحظات نادرة تصبح واعياً، لثوانٍ فقط، ثم تتقهقر مرة أخرى إلى الجهالة. أجل، هذا ما يحدث أحياناً، لأنها إمكانيتك. وهي تحدث أحياناً رغماً عنك.

ذات يوم ستشرق الشمس وتتداحُ في تناغمٍ مع الوجود .. وفجأةً... يبهرك جمالها، بركتها، شذاها، نورها.

فجأة تجدها وتتذوق ما ستكون عليه، ما يمكن أن تكون، تتذوقُ ما هو كائن. ولكن في اللحظة التي تصبح فيها متيقظاً بأنها موجودة، تكون قد مضت.

بسرعة تمضي الذكرى، تظل للحظات قليلة فقط: أحياناً في الحب، وأحياناً في مراقبة البدر، أحياناً في شروق الشمس، أحياناً وأنت جالسٌ في كهف جبلي هادئ، أحياناً في مراقبة طفل وهو يلعب ويقهقه... وأحياناً في لحن موسيقي... لكن هذه اللحظات نادرة.

لو أن شخصاً عادياً، - ممن يسمى بالإنسان- حظي بسبع لحظاتٍ من الوعي في حياته كلها، فسيكون ذلك كثيرٌ جداً ونادرٌ جداً، فالوعي مجرّد شعاع يدخل، وبعد ذلك يمضي. ثم تعاود حياتك العادية التافهة، وتذبُل ثم تموت. وهذا ليس فقط بالنسبة للناس العاديين: بل أيضاً لما تدعوهم الناس الاستثنائيين.

قبل أيام فقط كُنْتُ أقْرأُ عن كارل يونج، أحد أعظم علماء النفس في هذا العصر. لكن المرء أحيانا يتساءل ما إذا كانت تصح تسمية هؤلاء الناس بعلماء نفس أم لا. فقد كان يونغ رجلاً متوتّراً، متوتّراً بالمطلق. لا يستطيع أن يجلس صامتاً ولو للحظة واحدة. يقَلّبُ ويناقش؛ أو يفعل شيئاً أو آخر. وإذا لم يكن لديه شيئاً ليفعله فإنه يدخّنُ غليونه. كان مفرطاً بالتدخين. ثمّ حصلت له نوبة قلبية وطلب منه الأطباء التوقف عن التدخين – توقفاً تاماً. في حين كان ذلك صعباً للغاية. بدأ شعوره بالتوتّر يتزايد كثيراً، بدأ يشعر بالجنون. كان يتمشّى في غرفته جيئة وذهاباً. يريد أن يخرج من المنزل بلا سبب. يريد أن يجلس على هذا الكرسي أو ذاك.

بعد ذلك أدرك حقيقة أن الغليون كان مفيداً للغاية. فقد كان أداة تصريف، نوعاً من أداة لتحرير توتّره. وهكذا سأل الأطباء، "هل لي أن أضع غليوناً فارغاً في فمي؟ أمسموحٌ بذلك؟ "غليون فارغ! فذلك سيساعدني."

سُمحَ له بذلك، وبعدها اعتاد لسنوات على وضع غليون فارغ في فمه، متظاهراً بالتدخين ليس إلا. بعد ذلك يريد أن ينظر إلى الغليون، يريد أن يبقيه

في يده، أن يلعب به. وهو عالم النفس العظيم في هذا العصر! فأيُّ غفلة هذه!

نَسقط في قبضة العادة وفي قبضة اللاوعي إلى درجة كبيرة! لنبدو بعدها صبيانيين جداً.

بعد ذلك نمضي في البحث عن المبررات، ثم نستمر بالادّعاء لأنفسنا، وبعدها في حماية أنفسنا والدفاع عنها تجاه ما نفعله.

وقع كارل يونغ في حب امرأة وهو في سن الخامسة والأربعين. كان رجلا متزوّجاً من امرأة ودودةً جداً.

لم يكن أمراً خاطئاً، ولكن لابد وأنه الضجر. فغالباً ما يحدث هذا على مشارف الخامسة والأربعين من العمر حين يبدأ المرء بالإحساس بأن الحياة انقضت بكاملها، والموت أصبح قريباً. ولأن الموت أصبح قريباً، فإمّا أن تغدو أكثر روحانية أو أكثر جنسيّةً.

هناك ذريعتان وحيدتان: فإما أن تعود للبحث عن الحقيقة، عن الأبدي الذي لا يموت، أو أن تُغرقَ نفسك في المزيد من التخيّلات الجنسية. وإن المثقفون خصوصاً، أولئك الذين عاشوا كل حياتهم من خلال الرأس، هم الأكثر ضحيّة في سن الخامسة والأربعين. ففي هذا السن يأخذ النشاط الجنسي بالانتقام. فقد كان مُحرّماً، والآن يقترب الموت أكثر، بعدها لا يعلم المرء أبداً ما إذا سيكون موجوداً مرة أخرى أم لا، فيما إذا ستكون هناك حياة أخرى أم لا. ثم يأتي الموت وقد عشتَ حياة الرأس. فينفجر النشاط الجنسي ثائراً.

لقد وقع كارل غوستاف يونغ في حب امرأة شابة. وكان هذا منافياً جداً لسمعته. فاضطربت زوجته التي أحبته كثيراً ووثقت به. وقد برر ذلك بشكل جميل.

تمعّن في تبريره.. فهو سيفعل شيئاً بصورة غيرُ واعية، وبعدها سيحاول تبريره، ثم يحاول أن يبرهن على أن فعله ليس غير واعٍ: "إنني أفعله بصورة واعية جداً... لا بل في الحقيقة ينبغي أن يحصل هذا". بهذا الشكل يواصل الإنسان اللاواعي حياته.

ماذا فعل يونغ؟ فجأةً ابتكر نظريةً تقول بأن هناك نموذجين من النساء في العالم: النموذج الأول هو نموذج الأم، النموذج الحريص، نموذج الزوجة، أما

الآخر فهو نموذج العشيقة، الحبيبة التي تغدو إلهاماً. والرجل يحتاج إلى كليهما.. ورجلٌ مثل كارل غوستاف يونغ، بلا شك، يحتاج لكليهما. يحتاج للإلهام أيضاً. يحتاج لامرأةٍ حريصة، وهو ما تحققه زوجته.. فهي ودودة. إنها نموذج الأم. لكن ذلك لا يفي حاجته... لأنه يحتاج إلى الإلهام أيضاً، ويحتاج لامرأة رومانتيكية أيضاً. عشيقة تستطيع أن تأخذه في أحلامٍ عميقة، لأن ذلك ضروري له.

هذه النظرية ابتدعها يونغ. وهي تبرير للأشياء.

لكن يونغ لم يطوِّر الشق الآخر من النظرية أبداً، وهو أن الرجال نموذجان. وبذلك يمكنك أن تكشف تَبريره إذا كنت تمتلك بُعدُ نظرٍ حقيقي. فالشق الآخر هو أن الرجال نموذجان أيضاً: نموذج الأب، ونموذج العشيق... إذن فإن زوجة يونغ تحتاج إلى الإثنين! فإذا اعتقد يونغ أنه النموذج العشيق، إذن فهي بحاجة للنموذج الأب. وإذا ظن بأنه النموذج الأب فزوجته بحاجة إلى نموذج العشيق. لكن هذا ما لم يقم بتطويره أبداً. وهكذا ترى بأن ذلك لم يكن بُعدُ نظر. بل مجرّد عقلٍ مخادع، عقل تبريري.

نحن نواصل التبرير. نفعل أشياء غير واعية. نفعلها دون أن نعرف لماذا نفعلها. لكننا لا نتقبل حقيقة: " أنني أفعل أشياء غير واعية ولا أعلم لماذا". .. ومن المخزي جداً تقبّل ذلك. فكن حذراً من التبريرات.

ثم كيف يمكن لمثل هؤلاء الناس بأن يمدّوا يد المساعدة للآخرين؟ من المعروف أن العديد من مرضى كارل يونغ انتحروا. لماذا؟ لقد جاءوا إليه لكي يساعدهم.. فلماذا انتحروا؟ لا بد من وجود خطأ جوهري ما. لقد كان تحليله رديئاً تماماً. لأنه كان رجلاً متعجرفاً جداً، أنانيّاً جداً، مستعداً دائماً لأن يقاتل. وربما تكون كل تحليلاته النفسية التي طورها، نظراً لعَجرفته، هي لمجرَّد معارَضة سيجموند فرويد. وربما هي، مرة أخرى، مجرّد تبريرات، لأنه على ما يبدو هو نفسه يعاني من نفس المشاكل التي يعتقد بأنه يساعد الآخرين على حلّها.

كان يونغ يخافُ من الأشباح دائماً، وحتى في شيخوخته كان يخافُ من الأشباح. لم يَنشُر كتابه الأكثر أهمية عندما كان حيّاً لأنه كان يخاف من أن

يتعرّف الناس على الحقيقة. وهكذا نُشرت مذكّراته، ولكن بعد أن تأكّد من أنها ستنشر فقط بعد مماته.

إذن، أي نوع من الحقيقة والأصالة هذه؟ كان كثير الخوف من أن يُكتَشَفَ بأنه على خطأ أو أنه وقع في خطأ، إلى درجة أنه لم يسمح لأي حقيقة عن حياته بأن تُكشف أثناء حياته.

قرأت حكاية نادرة تقول:

جاء رجل إلى طبيب نفسي وبدأ يسرد قصة حياته أمام الطبيب، مضمّنا تجارب طفولته، وحياته العاطفية، وعادات طعامه، ومشاكله المهنية، وكل شيء آخر خطر بباله.

قال الطبيب: "حسناً" لا يبدو لي على الرغم من ذلك بأنك مصاب بأي مرض. تبدو سليم العقل مثلي.

قال المريض محتجّاً "ولكن يا دكتور" وقد أخذت نبرة الرعب تتسلل إلى صوته، إنها الفراشات. لا أستطيع إيقافها. إنها تغطيني بالكامل!"

فصرخ الطبيب متراجعاً : "بحق السماء"، " لا تُسلّطهم علي!"

وهكذا فالأطباء والمرضى، جميعهم في نفس القارب. المحلل النفسي والمريض ليسا متباعدين جداً. لذا فهي لعبة. قد يكون المحلل النفسي أكثر ذكاءً، ولكن ليس لأنه يعرف الحقيقة.. فلكي تدرك الحقيقة، عليك أن تكون في منتهى الوعي، وليس هناك وسيلة أخرى. ليست المسألة هنا مسألة تفكيرٍ عقلاني. ولا علاقة لها بالفلسفة. فمن أجل معرفة الحقيقة على الإنسان أن يرتقي إلى الوعي.

اعتاد غوردييف التحدّث عن علم نفس المستقبل. كان يقول بأن علم النفس مازال غير موجود، فكيف يكون موجوداً مادام الإنسان غير موجود!؟ وعندما لا يوجدُ الإنسان، فكيف يمكن أن يوجد علمٌ عن الإنسان؟ على الإنسان أن يوجد أولاً، وبعدها يمكن أن يوجد علمٌ عن الإنسان. وحاليّا، أيّا كان فهو ليس علم نفس. ربما هو شيء عن الآلة التي هي الإنسان.

يمكن لعلم النفس أن يوجد فقط عن بوذا. لأن بوذا يعيش بالوعي. وتستطيع أن تكتشف ما هي نفسيته. ما هي روحه. فالإنسان العادي اليوم يعيش دون روح. صحيح أنك تستطيع أن تجد خللاً ما في آليته، ويمكن لذلك الخلل أن يُصحح. غير أن ما نعرفه اليوم كعلم النفس، ليس إلاّ علم السلوك.

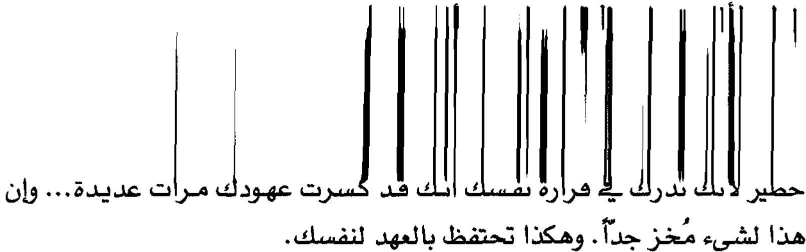
لقد كان بافلوف وسكينر، بهذا المعنى، أكثر واقعية من فرويد ويونغ.. لأنهما اعتقدا أن الإنسان آلةٌ. كانا واقعيين بشأن الإنسان الموجود الحالي، لكنهما لم يكونا كذلك تماماً لأنهما اعتقدا أن هذه الحقيقة هي نهائية: بأن الإنسان لا يمكن أن يكون خلاف ذلك. وهنا موضع قصورهم: لقد اعتقدوا بأن الإنسان ليس سوى آلة فقط. وهم مُحِقّون بقدر ما يتعلّق الأمر بالإنسان الحالي. أمّا حين يعتقدون بأن الإنسان لا يمكن أن يكون خلاف ذلك... فهم في هذا مخطئون. وكان فرويد ويونغ وإدلر أكثر خطأً لأنهم اعتقدوا بأن الإنسان موجود على الأرض: فكل ما يحتاجه الأمر هو دراسة الإنسان لنعرف هذا. لكن الإنسان ليس موجوداً. لأنه ظاهرة غير واعية إلى حدٌ كبير.

الإنسان خرافة.. دع هذا يكون إحدى أكثر الحقائق أساسيّة. فذلك سيساعدك على الخروج من الكذبة، من الخدعة.

التانترا هي محاولة لجعلك أكثر وعياً. فكلمة تانترا بحد ذاتها تعني توسّع الوعي. وقد أتت من الجذر السنسكريتي "تان". وكلمة "تان" تعني توسّع. وتانترا تعني توسّع الوعي.. والحقيقة الأساسية، بل الحقيقة الأكثر أساسية التي يجب أن تفهمها هي أنكَ تغطّ في النوم وعليك أن تصحو.

تؤمن التانترا بالطرائق المدرسية.. وهذا ما يجب أن يُفهم أيضاً. وبهذا المعنى يكون غوردييف أحد أعظم التانتريين في هذا العصر، فعلى سبيل المثال: إذا كان المرء نائماً، فهناك احتمال ضئيل جداً في أن يستيقظ من تلقاء نفسه. انظر إلى الأمر على هذا النحو: تفكّر في أول يوم من السنة الجديدة، مثلما كنت تفكر دائماً، وكما العديد من أوائل أيام السنوات التي مضت، حين كنت تقطع عهداً بأنك لن تعود مرة أخرى إلى لتدخين أبداً... ثم تأتي السنة الجديدة وتظن بأن ذلك سيتحقق هذه المرّة. فتقطع عهداً بأنك لن تُدخِّن أبداً، لكنك لن تذهب

وتُخبر الآخرين بذلك، فأنت تخاف بأن تُخبرهم. لأن إخبار الآخرين بهذا أمر



خطير لأنك تدرك في قرارة نفسك أنك قد كسرت عهودك مرات عديدة... وإن هذا لشيء مُخزٍ جداً. وهكذا تحتفظ بالعهد لنفسك.

الآن يوجد احتمال واحد بالمئة فقط لأن تلتزم بالعهد، وتسعٌ وتسعون بالمئة في أنه سيُنقض عاجلاً أم آجلاً.

أنت كائن غيرُ واعٍ، وعهدك الذي قطعته لا يعني الكثير. لكنك لو ذهبت وأخبرت كل من في البلدة... أصدقاؤك، وزملاؤك، وأولادك، وزوجتك... لو ذهبت لتقول لكل شخص: "لقد قطعت عهداً بأني لن أعود إلى التدخين"، فهناك احتمالات أكثر، على الأقل عشرة في المئة بأنك لن تدخّن. ففي الوضع الأول كان هناك احتمال واحد، أما الآن فعشر احتمالات. أي أن هناك احتمال نسبته تسعون بالمئة بأن تعود إلى التدخين، غير أن ترك التدخين يحتاج لمزيد من الإعداد ولمزيد من الصلابة. فتكون النسبة قد زادت من واحد بالمئة إلى عشرة بالمئة. ولكن إذا انضممت إلى زُمرة غير المدخّنين، إلى مجتمع غير المدخنين، عندها يصبح الاحتمال كبيراً جداً: احتمال تسعة وتسعون بالمئة في أنك لن تعود للتدخين. فماذا يحدث؟

عندما تكون وحدك، لن يأتيك إي دعم من الخارج... فأنت وحدك؛ تستطيع أن تخلد إلى لنوم بسهولة. دون أن يدري بك أحد، ودون أن تكون منزعجاً أيضاً. أما عندما يدري بك الجميع، فإن ذلك سيجعلك يقظاً أكثر.

والآن، أناكَ على المحَكّ، احترامك وكرامتك على المحَكّ. ولكن إذا انضممت إلى مجتمع غير المدخّنين، فإن النسبة ستكبر... لأنك تَحيا من خلال العادات! أحدهم يُخرج علبة سجائره من جيبه، وفجأة تبدأ بالنظر إلى جيبك. لأنك مجرّدُ آلة ميكانيكية: ترى شخصاً ما يدخّن، فتبدأ بالتفكير كم هو جميلٌ أن أدخّن. وإن لم يوجد أحد يُدخّن وأنت في مجتمع غير المدخّنين، فلن يُذكّرك بالتدخين أحد، وستختفي العادة شيئاً فشيئاً بسبب عدم ممارستها. إذا لم تُمارسَ العادة، ستختفي تدريجياً، وتميل إلى أن تصبح مَيّتة، وتفقد إحكام سيطرتها عليك.

تقول التانترا بأنه يمكن للمرء أن يصبح يَقظاً عبر الطرق الجماعية، من خلال المدارس. لهذا السبب أُصرُ كثيراً على الارتباط بمدرسة روحية. فلن تحظى بفرصة وأنت وحيد. ولكن مع الجماعة، سيكون الاحتمال أكبر بكثير. وهو كما لو أن عشرة أشخاص تاهوا في الصحراء، وحيث الخطر كبيرٌ أثناء الليل: إذ يمكن أن يقتلهم الأعداء أو تقتلهم الحيوانات الضارية، أو يأتي إليهم المجرمون وقطّاع الطرق... وذلك خطر جداً.

فيُقَررون التعامل بمنهج الجماعة ويقولون: "على كل شخص أن يظلّ مستيقظاً لمدّة ساعة". لأن التفكير في أن يبقى كل شخص مستيقظاً لمدة ثماني ساعات أثناء الليل هو مَطلبٌ صعب بالنسبة لشخص غير واعٍ، لكن كل شخص يمكنه أن يظل مستيقظاً لمدة ساعة، وقبل أن يخلد إلى النوم عليه أن يوقظ شخصاً آخر غيره، وفي هذه الحالة تتوفر إمكانية أفضل من ترك واحد لوحده مستيقظاً طوال الليل. أو كما كان يقول كورديبيف: لو كنت في سجن وتريد الهروب منه. فستكون الفرصة ضئيلة جداً إذا قمت بذلك لوحدك، ولكن إذا اتفق كل السجناء على الخروج، عندئذٍ تكون الفرصة متاحة أكثر بكثير... حيث يمكنهم رمي الحارس أو قتله، أو تحطيم جدار السجن. عندما يتّفق جميع السجناء، عندها ثمة فرصة كبيرة في أن يصبحوا أحراراً.

غير أن الفرص تزداد أكثر إذا كانوا على صلة ببعض من هم خارج السجن، بمن هم أحرار. وذلك هو المغزى الكامل من وجود معلّم: من وجود شخص خارج السجن. وسيكون ذا نفع كبير لك... لعدة أسباب: لأنه يستطيع تزويدك بالأشياء الضرورية التي ستحتاجها للهروب من السجن. يستطيع أن يرسل إليك ما تحتاجه من أدوات لكي تتمكن من الهرب. وهو يستطيع المراقبة من الخارج لإعلامك متى يتغيّر الحرّاس... ففي تلك الفترة هناك إمكانية لأن تهرب. كما يستطيع إعلامك عندما يغطّ الحرّاس في النوم أثناء الليل. ويمكنه أيضاً أن يقوم بالترتيبات لكي يُثملَ الحرّاس في ليلة معيَّنة. أن يدعو السجّان لحفلةٍ في منزله. إنه يستطيع أن يفعل آلاف الأشياء التي لا يمكنك فعلها من داخل السجن. يستطيع أن يؤمّن لك الدعم من الخارج. وأن يخلق لك الجو لكي تكون

مقبولاً ومحمياً من الناس متى تحررت من السجن، وأن يأويك في منزل. لأنه إذا

لم يكن المجتمع مستعداً لأن يتقبلك في الخارج، فقد تخرج من السجن لكن المجتمع سيسلّمك مجدداً إلى سلطات السجن.

فأن تكون على صلة مع شخص يكون يقظاً هو أمر لا بد منه. وأن تجتمع مع أولئك الذين يفكرون بأن يصبحوا يقظين هو أيضاً أمر لا بد منه. وهذا هو المغزى من نهج المدرسة، نهج الجماعة. التانترا هي نهج الجماعة. فهي تقول: كن مع الجماعة. اكتشف كل الإمكانيات، كثيرٌ من الناس يمكنهم أن يكونوا معاً ويمكن أن يوحّدوا قدراتهم. شخص ذكي جداً وآخر ودود جداً. كل منهما يُشَكّل النصف، غير أن الاثنين معاً يصبحان أكثر وحدةً، وأكثر اكتمالاً.

يُشَكّلُ الرجل النصف، والمرأة النصف الآخر. وباستثناء التانترا، فإن كل الساعين إلى الحرية حاولوا أن يعملوا وحدهم دون النصف الآخر. الرجل حاول وحده، والنساء حاولن وحدهن. تقول التانترا: لماذا لا تكونوا معاً...لماذا لا تضمّوا أياديكم معاً؟ المرأة هي النصف والرجل هو النصف... وهم معاً طاقة أعظم، طاقة أكثر اكتمالاً، طاقة مزدهرة. انضمّوا إلى بعضكم سويّةً! دعوا الين واليانغ يعملان سوية وستكون هناك إمكانية أكبر لتحقيق المزيد.

أما الطُرُقُ الأخرى فهي تسلك سبل التنازع والتقاتل. فيبدأ الرجل بمحاربة النساء، يبدأ بالهروب من النساء بدلاً من استخدام إمكانية التعاون، يبدأ بالتفكير بالمرأة على أنها عدو. تقول التانترا إن هذا غباء مُطبِق، فأنت تُبدد طاقتك بقتال غير ضروري مع المرأة... لأن هناك أشياء أعظم لتحاربها! من الأفضل أن تحتفظ بشراكة مع المرأة، دعها تساعدك، وساعدها. امضيا سويّةً كوحدةٍ واحدة لتمتلكا المزيد من الفرص للوقوف ضد الطبيعة غير الواعية.

استخدم كل الإمكانيات، وعندها فقط تكون ثمة فرصة تستطيع فيها أن تتطوّرَ إلى كائن واعٍ، إلى أن تصبح بوذا.

وهذه السوترات هامة جداً..

السوترا الأولى:

رائحة خشب الصندل بالنسبة للذبابة،

كأنها رائحة لحم فاسد.
الكائنات التي ترفض النيرفانا
تشتهي عالم السمسارا الفظ.

الأمر الأول: كما قلت... هو أن الإنسان آلة. يعيش الإنسان بحكم العادة، يعيش من الماضي، من الذاكرة. يعيش من المعرفة التي يعرفها، من المعرفة التي اكتسبها من قبل. وهكذا يستمر مفتقراً إلى الجديد... والحقيقة هي الجديد دائماً. وهو مثل الذبابة التي تحب رائحة اللحم الفاسد، الرائحة الكريهة النتنة، إنّ عطر خشب الصندل كريه بالنسبة لها. لأن لديها ذاكرة من نوع معيّن، من ماضي معيّن.. وتعتقد دوماً بأن رائحة اللحم النتنة هي الشذا. تلك هي معرفتها، ذلك هو طبعها، وذلك هو ديدنها..ذلك هو ماضيها الميّت.

وعندما تصادف الذبابة فجأة خشب الصندل: ستبدو تلك الرائحة لها كما لو أنها رائحة نتنة وكريهة جداً

لا تندهش... فذلك ما يحدث لك. إذا عشت طويلاً من خلال الجسد، آنذاك حتى لو اقتربتَ كثيراً من الإنسان الذي يعيش في روحه فسوف تشعر بشيء ما خاطىء. فحين تجيء إلى بوذا، لن تشعر بالشذا، بل ربما تشعرُ برائحة سيئة. فهذا تفسيرك.. وإلاّ لماذا قتل الناس السيد المسيح؟ فقد كان المسيح خشب الصندل! وببساطة قتله الناس. لماذا سَمَّمَ الناس سقراط؟ لأن سقراط كان خشب الصندل! غير أن "الذباب".. يألف ماضيه الخاص ويفسّر الأشياء طبقاً لهذا الماضي.

كنت أقرأ ذات يوم عن مومس، أشهرُ مومسٍ في أثينا. أتت ذات مرة إلى سقراط، وكان بضعة أشخاص يجلِسون هناك، فقَطْ بضعة أشخاص، تماماً كما يجلس بضعة أشخاص هنا، وكان سقراط يتحدّث إليهم. نظرت المومس حولها ثم قالت لسقراط "لماذا يجلس شخص عظيم مثلك، مع بضعة أناس فقط يستمعون إليك؟ اعتقدت بأن كل أثينا ستكون هنا! ثم أنني لا أرى كبار الناس المحترمين، ولا أرى كبار الشرفاء.. ولا السياسيين والكهنة والمفكّرين.. إنني لا أراهم هنا. فما السبب؟ تعال ذات يوم إلى منزلي يا سقراط.. وستجدهم يقفون في طابور!"

فقال سقراط: "أنت مُحِقّة..لأنك تهتمّين بمطلب عام أمّا أنا فلا. إنني

أجذب القليل من الناس، أختار القلّة. آما الآخرون فلا يمكنهم أن يشمّوا شذاي، وهم يتجنبوني! وحتى لو صادفوني فإنهم يهربون مني خائفين. فهذا العطر مختلف تماماً".

لابد وأن المومس كانت ذات ذكاء كبير. فنظرت في عيني سقراط ثم انحنت وقالت " سقراط، هل تقبلني كأحد أصدقائك". بعدها لم تُغادر مجلس سقراط أبداً، وأصبحت جزءاً من تلك المدرسة الصغيرة.

لا بد وأن المرأة كانت ذات وعي كبير.. فقد حدث لها تغيّر مفاجئ جداً. وفهمَته في الحال! لكن أثينا قتلته. لم يكن -أهل أثينا- يشبهون سقراط، وبدا لهم هذا الرجل خطيراً جداً. كانت تواجهه عدّة تهم، إحداها أنه" حطّم معتقدات الناس، ودمّر عقول الشبان. إنه فوضوي. وإذا سُمِح له بالعيش أكثر فسوف يدمّر المجتمع.. إنه عدوّ خطير."

فماذا كان يفعل.

كان يفعل أشياءً مختلفة تماماً: كان يحاول خلق حالة اللافكر. غير أن الناس اعتقدوا بأنه" يدمّر عقول الناس." وهم على حقّ أيضاً، فَهُمْ ذباب. أجل، لقد انجذب الشبان إلى سقراط بشكل هائل.. لأن الشبان هم الوحيدون الذين يمكن أن ينجذبوا إلى مثل هذه الأشياء، الشبان وحدهم من يمتلكون تلك الشجاعة. وحتى لو أتى كبار السن إليّ أو إلى سقراط، فهم ليسوا سوى شبّان.

لهذا السبب يأتون، وإلا فلا يمكنهم المجيء. أما العجوز، ذو العقل المتعفّن فلا يقدرُ أن يأتي إلي. ربما يكون الجسد هرماً، غير أنه إذا أتى إلي رجل كبير السن أو امرأة كبيرة السن فهي لم تأتي إلا لأنها مازالت تمتلك روحاً شابة، مازالت شابة تقريباً، مازالت قادرة على فهم ما هو جديد، على تعلّم الجديد. يقال بأنك لا تستطيع تعليم كلبٍ هرم خِدَعاً جديدة.. فذلك صعبٌ جداً. والكلب الهرِم لا يعرف إلا الخدع الهرِمة، ويَستمرُ بتكرارها. ومن الصعب جداً تعليم أي شيء للعقل الهَرِم.

وتختلف هذه المعارف بشكل جذري، لأنها على النقيض تماماً من كل ما علّموك إيّاه، ولن يستطيع المرء حتى الإصغاء إليها إذا لم يكن شاباً حقّاً.

وهكذا كان الشباب ينجذب إلى سقراط. كان ذلك إشارة بأن شيئاً أبدياً، شيئاً من شباب الكون الخالد، يتدفق عبر سقراط.

ولو أن المسيحَ كان حيّاً، فستجد الشبان يتبعونه. لن يذهبوا بالتأكيد لرؤية البابا .. لأن اللذين يذهبون لرؤية البابا هم العجائز والناس الموتى، الموتى منذ زمن بعيد.

لو أن شانكارا شاريا الأصلي كان حيّاً فستجد الشبان كلهم ملتفّين حوله. أما حول شانكارا شاريا البيوري فستجد حوله أجساداً ميتة، جثثاً تستمع. ولن تجد أشخاصاً أحياء.

يمكنك أن تلقي نظرة إلى داخل أي معبد، فستجد هناك عجائزاً من الرجال والنساء.. لكنك لن تجد الشباب. والحقيقة أنه عندما يتوجد الدين الحقيقي، ينجذب إليه الشباب. عندما تتوجد الحقيقة، ينجذب الشباب إليها. وعندما لا تبقى سوى الأكاذيب والتعاليم والمبادئ والعقائد، يأتي العجائز. وعندما ينجذب الشباب، فذلك يعني أن الحقيقة شابة والشباب ينجذبون إليها. وعندما تكون الحقيقة شائخة، وميتة تقريباً، حينها ينجذب إليها الناس الموتى.

ينجذب العجائز بسبب الخوف من الموت فقط. وعند الشيخوخة، يصبح حتى الملحدون مؤمنين بسبب خوفهم من الموت. أما عندما ينجذب الشبان نحو شيء ما فليس بسبب خوفهم من الموت، بل بسبب حبهم الهائل للحياة، لأنهم لم يعرفوا بعد ما هو الموت. وهذا هو الفرق بين الدين الحقيقي والدين الزائف. الدين الزائف هو الخوف، والدين الحقيقي هو إطلالة الحب.

لا بد أنك سمعت عن وجود كلمات بشعة في كل لغات العالم مثل: الخوف من الله. والتي لا بد وأنها قد صيغت من قبَل الموتى، والأغبياء، والعجائز.

الخوف من الله؟ كيف للمرء أن يَخاف من الله؟ إذا كنت تخاف من الله، فكيف لك أن تحبّه؟ فأنت بدافع الخوف..لن تُحب أبداً، بل يمكن أن تنشأ الكراهية فقط. بدافع الخوف يمكن أن تكون ضد الله، لأنه سيكون عدوّكَ، فكيف يمكن أن تحبه؟ هل سبق وأن خفت من شخص تحبه؟

هل سبق أن خفتَ من أمك إذا كنت تحبّها؟ هل سبق أن خفت من زوجتك إذا كنت تحبها؟ إذا كنت تحب فلا وجود للخوف.. إن فئة المحبّين هي خارج كل خوف.

محبّة الله... الرومانسيّة هي في محبّة الله....النشوة هي في محبة الله...

لكن ذلك ممكن بالنسبة للعقل الشاب فقط. سواء كان العقل الشاب في جسد فتىً أم في جسد عجوزٍ، فهذا لا علاقة له بالأمر..فهو يكون ممكناً فقط بالنسبة للعقول الشابة.

لقد عوقب سقراط لأنه جذب الشباب. وعوقب بوذا لأنه جذب الشباب. ولكن تذكّر دائماً بأنه: كلما وُلدَ دين، يهرع الشباب إليه من كل أنحاء المعمورة.

ولكن حينما يهرع العجائزَ إلى مكان ما، يمكنك أن تكون متأكداً بأن لا شيء يحدث هناك. فليس هذا هو المكان الذي يحصل فيه حدث! ولكن حيث يذهب الشبّان، فذلك هو المكان الذي يوجد فيه الحدث ولا بد أن يدل ذهابهم على أن شيئاً ما قد حصل هناك. ولكن:

رائحة خشب الصندل بالنسبة للذبابة،

كأنها رائحة لحم فاسد.

الكائنات التي ترفض النيرفانا

تشتهي عالم السمسارا الفظ.

إن الحقيقة هي المجهول، هي الغامض. ولا يمكنك الدنو منها من خلال عاداتك الماضية. يمكنك ذلك فقط عندما تتجرّد من كل العادات.

إن رداء الكاهن المسيحي يُسَمّى "العادة".. وهو استخدامٌ جميل لكلمة "عادة". أجل، إنني أقول، عندما تكون عارياً من كل العادات، متجرّداً من كل العادات، تسقط كل الأردية، فأنت حينذاك لا تعمل من خلال الذاكرة بل من خلال الوعي، وهما وظيفتان مختلفتان. فعندما تعمل من خلال ذاكرتك، لن ترى ماهية عملك. وتستمر برؤية ما رأيته من قبل. تستمر بتفسير الحاضر وفقاً للماضي، تستمر بفرض شيء غير موجود. برؤية أشياء ليست كما هي. ثم تستمر بعدم رؤية الأشياء الموجودة.

يجب أن تنحّي الذاكرة جانباً. الذاكرة جيّدة فاستخدمها. لكن الحقيقة ما سبق أن عُرِفَتْ من خلال الذاكرة. إذ كيف يمكنك معرفة الحقيقة من خلال الذاكرة؟ فأنت لم تكن قد عرفت الحقيقة في الماضي.

الحقيقة لا تُعرَف. الحقيقة غير مألوفة. وعليك أن تضع كل ذاكرةٍ جانباً. عليك أن تقول لعقلك: "اصمت، دعني أرَ بدونك! دعني أنظر بجلاء صرف، وليس بعينين مغشيتين، دون أفكار ولا معتقدات ولا كتب مقدّسة، ولا فلسفة ولا أديان. دعني أنظر مباشرة.

دعني أنظر هنا الآن. دعني أنظر إلى الذي هو مقابلي".

عندها فقط تكون متناغماً مع لغز الحقيقة.

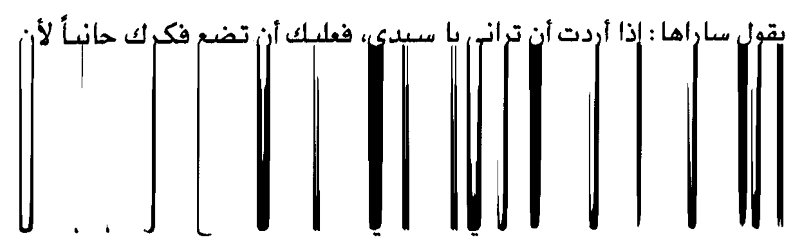
تذكّر: أن الحقيقة لن تصبح ذاكرة أبداً. وحتى عندما تعرفها، لن تصبح ذاكرة أبداً. الحقيقة فسيحة جداً، ولا يمكن أن تُحتوى بالذاكرة. وكلما تواجدت من جديد، فإنك ستعرفها، وستكون جديدة مرّةً أخرى. فهي ليست قديمة أبداً، الحقيقة جديدة دائماً، طازجة دائماً.. وتلك إحدى ميّزاتها في أنها لن تصبح قديمة أبداً. فهي شابّة دائماً.

وهكذا يقول ساراها للملك: إذا أردت يا سيّدي أن تعرف الحقيقة، إذا أردت أن تعرف حقيقةَ ما حدث لي، ضع فكرك جانباً. أعرفُ بأنك تشبه الذبابة تماماً. لقد عشتَ حياة الجسد والفكر، ولا تعرف أي شيء أبعد منهما. أما أنا فأقف هنا: وراء كليهما (العقل والفكر). ولا توجد طريقة كي أفسّر لك الأشياء وفقاً لعقلك. كلا، فالحقيقة لا يمكن شرحها. فإذا أردت حقّاً أن تختبرها، تستطيع ذلك، ولكن لا يمكن تفسيرها.

لا يمكن تعريف الله. لا يمكن تفسيره. من فضلك تذكّر أن لا تفسّر الله أبداً، لأنك إذا فسّرته ستكون قد ضللتَ الحقيقة. لا يمكن لله أن يُحتوى بأي فكر، لكن الله يمكن أن يُعاش. يمكن أن يُحَب. تستطيعُ أن تُصبحَ إلهاً فذلك ممكن.. لكن الفكر لا يمكن أن يحتوي الله. الفكر وعاءٌ صغير جداً. فهو يشبه ملعقة الشاي.. أتريد أن تحتوي المحيط الهادئ في ملعقة الشاي؟ صحيح أن باستطاعتك الحصول على القليل من الماء المالح في ملعقتك، لكن ذلك لن يقدّم فكرة عن المحيط وعن اتساعه.

لن تحدُث العواصف في ملعقتك، ولن تنبعث أمواجٌ ضخمة. صحيحٌ أنها ستكون ذات طَعمٍ مشابه، لكنها لن تكون محيطاً.

يقول ساراها: إذا أردت أن تراني يا سيدي، فعليك أن تضع فكرك جانباً لأن



لديك عقل ذبابة. لديك بعض من عادات التفكير، بعض من عادات الشعور، لديك بعض من عادات العيش. لقد عشتَ حياة الفكر والجسد، ومن المؤكد أن كل ما قد عرفتَهُ حتى الآن ليس إلاّ ما سَمِعْتَهُ أنت.

كان ساراها يقرأ الكتب المقدّسة بنفسه للملك قبل ذلك، وهو على علمٍ جيّدٍ بها. ويَعلَم جيداً ما يعرفه الملك، لكن معرفته كانت مجرد معلومات.

يقول ساراها: لقد حصل هذا معي! ولكن لكي ترى ذلك ستحتاج إلى نوع مختلفٍ من الرؤية.

العقل لا يلاقي الحقيقة أبداً، لا يواجهها أبداً. فطُرُق العقل وطُرُق الحقيقة متباعدةٌ بالمطلق. إنهما منفصلان تماماً.

لهذا السبب كان إصرار جميع صوفيي العالم على تحقيق حالة اللافكر. وهذا هو كل شيء عن التأمّل، حالة اللافكر، حالة اللاتفكير.. إنما بوعي كامل، استنارة بوعي. وعندما لا يكون هناك فكر منفرد، فسماؤك نظيفة من كل الغيوم، عندئذٍ تشرق الشمس متألّقةً.

عادةً ما نُضَلَلُ بالكثير من الأفكار، بالرغبات، وبالطموحات، وبالأحلام، بحيث لا يمكن للشمس أن تُشرق. لأنها تختفي خلف تلك الغيوم الداكنة. فالرغبة غيمة، والفكر غيمة، والخيال غيمة.. والمرء يحتاج إلى أن لا يكون مضللاً لكي يعرف الحال الذي هو عليه.

يقول ساراها:

الكائنات التي ترفض النيرفانا

تشتهي عالم السمسارا الفظ.

السمسارا تعني أن تعيش كجسد، كفكر، كـ أنا.

"السمسارا" تعني أن تعيش ظاهريّاً. أن تعيش مع الأشياء. "السمسارا" تعني أن تعيش مع الفكرة التي هي كل ما يهمك ولا شيء آخر. "السمسارا" تعني ثلاثة سموم: القوّة، الشهرة، الجذب... تعني أن تعيش في الدنيا مع فكرة امتلاك

المزيد من القوّة، والمزيد من الشهرة، والمزيد من المال، والمزيد من اجتذاب هذا وذاك. أن تعيش في الأشياء ومن أجل الأشياء. ذلك هو معنى كلمة "سمسارا".. أي العالَمْ.

فقط راقب نفسك:

هل سبق لك أن عشت مع أشخاص، أم أنك كنت تعيش مع الأشياء فقط؟ هل زوجتك شخص أم أنها شيء؟ هل زوجكِ شخصٌ أم أنه شيء؟ هل تتعاملين مع زوجك كشخص، كشخص رائع، كشخص ذي قيمة حقيقيةً، أو لمجرَّد المنفعة.. لكونه يؤمِّنُ الخبز والزبدة، أو لكون زوجتك مدبرة شؤون المنزِّل، تعتني بالأطفال؟ هل أن زوجتك بحد ذاتها هي غايتك، أم أنها لمجرَّد المنفعة، أو سلعة للاستخدام؟ فأحياناً تستعملها جنسياً، وأحياناً تستعملها لغايات أخرى.. ولكنْ حين تستخدم شخصاً، فهذا يعني أنه شيء بالنسبة لك، وليس شخصاً.

ولكن الشخص لا يُستعمل، وحدها الأشياء هي التي يمكن أن تستعمل. الشخص لا يُشترى، ووحدها الأشياء يمكن أن تُشتَرى. الشخصٌ هو الذي يمتلك مثل هذه القيمة العظيمة، مثل هذه الألوهة، مثل هذا الجلال.. فكيف يمكن أن تستعمل شخصاً؟ صحيح أن بإمكانه أو بإمكانها أن تمنح هذه الأشياء عن مَحَبّة، لكنك لا تستطيع أن تَستعمل الآخر. وينبغي أن تكون شاكراً. هل سبق وأن كنت ممتنّاً من زوجتك؟ من أمك ومن أبيك؟ هل سبق وأن كنت ممتنّاً من أصدقائك؟ أحيانا تكون ممتنّاً من الغريب، لكنك لا تكون ممتنّاً أبداً لمن هم خاصتَّكَ.. لأنك تعتبرهم تحصيل حاصِل.

أن تعيش مع الأشياء هو أن تعيشَ في السمسارا. وأن تعيش مع الأشخاص هو أن تعيش في النيرفانا. وحالما تبدأ بالعيش مع الأشخاص، تبدأ الأشياء بالزوال. وعندما يصبح الشخص متأمّلاً، حتى لو اختُزل الأشخاص إلى أشياء، تصبح الأشياء أشخاصاً، وحتى الشجرة تصبح شخصاً، وحتى الصخرة تصبح شخصاً. وشيئاً فشيئاً يبدأ كل شيء بامتلاك شخصية.. ذلك لأن الله ينتشر في كل أنحاء الوجود.

يقول ساراها : لقد عشتَ يا سيدي في السامسارا ولا يمكنك أن تفهم طريق

النيرفانا . فإذا أردت حقّاً أن تفهمها، عليك أن تعيشها .. فليس هناك طريق آخر. لكي تعرف، عليك أن تتذوّق شيء منها . إنني موجود هنا، أقف أمامك.. وأنت ما زلت تطلب تفسيراً؟ النيرفانا تقف أمامك وأنت ما زلت تبحث عن نظريات؟ ليس هذا فقط.... بل أتيت لتُقنعني أيضاً كي أعود إلى السامسارا التي لك..فلابد أنك أعمى بالمطلَق. أذبابةٌ تقنعني كي أترك غابة الصندل وشذاها لأجل رائحة اللحم الفاسد؟ هذا ما قاله ساراها للملك.

ولكن دعني أُقنعك بأن تأتي إلى عالمي بدلاً من أن تقنعني بأن آتي إلى عالمك. لقد عرَفتُ عالمكَ، وعرَفتُ أيضاً هذه الحقيقة الجديدة، لذا يمكنني المقارنة. أما أنت فقد عرفت عالمك فقط ولم تَعرف حقيقتي.. فلا يمكنك المقارنة.

عندما يقول بوذا أن هذا العالَمُ مُضَلِل، تأمّل فيه.. لأنه عَرَفَ هذا العالم أيضاً. عندما يقول ملحد ما، أو شخص مادي، أو شيوعي ما، بأن عالم النيرفانا هو مجرّد خداع، فلا داعي لأن تنزعج منه إطلاقاً.. لأنه لا يعرفه. أنه يعرف هذا العالم فقط. ولا يمكنك بأن تثق بمزاعمه عن العالم الآخر. فهو لم يتأمّل أبداً، ولم يدخل هذا العالم أبداً.

ولكن انظر: من بين كل الذين تأمّلوا، لم يُنكر الحقيقة الداخلية أحد قط، ولا متأملٌ واحد! فكل المتأمّلين دون استثناء أصبحوا صوفيين. أما أولئك الذين لم يتأمّلوا، فهم يعرفون عالم الذبابة فقط، عالم الرائحة الكريهة والنتنة للحم الفاسد. يعيشون في عالم الأشياء المتعفنة. لكنهم يعرفون تماماً، وبشكل أكيد، بأن مزاعمهم لا يمكن الوثوق بها . يمكن الوثوق ببوذا، بالمسيح، بمهافير. فهم يعرفون العالَمَين! الأعلى والأدنى، ومن خلال معرفتهم بالأعلى يقولون شيئاً عن الأدنى الذي ينبغي التأمل فيه: فلا ترفضه مطلقاً.

وعلى سبيل المثال، ماركس وإنجلز ولينين وستالين وماوتسيتونغ، هؤلاء لم يتأمّلوا أبداً، وهم يقولون بأنه لا يوجد إله. فهذا يشبه على وجه التقريب شخصاً لم يسبق له أن ذهب إلى مُختَبَر عالم ثم يأتي لكي يتحدُث بأمرٍ يتعلّق بالعلم، رجلٌ لم يسبق له أن دخل مُختَبراً ويقول أن نظرية النسبية هي مجرّد خزعبلات مبالغ فيها .. ولا يمكن الاعتماد عليها .

عليك أن تدخل المُختَبَر، عليك أن تناقش الرياضيات العليا .. عليك أن تبرهن عليها، فلا يجوز لك أن ترفضها لمجرّد عدم مقدرتك على فهمها.

هناك القليل جداً من الناس ممن يفهمون نظرية النسبية. لقد قيل بأنه عندما كان آينشتاين حياً كان هناك فقط عشرة أشخاص أحياء في جميع أنحاء العالم ممن فهموا نظريّته. وهناك قلّةٌ من الناس يعتقدون بأن في ذلك مبالغة، وبأن ذلك العدد ليس صحيحاً .. ولا وجودَ حتى لعشرة أشخاص ممن كانوا يفهمون نظريته بشكل صحيح. ولكن بسبب ذلك، لا تستطيع القول بأن نظريته ليست صحيحة، ولا يمكنك أن تُجري تصويتاً بشأنها. ولا تستطيع أن تهزمها في انتخابات. يجب أن تمر في نفس العمليات.

والآن، إن قول ماركس بأنه لا وجود لله هو ببساطة قولٌ غبي.. لأنه لم يتأمّل أبداً، ولم يمعن النظر أبداً، لم يُصَلِّ أبداً. وتصريحه ليس سوى تجديف. أما أولئك الذين تأمّلوا، أولئك الذين تعمَّقوا قليلاً في داخل كيانهم، فقد توصلوا إلى الحقائق نفسها.

الكائنات التي ترفض النيرفانا
تشتهي عالم السمسارا الفظ.

يقول ساراها: أنت تنبذ النيرفانا، وتمضي مندفعاً خلف الأوهام. هل جئتَ يا سيِّدي كي تُقنعَني؟ انظر إلي كم أنا منتش. انظر إلي! لم أعد نفس الشخص الذي ترك بلاطك.. أنني شخص مختلفٌ كلياً.

كان ساراها يحاول جلب وعي الملك إلى اللحظة الحاضرة، وقد نجح في ذلك. فلابد أنه كان رجلاً ذا حضور عظيم. لقد جذب الملك من عالم الذباب. من عالم اللحم الفاسد، جذبه إلى عالم خشب الصندل وعطره.

السوترا الثانية:

آثارُ حوافر الثور المغمورة بالماء
ستجُفُ قريباً، وهكذا هو حال الفكر الجامد
والممتلئ بصفات ليست مثالية.
ستجُفُ مع مرور الزمن، تلك النواقص.

يقول ساراها: لقد مشى هنا ثور، فهناك آثارُ حوافر على الأرض، وآثار

الحوافر ممتلئة بالماء، فكم ستظل مياه المطر موجودةً فيها؟ سوف تتبخّرُ عاجلاً أم آجلاً وآثار حوافر الثور الممتلئة بالماء لن تبقى طويلاً. لكن المحيط دائم. وعلى الرغم من أن الماء الذي يملأ آثار أقدام الثور هو أيضاً من المحيط، إلا أنه يبقى شيئاً مختلفاً.

يظلُّ المحيط ممتلئٌ دائماً، لا يزيد ولا ينقص أبداً. تصعد منه غيومٌ عظيمة، فلا ينقص، وتصُبُ فيه أنهار عظيمة فلا يزيد، ويظل دائماً كما هو. لكن هذا الأثر الصغير لحوافر الثور الممتلئة بالماء الآن، ستجف خلال ساعات أو أيام.. وكذلك جمجمة العقل البشري. هذا الشيء الصغير هو مجرّد آثارٍ لأقدام ثور. فيه القليل من الماء.. فلا تثق به كثيراً، لأنه يجف دائماً. والجمجمةً هي شيء صغير جداً. فلا تظن أنك تستطيعُ احتواء العالم في جمجمة. ربما أمكن ذلك بشكل مؤقّت فقط، ولكن ليس أبدياً.

آثارُ حوافر الثور المغمورة بالماء
ستجُفُ قريباً، وهكذا هو حال الفكر الجامد
والممتلئ بصفات ليست مثالية.
ستجُفُ مع مرور الزمن، تلك النواقص.

بماذا تحتفظ داخل جمجمتك الصغيرة؟ ماذا تحتوي هذه الجمجمة؟ رغبات، وأحلام، وطموحات، وأفكار، وخيال، وإرادة، وعواطف.. هذه الأشياء التي تحتفظ بها كمحتوى، ستتبخّر كلّها. كل المحتويات ستتبخّر! إذن حوّل اهتمامك إلى الحاوي بدلاً من الاهتمام بالمحتويات، ذلك هو السر الكامل للتانترا. انظر إلى الحاوي ولا تنظر إلى المحتوى. إن السماء مليئة بالغيوم، فلا تنظر إلى الغيوم، بل انظر إلى السماء. لا تنظر إلى ما هو موجود في رأسك، إلى ما هو موجود في عقلك.. بل انظر إلى وعيك فقط. العاطفة موجودة، والغضب موجود، والحب موجود، والجشع موجود، والخوف موجود، والغيرة موجودة.. وهذه كلها محتويات. وخلفها تماماً تقبع سماء الوعي اللامحدودة.

إن الإنسان الذي يعيش من خلال المحتويات، يحيا حياة الآلة. لكنه يبدأ حياة الوعي، حياة البوذية عندما يبدأ بتحويل اهتمامه إلى الحاوي بدلاً من المحتويات.

ثم يقول ساراها: سيدي، هذه المحتويات التي تحتفظ بها في عقلك ستتبخّر قريباً.. انظر إلى تلك الآثار التي تخلّفها حوافر الثور! فرأسك ليس أكبر منها، جمجمتك ليست أكبر منها. لكن وعيك مطلق، غير محدود.

ينبغي الآن أن تعرف بأن المشاعر موجودة في رأسك، أما الوعي فغير موجود! في الحقيقة، إن رأسك هو في وعيك! والوعي فسيح ولا محدود. أما المشاعر والرغبات والطموحات فهي في رأسك، وسوف تتبخّر. ولكن حتى عندما يسقط رأسك نهائياً ويختفي في الأرض، فإن وعيك لن يزول. فأنت لا تحتوي الوعي بداخلك: لكن الوعي يحتويك، لأنه أكبر منك.

هناك أناسٌ يسألون... يأتي إلي بعض الأحيان شخص ويسألني: "أين هي الروح في الجسد البشري؟ أهي في القلب؟ أم في السرّة؟ أم في الرأس؟ أين هي الروح؟ يظنّون بأنهم يسألون سؤالا وثيق الصلة جداً بالموضوع. ليست الروح في أي مكان من الجسد.. بل على العكس، فالجسد هو الذي يقبع في الروح. لأن الروح كظاهرة هي أكبر من جسدك. إن الروح هي التي تطوّقك وتحيط بك.

كما أن روحَكَ وروحي ليستا مُختلفتين! فنحن نعيش في الوجود ذاته، نعيش في محيط ocean روح واحدة. تحيط بنا روح واحدة. داخلنا وخارجنا. وكلّها طاقة واحدة. ليس لدي روح مختلفة عن روحك. لكن لدينا أجساداً مختلفة. وذلك يشبه إلى حدٍ ما الكهرباء التي تجري في المصباح وفي الراديو والتلفزيون والتي تحرك المروحة.. وتفعل آلاف الأشياء. فالمروحة تختلف عن المصباح، لكن الكهرباء التي تحرّكها جميعاً هي ذاتها.

نحن طاقة واحدة. صحيح أن تعابيرنا مختلفة، لكن حقيقتنا واحدة. فلو نظرنا أنا وأنت إلى المحتوى، ستكون أحلامي مختلفة عن أحلامك بالتأكيد. فنحن لا نستطيع التشارك في أحلامنا. لدي طموحاتي ولديك طموحاتك. وليس فقط أننا لا نستطيع أن نتشارك في أحلامنا، بل إن أحلامنا تتعارض. فطموحاتي ضد طموحاتك، وطموحاتك ضد طموحاتي. ولكن إذا تجاهلنا المحتويات ونظرنا إلى الوعي فقط، إلى الوعي الصافي، إلى السماء الصافية.. عند ذلك نتساءل أين" أنت" وأين "أنا". فنحن واحد.

وفي تلك اللحظة يحدث اتحاد. في تلك اللحظة ينشأ وعي كوني. وكل وعي

هو كوني. فالغفلة هي شيء شخصيّ، أما الوعي فكوني. واليوم الذي تصبح فيه إنساناً حقّاً تكون كونيّاً. ذلك ما يعنيه بوذا بالإنسان الكوني.. إذن تعال إلى الكمال والوعي المطلق.

الإنسان مختلف مثله مثل الآلة. هذا ما يجب أن يكون مفهوماً. إذا كان لديك مرض في الكليَة، فأنا لست كذلك. وإذا كان عندي صداع، فأنت ليس لديك صداع، حتى لو كنت تحبني فلا يمكنك أن تشاركني الصداع، حتى لو كنت أحبك فلا يمكنني أن أتألم ألمك. ولكن إذا كنا نحن الإثنين نجلس معاً ونتأمل، وتحين اللحظة عندما لا يكون في داخل عقلي أية محتويات وأنت أيضاً ليس في داخل عقلك أي محتويات، فلن نكون اثنين. فالمتأمّلون يبدؤون منفصلين، لكنهم في النهاية يصبحون شخصاً واحداً.

إذا جلستم جميعكم للتأمل هنا، أو لتستمعوا إلي، عندئذ لن تكونوا عدة أشخاص، بل شخصاً واحداً. آنذاك لن تكونوا واحداً فحسب: فالمتحدث والمستمع ليسا منفصلين..بل هما متمفصلان — كالجسر- مع بعضهما بعضاً. عندما يصل عشرون متأمّلاً في غرفة التأمّل إلى تأمُلٍ حقيقيّ فلن يعودوا عشرين: بل يكونون نُخبةٌ تأملية واحدة موجودة في الغرفة.

سأروي لكم قصّةً: جاء بضعة أشخاص لرؤية بوذا. وكان أناندا يجلس حارساً خارج الغرفة. غير أن هؤلاء الناس استغرقوا وقتاً طويلاً بحيث غدا أناندا قلقاً. نظر إلى الداخل عدّة مرّات. لكنهم استمرّوا واستمرّوا واستمرّوا... بعدها نفذ صبره ودخل إلى الغرفة لمشاهدة ما يحدث. وهناك لم يجد أحداً غير بوذا جالساً. فسأل بوذا، "أين ذهب أولئك الأصحاب؟ وليس هناك باب آخر يخرجون منه، وأنا جالس خلف الباب الوحيد، فأين ذهبوا؟"

فقال بوذا: "إنهم يتأمّلون".

إنها قصّةٌ جميلة. لقد تلاشوا جميعهم في التأمّل، ولم يستطع أناندا أن يراهم لأنه كان لا يزال غير متأمّل. لم يكن قادراً على رؤية هذه الظاهرة الجديدة وهذا التحوّل الكلّي للطاقة. لم يكونوا موجودين، لأنهم لم يكونوا

موجودين كأجساد، لم يكونوا موجودين كفكر. فقد ذابت أناهم. أمّا أناندا فقد استطاع أن يرى ما أمكنه أن يراه. لقد رأى حقيقةً جديدة.

ذات جاء مرّة ملك عظيم لرؤية بوذا. فقد أقنعه كبير وزرائه بالمجيء، لكنه كان رجلاً متشككاً جداً..كعادة الساسة والملوك.. متشككون جداً. في البداية لم يكن يرغب بالمجيء، لكنه جاء لرؤية بوذا لأسباب سياسية فقط، بسبب إشاعة انتشرت في العاصمة بأنه كان ضد بوذا، بينما كان كل الناس مع بوذا. لذا أصبح خائفاً. ولم يكن الملك ذا مرونة، لهذا ذهب لرؤيته.

عندما وصل مع رئيس وزراءه قريباً من البستان الذي كان يجلس فيه بوذا مع رهبانه العشرة آلاف، غدا خائفاً جداً. فاستلّ سيفه وقال لرئيس وزراءه "ما الأمر؟.... لقد قلت بأن عشرة آلاف من البشر يجلسون هناك، وها قد اقتربنا كثيراً ولا توجد ضجّة! فهل هناك مؤامرة ما؟"

ضحك رئيس الوزراء وقال: "أنت لا تعرف قوم بوذا. ضع سيفك مكانه! وتعالَ.. لا توجد مؤامرة أو أي شيء. لا داع لأن تكون خائفاً. إنهم لن يقتلوك. .فأنت لا تعرف رجال بوذا.

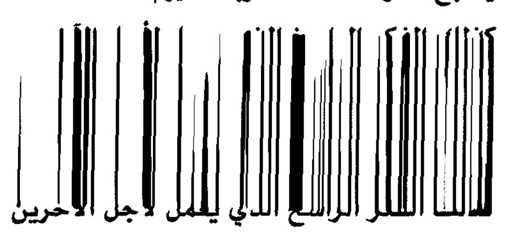
لكنه ظل مرتاباً جداً ومثبتاً يده على السيف، مشى الملك إلى البستان. وكان مندهشاً. لم يستطع أن يصدّق بأن عشرة آلاف من الناس يجلسون تحت الأشجار بصمت كما لو أنه لا يوجد أحد. فسأل بوذا: "هذه معجزة!..عشرة آلاف شخص!. حتى عشرة أشخاص إذا اجتمعوا معاً يخلقون ضجة كبيرة.. فماذا يفعل هؤلاء الناس؟ ما الذي حدث لهؤلاء البشر؟ هل حدث خطأ ما؟ هل مازالوا أحياء؟ إنهم يبدون كالتماثيل! ثم ماذا يفعلون بجلوسهم هنا؟ لا بد أنهم يفعلون شيئاً ما!"

فقال بوذا: " أجل، يفعلون شيئاً ما، غير أن ذلك لا علاقة له بالخارج. إنهم يفعلون شيئاً في عالمهم الداخلي. فهم الآن ليسوا في أجسادهم، إنهم في كيانهم، في الجوهر ذاته. وهم الآن ليسوا عشرة آلاف شخص.. بل جزء من وعي واحد.

السوترا الثالثة:

مثل ماء البحر المالح الذي

يصبح حلواً عندما تتشربه الغيوم



مُحَوّلاً سُمَّ أغراض الحواس إلى رحيق.

يتلخّص الموقف الأساسي للتانترا في أن الحِسّي يمكن أن يتحوّل إلى ما هو أسمى، والمادة يمكن أن تتحول إلى فكر، واللاوعي يمكن أن يتحول إلى وعي. فالفيزياء الحديثة تقول بأنه يمكن أن تتحوَّل المادّة إلى طاقة، والطاقة يمكن أن تتحوَّل إلى مادّة. والحقيقة أن الطاقة والمادّة ليستا شيئين مختلفين، فهما نفس الطاقة لكنها تعمل في شكلين.

تقول التانترا إن الجنس يمكن أن يتحوّل إلى سامادهي من المنظور ذاته، وبصورة مبدئية وأساسية. الأدنى يمكن أن يتحول إلى الأعلى، لأن الأدنى والأعلى ينتميان إلى بعضهما البعض، إنهما سُلَّم. ولا يتباعدان أبداً في أي موضع، أي لا توجد بينهما فجوة. ويمكنك أن تتحرّكَ من الأدنى إلى الأعلى ومن الأعلى إلى الأدنى.

وذلك السلَّم هو الإنسان. إذ يمكن أن يتواجد على أدنى درجة، فذلك قراره. ويمكنه أيضاً أن يصعد إلى الأعلى، إلى أعلى درجة. وباستطاعته أن يكون كالحيوان، أو أن يكون مثل بوذا.. لذا فإن الأدنى والأعلى كلاهما درجات. فالإنسان سُلَّم. يستطيع أن ينحدر إلى قاع الجهل ويصبح صخرة، كما يستطيع أن يرتقي إلى الوعي المطلق ويصبح إلها. لكنهما غير منفصلين.. ذلك هو جمال التانترا.

التانترا غير مجزّأة. والتانترا هي الدين الوحيد الذي لا ينفصم. التانترا حقيقة هي الدين الوحيد المعقول.. بل الدين الأكثر معقولية.. لأنها لا تُقَسَّم، فإذا قسّمتها فإنك تخلق شقاقاً. إذا قلت للناس بأن الجسد سيئ، بأن الجسد عدو، بأن الجسد ينبغي أن يُدان، بأن الجسد هو في خدمة الشيطان، آنذاك تخلق انقساماً في الشخص، عندها يصبح المرء خائفاً من الجسد. وبعد ذلك، شيئاً فشيئاً، تكون قد تشكّلت فجوة ضخمة غير قابلة للردم، وينشطر إلى

قسمين. إلى اتجاهين متعاكسين. فالجسد ينجذبُ إلى الجسد، والفكر ينجذبَ إلى الفكر..حيث الصراح والتشوّش.

تقول التانترا أنت واحد، ولا داعي للارتباك. يمكنك أن تنصهر في حقيقة واحدة. فلا داعي لأن يكون في داخلك أي صراع، ولا حاجة لأن تتمزقَ إلى أجزاء. لا داعي لأن تتجه نحو مصَحَّةِ المجانين. وتستطيع أن تُحبّ كل ما هو موجود، كما أنك تستطيع تطويرهُ.. بمَحبّة عميقة، بحرصٍ وإبداع يمكنك أن تطوره. فالجسد ليس عدواً لروحك، إنه مجّرّدُ غمد لسيفكَ. الجسد هو مجرّد معبد، إنه مقرُكَ. وهو ليس عدوّ لك بل صديقك.

إن التانترا تُسقط كل أنواع العنف..وليس العنف مع الآخرين فقط، بل مع الذات أيضاً. تقول التانترا: حقيقة المحبة في شموليتها. صحيحٌ أن الكثيرين يمكن أن يتطوّروا، لكن التطوّر الكلي يحصل من خلال المحبّة. فلا حاجة للقتال.

مثل ماء البحر المالح الذي

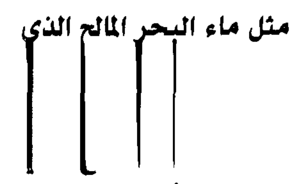
يصبح حلواً عندما تتشربه الغيوم

لا تستطيع أن تشرب ماء البحر، لأنه مالحُ جداً. وسوف تَموتُ إذا شربت منه. لكن عندما تأتي غيمة وتَسْحبُ الماءَ من البحرِ، فإنها تُحيله ماء حلوا.. آنذاك تستطيع أن تشربه.

يقول ساراها: السمادهي تشبه الغيمة، طاقة التأمل تشبه الغيمة التي تُحوّلُ نشاطك الجنسي إلى عوالمَ أرقى، التي تُحوّلُ وجودك المادي إلى وجود غير مادي، وتحول تجارب الدنيا المريرة المالحة إلى شراب حلو يشبه اختبارات النيرفانا. فالسامسارا ذاتها تصبح نيرفانا إذا استطعت أن تخلق الغيمة التي تحولها. تلك الغيمة، سمّاها بوذا حقيقةُ دهارماميغا سامادهي.. وتعني سامادهي غيمة القانون الأساسي.

تستطيع أن تخلق تلك الغيمة. تلك الغيمة يمكن خلقها بالتأمل. عليك أن تستمر بالتأمل دائماً، وأن تسقط الأفكار والرغبات والطموحات. وشيئا فشيئا، يصبح وعيك نار متّقدة.. رغم وجود الغيمة. لكنك الآن تستطيع تحويل أيّ شيء من خلال تلك النار. فتلك النار تُحوّلُ، تلك النار هي الخيمياء. فمن خلال التأمل، الأدنى يُصبح أعلى، المعدن الخسيس يتحوّل إلى ذهب.

مثل ماء البحر المالح الذي



يصبح حلواً عندما تتشربه الغيوم
كذلك الفكر الراسخ الذي يعمل لأجل الآخرين
مُحَوّلاً سُمَّ أغراض الحواس إلى رحيق.

هناك شيئان: الأول، على المرء أن يخلقَ غيمة التأمّل في كيانه، والشيء الثاني هو الرحمة.. أي العمل لأجل الآخرين. لقد أصر بوذا على شيئين: التأمل والرحمة.. براجايان و كارونا. وهو يقول بأنه من الممكن أحياناً أن يُصبح المتأمِّل أنانياً جداً. ويمكن أن يصبح أيضاً بغيضاً إلى حدٍ ما. تأمَّل، ابتهج، ولكن تقاسم البهجة، اعمل على أن تُشرك الآخرين بها، لا تحتكرها، لأنك حالما تبدأ باحتكارها، تبدأ الأنا بالظهور. لا تحتكر أي شيء أبداً. وفي اللحظة التي تحصل عليها، امنحها. وسوف تحصل على المزيد، ثم المزيد. فبالكثير الذي تعطيه، تحصل على الكثير. وعندئذٍ يصبح كل شيء رحيقاً. كل شيء يكون رحيقاً.. علينا فقط أن نعرف كيف نحوّله، علينا أن نعرف الكيمياء.

السوترا الأخيرة
إذا فاق الوصف، سيكون الكل راضياً،
إذا فاق التصوّر، فلابد أنه النعيم بحد ذاته.
وحتى من غيمةٍ يخشى المرء هزيم رعدها،
تنضج المحاصيل عندما ينهمر منها المطر.

الفائق الوصف... يقول ساراها: لا تسألني ما هو.. إنه يفوق الوصف، لا يمكن أن يقال. لا يمكن التعبير عنه. لا توجد لغة يمكنها التعبير عنه. لكنه يمكن أن يُختَبر. انظر إلى رضاي، انظر كم أصبحت قانعاً! فأنت عرفتني من قبل أيضاً.. كم كنت قلقاً ، كم كنت غيرُ قانعٍ بكل شيء، رغم أن كل شيء كان متوفّراً. لقد كنت المفضَّل لديك،.. ومع ذلك لم أكن راضياً. والآن، انظر! إنني أقف في مقبرة، حتى أنه لا يوجد سقفٌ فوق رأسي! ولا أعيش مع الملوك والملكات، بل أعيش مع صانعة السهام هذه. فانظر في عينيَّ... كم أنا راضٍ. ألا تستطيع أن ترى شيئاً يفوق

الوصف قد حدث؟ ألا تشعر بذبذباتي؟ هل أنت بليد جداً وميّتٌ بحيث تحتاج إلى تفسيرات؟

إذا فاق الوصف، سيكون الكل راضياً . . .

ذلك هو المعيار الوحيد . وسواء أحرز المرء الحقيقة أم لا فلن يكون غير راضٍ أبداً . رضاهُ مطلقٌ. لا يمكنك انتزاعه من رضاه. ليس بمقدورك أن تجعله غير راضٍ. ومهما حصل، سيبقى هو ذاته، راضٍ. النجاح أو الفشل، الحياة أو الموت، أصدقاء أو غير أصدقاء، أحبّاء أو غير أحبّاء.. لا فرق. هدوءه و سَكينته، مطلقةٌ بالكامل. إنه متمركزٌ في الوسط.

إذا فاق الوصف، سيكون الكل راضياً . . .

إذا حدث ما لا يمكن أن يُقال، عندها توجد طريقة واحدة لمعرفته وهي أن تُبصِرَ الرضى.

إذا فاق التصوّر، فلابد أنه النعيم بحد ذاته.

وأعرفُ- يقول ساراها- بأنه لا يمكنك تصوّر ما حدث لي. كيف يمكنك أن تتصوّر؟ لأنك ما سبق أن عرفته أبداً. فالتصوّرُ يكرر دائماً نفس ما تعرفه.

تستطيع أن تتصوّرَ السعادة، فقد عرَفتَ أجزاءً ونُتَفاً منها . ويمكنك أن تتصوّرَ التعاسة، فقد عرَفتَها وعَرَفتَ الكثير منها . تستطيع أن تتصوّر السعادة حتى لو لم تعرفها .. إذ يمكنك أن تتصوّرها على أنها نقيض التعاسة. ولكن كيف تستطيع أن تتصوّرَ النشوة؟ فأنت لا تعرفها، ولا يوجد شيء نقيض لها، فهي ليست مزدوجة. وهي عصيّةٌ على التصوّر.

يقول ساراها أيضا : أستطيع أن أفهم بأنه لا يمكنك تصوّرها . لكنني لا أقول لكي تتصوّرها .. انظر! ها هي حاضرة هنا الآن. فإن لم تستطع تصوّرها فذلك أيضاً هو أحد معايير الحقيقة: فالحقيقة لا يمكن تصوّرها . يمكن أن تُرى، لكنّها لا تُتَصَوّر. تستطيع أن تحصل على مَشهَدٍ منها، لكنك لا تستطيع أن تحلَم بها .

ذلك هو الفرق بين الحلم والرؤيا .

الحلُمُ ملكُك أما الرؤيا فليست ملكُكَ.

المسيح شاهد الله، والكتاب المقدّس يقول بأنه شاهدَ رؤيا .

الآن، قد يقول المحلّل النفسي بأنها كانت مجرّدَ حلُم، ذلك لأنه لا يعرف الفرق بين الحلم والرؤيا. فالحلم ملكك، لأنك كنت تتخيل، أنت الذي خلقته، لقد كان من وهم خيالك- فانتازيا. أما الرؤيا فشيءُ من السماء، لم تفكر أبداً ولو في جزء منها، ولا غيرك فكّرَ فيها أبداً. فهي جديدةٌ تماماً – وحينذاك تكون رؤيا. فالرؤيا من الله؛ أما الحلم فهو من عقلكَ.

إذا فاق التصوّر، فلابد أنه النعيم بحد ذاته.

أنظر إليَّ.. لا يمكنك تصوّر ما حدث. ألا تستطيع أن تراه. . . لديك عينان لترى. انظر، وراقب، أمسك يدي! اقترب مني أكثر، فقط كن حسّاساً تجاهي، هكذا يمكن لاهتزازي أن يُذبذبَ كيانك .. وما لا يمكن تصوّره وما يفوق الوصف يُمكنُ أن يُختَبَر.

وحتى من غيمةٍ يخشى المرء هزيم رعدها . . .

ثم يقول ساراها: أعرفُ. . .- لا بدّ وأن ساراها رأى الملك خائفاً قليلاً- . فيقول: أرى ذلك (الخوف) كل يوم: يأتي الناس إلي وأراهم يرتعدون، خائفين مرعوبين، وهم يقولون "نحن خائفون يا بهاغاوان". أعرفُ هذا! ولا شك أن ساراها رأى الملكَ يرتجف أيضاً، وربما كان يرتجف في أعماقه وليس من الخارج. كان ملكاً عظيماً، ولا شك في أنه كان رجلاً منضبطاً جداً، يقف منتصباً كما ينبغي، لكنه في الأعماق كان خائفاً.

دائماً يحدثُ هذا، فعندما تكون قريباً من رجل مثل ساراها، أو من رجل مثل بوذا، فستُحمَلُ على أن تكون خائفاً. مساء البارحة بالضبط جاء إلي شابٌ وقال " لماذا أخاف منكَ ؟ أنت لم تفعل لي أي شيء خاطئ.. فلماذا أنا خائف منك؟ إنني أحبّكَ بالتأكيد، ولكن لماذا أنا خائف منك؟ "

إن ذلك طبيعي. فماذا تتوقّع عندما تقتربُ من هاوية؟ سَتكونُ خائفاً بالطبع. فهناك احتمال كبير بأن تسقط فيها ولن تكون قادراً على استرداد نفسك ثانيةً. ستكون نهاية قطعيّة، لا رجعة فيها.. نهاية مطلقة بالكامل. ولن تكونَ قابلاً للاستعادة. إذن فالخوف أمر طبيعي.

يقول ساراها:

وحتى من غيمةٍ يخشى المرء هزيم رعدها . . .

يقول ساراها: أنا مثل غيمة وأنت خائف من قصف الرعد، من البرق. ولكن تذكّر:

تنضج المحاصيل عندما ينهمر منها المطر.

لكن لو سمحت لي بأن أهطُلَ عليك، ستنبت البذور فيك يا سيدي، أنت والإنسان الذي ما زال مختفياً في داخلك. والذي لم يولد بعد، سوف يولَد، وستكون قادراً على النضوج والاستواء، ستكونُ قادراً على التفتّح. أدعوك، يقولُ ساراها، أدعوك إلى حصاد عظيم. . حصاد اليقظة، حصاد الوعي.

النهاية